# بسم الله الرحمن الرحيم

## ((اســم البرنــامــج : ربيع القلوب.... اســم المقــدم : الشيخ ناصر القطامي ))

### (((نصوص هذا البرنامج مأخوذة من موقع قناة الرسالة http://www.alresalah.net )))

.....

**اسم الحلقة : الجزء الأول من القرآن ( الفاتـــحة ، أول سورة البقـــرة ( تاريخ الحلقة : ١ / ٨ / ٢٠١١**

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

معاشر الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومرحباً بكم إلى برنامجكم ربيع القلوب الذي يأتيكم على هذه الشاشة المباركة.

وهذا البرنامج سيكون بإذن الله تعالى عبارةً عن وقفات مع أجزاء القرآن الكريم ، ففي كل حلقة نقف وقفات مع أجزاء القرآن الكريم نتعرف على مقاصد هذا الجزء وعلى بعض معانيه ، وأيضاً ان كان يحوي بعض السور تعرّفنا على معنى السورة وسبب نزولها ؟ ، ولماذا سميت بهذا الاسم ؟ ، وأبرز مقاصدها وأهدافها ، وعن أي شيء تحدثت ، عن القصص التي وردت فيها.

وهذا البرنامج الحقيقة ليس برنامجاً تفسيرياً وليس برنامجاً لتعليم أحكام التلاوة أو تعليم أداء القرآن ، إنما هو عبارة عن وقفات عامة ما بين وقفات تربوية أو وقفات إيمانية أو وقفات علمية ، أو وقفات تدبرية مع آيات الله عز وجل.

نفتتح لقاءنا بالجزء الأول من كتاب الله عز وجل سائلين الله التسديد و التوفيق ، هذا الجزء الأول يحوي سورة الفاتحة ويحوي أول سورة البقرة.

سورة الفاتحة كما لا يخفى هي من أعظم سور القرآن سميّت بالفاتحة لأن الله عز وجل افتتح بها كتابه المقدّس المنزل من عنده سبحانه وتعالى.

تسمى أيضاً سورة الحمد لأن الله عز وجل حمد ذاته العلية في مطلعها ، تسمى أيضاً هذه السورة بأم القرآن والقرآن العظيم ، وتسمى أيضاً بالسبع المثاني وذلك لأن الله عز وجل ذكر في هذه السورة المقصد العظيم الذي يريده سبحانه وتعالى من إنزال هذا القرآن ففيها توحيد الباري جل وعلا ، فيها ذكر أسمائه وصفاته ، فيها إخلاص العبودية للواحد الأحد جل وعلا.

هذه السورة العظيمة الحقيقة أنها من أعظم ما يستشفى به ويرقى به ، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قرأ أحدهم أو رقا أحدهم بهذه السورة العظيمة سورة الفاتحة قال : وما يدريك أنها رقية ؟ ، يعني من الذي أخبرك بفضلها وعظيم منزلتها.

وهذا يدلك على أن فيها من الأجر العظيم ، وفيها من يعني أسباب الشفاء ما الله به عليم.

هذه السورة أيضاً كان ابن القيّم رحمه الله يقول ويحكي عن نفسه يقول : مرضت مرضاً شديداً في مكة وكنت لا أستشفي إلا بقراءة الفاتحة والشرب من ماء زمزم ، يقول كنت أقرأ على نفسي سورة الفاتحة سبع مرات وأشرب من ماء زمزم ، يقول فشعرت بأيضاً العافية والشفاء بفضل الله جل وعلا.

جاء من فضائل سورة الفاتحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة أنه قال ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، انظر الآن إلى العظمة أثر الفاتحة وارتباطها بالصلاة العظيمة المفروضة والنافلة.

يقول الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد يعني وهو يقرأ الفاتحة ، فإذا قال العبد : {الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. }

قال الله : حمدني عبدي.

فإذا قال العبد : {الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ. }

قال الله : أثنى علي عبدي.

فإذا قال العبد : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. }

قال الله : مجّدني عبدي.

فإذا قال العبد : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. }

قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

وإذا قال : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. }

قال : هذا بيني وبين عبدي.

فإذا قال : {اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. }

قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

فإذا قال العبد : {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ. }

قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

ولذا شرع في ختامها في الصلاة أن يقول العبد : آميـــن ، يعني اللهم استجب.

وقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : " من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه " كيف وافق تأمينه تأمين الملائكة ؟.

يعني أن الملائكة تؤمن في الصلاة على هذا الدعاء أي على ما أتى من الدعاء في سورة الفاتحة ، فإذا قال العبد : آميـــن يعني اللهم استجب فان الملائكة تؤمن على ذلك ، فان وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر للعبد ما تقدم من ذنبه.

أيها الأكارم من دخل في الصلاة وهو لم يستشعر عظمة سورة الفاتحة ولم يستشعر عظمة كتاب الله الجليل ولم يستشعر قربه من الواحد الأحد وأنه يقابل رب العالمين في هذه الصلاة التي هي صلة بين العبد وبين ربه ، فإذا لم يشعر العبد بتعظيم هذه العبادة العظيمة فإنها غالباً لا يشعر بأثرها على نفسه وعلى عبادته وعلى أخلاقه وعلى دينه.

ولذلك يقول الله : { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ } ، أي أن هذه الصلاة كبيرة وثقيلة إلا على الخاشعين الذين وفّقهم الله عز وجل لاستشعار هذه المعاني العظيمة.

من فضائل أيضاً سورة الفاتحة أن الله عز وجل قد يعني أمر عباده أن يقرؤوا بها في صلواتهم ، وبل جعلها ركناً في الصلوات سواءً كانت نفلاً أم فرضاً ، وأنت يعني حينما تلاحظ ستجد أنك تقرأ سورة الفاتحة يومياً فقط في الصلوات المفروضة سبعة عشر مرة ومع النوافل ربما تصل إلى أكثر من ثلاثين مرة.

هذا حقيقة يلفت نظرك إلى عظيم شرف هذه السورة العظيمة ، ومن هنا يأتي يعني أهمية الحقيقة أن نهتم بسورة الفاتحة بعدة أمور:

أولاً : بتحسين قرأتنا لها ، ربما يستغرب البعض يعني لماذا ألا نعرف نحن نقرأ الفاتحة ؟ الحقيقة أنك إذا أتيت بعض عامة المسلمين وجدت أنهم ربما ينصبون حرفاً أو يخفضونه أو يرفعونه.

وهذه الفاتحة يعني خصوصاً أنها ركن في الصلاة فإذا أخطأ الإنسان أو لحن فيها لحناً جلياً فانه يخشى عليه أن يغيّر المعنى بل هو يغيّر المعنى فيخشى عليه أن لا يعني تقبل منه صلاته خصوصاً إذا كان قادراً على التعلم.

خذ على ذلك مثالاً في قول الله عز وجل في أول سورة الفاتحة : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } ، أو مثلاً في قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، لو كسر الإنسان حرف الكاف فلم ينطقها بالرفع أو بالنصب في قول الله مثلاً كما جاء في قول الله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ، بالفتح {إِيَّاكَ نَعْبُدُ } لو قرأها الإنسان بالكسر فقال : إياكِ نعبد.

فانه يعني والعياذ بالله قد يعني نحى منحاً خطيراً في مثل هذا ، لا شك أنه ربما يكون جاهلاً لكنه يعني لا شيء يمنعه عن التعلم خصوصاً في ركن من أركان الصلاة .

فالأمر الأول أن نتعلم قرأتها ، وهذا أيضاً ظاهرة عند بعض كبار السن فلو جاء الابن أو جاءت البنت وقرأت الفاتحة أمام والدتها أو أمام والدها خصوصاً في سفر أو في جلسةٍ يعني فيها شيء من الأنس يعني أو شيء من الراحة مع الوالدين.

أقصد أن لا يأتيا في مكانٍ لا يناسب فيقول سأعلمكم الفاتحة ، لا يأتي في موطن يكون مناسباً فيقرأ عليهم الفاتحة أو يقول اقرأ علي يا والدي أو اقرأ علي يا والدتي أو كذا ، أو يأتي بأحد من الصغار يقرئه الفاتحة أمام هذين الوالدين.

سيجد حقيقة ربما أخطاءً فادحة في قراءة هذه السورة وفي أحكامها.

أحدهم يسأل جدةً له يقول لها يقول يعني صليت أو كنت أتيت مبكراً و وجدتها تصلي فسمعتها وهي في الصلاة تقول : أستغفر الله ... أستغفر الله ... أستغفر الله.

قلت لها : يا والدتي ماذا تقرئين في الصلاة ؟ ، ماذا تقولين إذا كبرّتِ ؟.

قالت : أستغفر وأدعو الله وأذكره.

قال : ما تعرفين الفاتحة ؟.

قالت : يعني الفاتحة سنة نقرأها متى يعني ان استطاع الإنسان وأنا يا ولدي لا أحفظها.

فيدلك هذا حقيقة على أحياناً التقصير الشنيع والخطير والكبير في حق والدينا تقصير منا في عدم الاهتمام بهم في مثل هذه الأمور ، فتحسين الأداء هذا الأمر الأول الذي يجب أن يعتنى به ف سورة الفاتحة.

ثانياً : العناية بتعلم أحكامها ، يعني تعلم معانيها قرأتها من بعد تفاسير سواءً كانت مختصرة أو متوسطة أو مطولّة للمتقدمين.

العمل بأحكامها ، العمل بمقتضاها {إِيَّاكَ نَعْبُدُ } تماما العبادة والإخلاص لله عز وجل { وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } هذا تمام الاستعانة بالله عز وجل ، كل هذا الحقيقة هو من تمام وصلب التوحيد.

ولذا وجب الحقيقة علينا أن نهتم بسورة الفاتحة وأن يعني نعتني بها ، وأن نعظّمها في قلوبنا.

يلي سورة الفاتحة سورة البقرة التي سميّت بالبقرة لورود قصةٍ عظيمةٍ يعني تدلك على موضوع التعنت والاستكبار ويعني التمادي أو دعنا نقول يعني عدم الصدق واليقين في سؤال أولئك اليهود لنبي الله موسى عليه السلام.

فإنهم كانوا يستكبرون وكانوا يصدون عن سبيل الله ، وكانوا يراوغون وهذا هو المقصود من هذه السورة إثبات قصة مراوغة اليهود وتعنتهم.

وهذه السورة تعد أطول سورة في القرآن وهي سورة عظيمة جاء في فضائلها عدة أحاديث ، لعلنا نستعرضها ان شاء الله بعد هذا الفاصل القصير.

)فاصل إعلاني. (

---

أيها المباركون جاء في فضائل سورة البقرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " اقرؤوا البقرة ، اقرؤوا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة. "

اقرؤوا البقرة أي اقرؤوها في بيوتكم ، اقرؤوها على أنفسكم ، استمعوا إليها ، اعرفوا معانيها ، فان أخذها بركة.

ويعني من معاني الأخذ ... القراءة ، التعلم ، التدبر ، الحفظ ، يعني تطبيق المعاني .... كل هذا من لوازم معنى الأخذ فان أخذها بركة ، بركة على الصحة بالاستشفاء ، بركة على البيت بالحفظ والصيانة ، بركة على الأطفال بحمياتهم من الشرور ، بركة على الأنفس وعلى المال ..... وغير ذلك.

فان أخذها بركة ، وتركها حسرة لأن من فقد هذه السورة ولم يتأمل معانيها ولم يأخذ من آياتها فإنه يفوته الشيء العظيم.

ولا يستطيعها البطلة أي لا تستطيعها السحرة ، ولذلك سورة البقرة أو بعض آياتها من أعظم الحقيقة ما يستشفى به بعد سورة الفاتحة والمعوذات.

ولذا لا تستطيعها البطلة أي السحرة لعظيم ما فيها من الآيات العظيمة من توحيد الله عز وجل وتعظيم ذاته جل وعلا.

سورة البقرة أيضاً جاء من فضائلها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " ان الشيطان ينفر من البيت ، يعني يهرب ويبتعد عن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة. "

افتتحها الله عز وجل بقوله : {الم } {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } ، وتقرأ أيضاً {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } ( يقرأها بقرآتين. (

أول ما يقرأ الإنسان كتاباً ويطالع كتاباً فانه يذهب مباشرةً إلى مقدمته ليعرف موضوع الكتاب ، أهداف هذا الكتاب ، الدوافع التي دفعت هذا المؤلف لتأليف هذا الكتاب ، كل مؤلف أيضاً يعني يعتذر في بداية الكتاب أو مقدمته لأنه بشر وقد يعتريه النقص والخلل ، إلا هذا القرآن العظيم فإنه نزل محكماً من عند الله عز وجل { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. }

يقول فيها رب العالمين {ذَلِكَ الْكِتَابُ } أي هذا القرآن { لاَ رَيْبَ فِيهِ } لا شك فيه ، لا مراء فيه ، لا غلط فيه ، لا وهم فهي ، لا خطا ، لا نقص ، لا زلل ، لا زلل في هذا القرآن العظيم ، { لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.}

فانك لو قرأت كتاباً مؤلفه مقتنع تمام القناعة مما يعني كتب وأهدافه واضحة ومعالمه بارزة وكان ذلك الكاتب يعني معروفاً موّفقاً يعني له خبرةٌ طويلة في مجال الكتابة ، فان هذا الأمر يزيد كقناعة للقراءة والإطلاع على هذا الكتاب.

فما بالك بكتاب الله جل وعلا الذي يعني يبيّن فيه الباري سبحانه وفي مطلعه أنه لا ريب فيه ، أنه كتابٌ محكم من عنده جل وعلا ، وهذا أيضاً فيه رد على الشكوك التي كانت تثار حول معجزة النبي صلى الله عليه وسلم.

}هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } ، كلٌ أراد أن ينتفع بهذا القرآن فانه هدى لكن قال الله { لِّلْمُتَّقِينَ } ، من هم المتقون يا رب ؟.

قال : {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } ، {والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. {

يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون .... لاحظ بما ابتدئ الله عز وجل به صفات أولئك المؤمنين ، قال الذين يؤمنون بالغيب لأن ما جاء في هذا القرآن جزء منه أمرٌ غيبي كأمر الساعة ، كأحوال أهل الجنة ، كنعيم أهل الجنة ، ما أعده الله من العقاب الشديد والعذاب الأليم لأهل النار فان هذه أموراً غيبية.

حديثه سبحانه وتعالى عن الملائكة ، حديثه عن الجن ، حديثه عن الأمم السالفة والسابقة ، كل هذا يعد من الأمور الغيبية التي لم يطلع عليها الإنسان ولم يراها بعينه ، وربما يعني كان آخر ما وقع منها مثلاً من آلاف السنين فهذا.

يدلك على أهمية هذا الركن العظيم الذي هو من أركان الإيمان وهو الإيمان بالغيب ، قال بعدها : { وَيُقِيمُونَ الصَّلاة } ولم يقل يؤدون الصلاة ، ولم يقل يؤدون الزكاة ، لأن من لوازن الإقامة الخشوع والخضوع وأن يأتيها الإنسان يعني أن يؤديها الإنسان على أكمل وأحسن وجه وهذا هو المطلوب.

ولذا من أداها بهذه الصورة أو أقامها بهذه الصورة فانه الحقيقة يشعر بعظيم الصلاة وأثرها في النفوس وهذا تجده حقيقة في بعض كبار السن ، تجده في بعض العلماء ، بعض الصالحين تجد ان الصلاة حقيقةً تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما قال الله : { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ. {

إذاً لماذا تنهى البعض عن فحشائه وعن منكره ؟ ، لأنه لم يؤديها كما أمره رب العالمين جل وعلا.

فمن صفاتهم الإيمان بالغيب ، إقامة الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، وهذا يحتمل الإنفاق الواجب والإنفاق التطوع أو إنفاق التطوع ، الواجب المقصود به الزكاة والإنفاق التطوعي ما كان صدقةً ونفلاً يعني مما يتصدق به على الفقراء والمساكين.

قال : {والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } ، وأعظم ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا القرآن هي هذه الآيات المحكمات من عند رب البريات جل وعلا ، فمن تمام أيضاً الإيمان أو لوازم الإيمان أن يؤمن الإنسان بما أنزل الله عز وجل على رسوله.

ومن كمال إيمان العبد بعد أن يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزل على النبي عليه الصلاة والسلام أن يتدبر معانيه وأن يطبّق أوامره ويجتنب نواهيه فان ذلك أيضاً من لوازم وكمال الإيمان.

وقال : { وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } من الكتب السابقة {وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } {أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. {

هذه السورة العظيمة جاء فيها ذكر ثلاثة أصناف في مطلعها خصوصاً في الجزء الأول وهم : المؤمنون .... واليهود ..... والمنافقون.

ولذا وصفهم الله عز وجل في الوجه الثاني من هذه السورة {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ. {

ثم ذكر بعدها الثلاثة أصناف التي وردت في هذه السورة.

طيب سورة البقرة لماذا سميت بهذا الاسم ؟ ، قلت لكم سابقاً كما تعلمون أنها ذكرت أو سميّت بهذا الاسم لورود قصة اليهود أو بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ، فانه قد جاء لهم وقال لهم {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً. {

فردوا عليه رداً عجيباً ، {قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } ، وهنا فائدة أن من اتخذ آيات الله هزواً أو استكبر عنها أو صدّ عنها أو لم يؤمن بها أو لم يهتم بها الاهتمام المطلوب ، فان ذلك من قبيل السخرية والاستهزاء بتعظيم شعائر الله.

} قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } ، فان والله من الجهل أن يعني يتخذ الإنسان آيات الله هزواً.

}قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ } ، هو لم يقل لهم يعني تفصيلاً معيناً ، بل قال ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة { قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ } ، أي ليست حديثة الولادة ولا فارض كبيرة { لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ } ، أي وسط بين ذلك { فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ. {

هل فعلوا ما أمروا واستجابوا ؟ ، لا بل تمادوا وبدؤوا يراوغون ، { قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا }، طيب تتعدون أنتم وتبدؤون تراوغون تبدون في موضوع التعنت فان الله سيزيدكم يعني مشقةً ويحملّكم إصراً.

}قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ { {قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. {

ماذا قال لهم بعد ذلك ؟ . زادهم يعني مشقةً ، فقال ان الله يقول : { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ } ليست من البقر الذلول التي يحرث بها الأرض { وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا } أي لا بقع فيها.

فحينها يعني استجابوا { قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ. {

وهذا حقيقة من أبرز المعاني التي جاءت في هذه السورة وفي هذه القصة ، تعنت أولئك القوم ولذا جاء من دعاء أهل الإيمان { رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } ، لأن أولئك لما تعنتوا وراوغوا زادهم الله أعباءً وإصراراً فوق إصرهم.

الحقيقة انتهى الوقت ولذا مضطرون للتوقف ، ونواصل ان شاء الله في الحلقة القادمة الجزء الثاني حتى ألقاكم على خير بإذن الله تعالى ، طبتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثاني التاريخ: ٢٠١١\٨\١١**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وأصلي وأسلم على نبيه ومصطفاه وآله وصحبه ومن والاه، مشاهدي الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته موعدنا اليوم مع الجزء الثاني من كتاب الله الكريم ومع هذه الحلقة الثانية التي نستعرض وإياكم فيها خفايا هذا الجزء العظيم من كتاب الله جل وعلا كما ذكرنا في الحلقة الماضية أننا من خلال هذه الحلقات نستعرض شيء من فوائد هذا الجزء وشيء من أسراره وحكمه وشيء من بعض الفوائد التي تمر معنا، بعض الآيات التي قد يشكل فهمها على القارئ أو كذلك بعض المفردات التي قد يغيب فهمها عن البعض، هذا الجزء العظيم من كتاب الله جل وعلا يحوي آخر أو يحوي منتصف سورة البقرة، إبتدأه الله جل وعلا بقوله بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }البقرة١٤٢ يقول ربنا في مطلع هذه الآيات العظيمة، سيقول السفهاء من الناس، السفهاء هنا المقصود بهم قيل المنافقون وقيل هم اليهود أنهم قالوا بعد ما أمر الله عزّ وجل أهل الإيمان وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في البيت الحرام في مكة المكرمة، فكما تعلمون أنه جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤم المسلمين أو كان أحد الصحابة يؤم المسلمين في صلاة العصر فأتاهم آت وهم يصلون فقال أشهد أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه قرآن يأمره بالتحول من بيت المقدس، تحويل قبلته من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، فحولوا قبلتهم إستجابة لأمر الله طواعية بلا كراهية، وهذا المسجد الذي حول فيه هذا الحدث سمي بعد ذلك بمسجد القبلتين وهو معروف الآن في المدينة النبوية.

ما الذي حدث بعد ذلك، قال أولائك المنافقون وقيد أيضا اليهود، أن أولائك المسلمون هم سفهاء لا عقول لهم، مرّة يجعلون قبلتهم نحو بيت المقدس، ثم ما بين عشية وضحاها يتحولون حول بيت الله الحرام، فدين أولائك دين حزلي دين ليس بالمتين، دين لعب، يتحولون به بين الفينة والأخرى.

قال الله كلا، من وصف المسلمون ووصف دينهم بذلك فهو سفيه مجنون لا عقل له، سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فجاءهم الرد القاسم القاطع من لدن الله جل وعلا { قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ }البقرة١٤٢ القبلة سواء كانت نحو بيت المقدس أو نحو بي الله الحرام، أو حتى لو كانت إلى الجنوب أو إلى الشمال كلها لله جلّ وعلا.

قل لله المشرق والمغرب، العبرة ليست بتحويل القبلة إلى بيت المقدس أن تكون نحو المقدس أو نحو بيت الل الحرام، أو نحو الشمال أو الجنوب، كلا أن تكون العبرة بالإستجابة لأوامر الله جل وعلا.

فأولائك أصحاب اليقين، أصحاب الإيمان وفي هذه الآية درس عملي للإستجابة لأوامر الله جل وعلا.

الكثير منا معاشر الإخوة والأخوات، ربما يمن الله عزّ وجل عليه بعبادة الإستجابة، واموار الله، تقول له صلي فيصلي، لا تأكل الحرام فلا يأكل بعد ذلك الحرام، لكن البعض قد يبتليهم بعض ذلك الله سبحانه وتعالى بالتردد بالإستجابة إذا لم تظهر الحكمة من ذلك الأمر أو من ذلك النهي، مثال ذلك، لماذا نصلي الفجر ركعتين فقط.

لماذا لا نقصر المغرب في السفر، لماذا نقصر الرباعية ولا نقصر الثنائية كالفجر والثلاثية كالمغرب في السفر، قد لا تظهر الإستجابة للإنسان فحين ذلك قد يتردد البعض في الإستجابة لتلك الأوامر، هذا الموقف يدلك على الإستجابة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك الأمر مع عدم بيان الفائدة أو الحجة من التحويل نحو بيت الله الحرام، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن تكون قبلته الكعبة في البيت الله الحرام في مكة المكرمة، لكن كثير من الناس اليوم أصبح دعونا نقول أصبح يتلكئ ويتردد عندما تظهر له الحكمة في هذا الأمر وفي ذلك النهي، ربنا جل وعلا يقول في تلك الآية، قل لله المشرق والمغرب، ماذا قال بعدها إسمعوا، { قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }البقرة١٤٢ لو تأملنا في قوله سبحانه وتعالى ووصفه بتلك الإيمان لهداية يهدي لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى سراط مستقيم.

يعطيك هذا درس أن من تمام توفيق الله وهدايته للعبد أن يوفقه ويهديه للإستجابة التامة لأومر الله جل وعلا.

ولذلك هم أهل الإيمان ومن يفعل ذلك ويتصف بذلك حقيقة والله هم أهل الإيمان، ألم نسمع قول الله جلّ وعلا: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }الأحزاب٣٦

ما في خيار بعد ذلك، إذا أتى الأمر أو أتى النهي فعلى العبد أن يستجيب طواعية لأمر الله جل وعلا، طيب من خالف ذلك، بماذا وصفه الله جل وعلا، قال { وَمَن يَعْصِ اللَّهَ }الأحزاب٣٦ انظر سبحان الله لو تردد الإنسان لو تلكى لو لم يستجب لأوامر الله فإنه يعد عاصي لله، { وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }الأحزاب٣٦ هذا الحقيقة يعطيك درس عظيم في هذه الآية في الإستجابة لأوامر الله جل وعلا، يقول ربنا جل وعلا بعد ذلك، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} البقرة١٤٣ اسمع ماذا قال

}وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا} البقرة١٤٣ ما السبب ما العلة من تحويل القبلة.

}إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ} البقرة ١٤٣ انظروا الحكمة، {وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً} البقرة١٤٣ أي أن تحويل القبلة والأمر الذي إعتادوا عليه الإنسان {وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً} البقرة١٤٣ هل هي كبيرة على كافة الناس، كلا.

} إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }البقرة١٤٣

أولائك أهل الإيمان ليس عليهم أمر كبير، يعني ليس أمر شاق أن يحول الله القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام أن لا يظهر لهم حكمة معينة في أمر من الأوامر وفي نهي من النواهي، حتى لو لم تظهر لهم الحكمة في ذلك، فإنه يستجيبون، ولذلك هو أمر عظيم شديد كبير ثقيل على النفس لكن إلا على الذين هدى الله، طيب بعد ذلك بعد تحويل القبلة، هل تبطل صلاة أهل الإسلام، هل تبطل صلاة الصحابة الكرام بعد أن كانت نحو بيت المقدس، كلا، يأتي الرد من لدن الله جل وعلا وما كان الله ليضيع إيمانكم، أي أنتم أيها السفهاء أيها اليهود وغيرهم، الآن تعلمون أن في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة إمتحان إلى الله إمتحان لعباد الله جل وعلا، أن فيه إبتلاء وإختبار، فيه من نجح وفيه من رسب، فيه من فاز وفيه من خسر وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، أولائك السفهاء لأنهم حق سفهاء لأنهم غابت عنهم تلك الحكمة العظيمة.

أيها الأكارم بعد ذلك يمر معنا قوله جل وعلا {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }البقرة١٥١ قدم التزكية على العلم، في الجزء الأول مر معنا قوله جل وعلا، {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }البقرة١٢٩ في الأولى قدم يعلمهم الكتاب والحكمة، ثم قال ويزيكيهم، هنا قال كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، قدم التزكية على العلم، هذه إشارة للحفّاظ، دائما إذا أراد الإنسان أن يحفظ المتشابهات هناك طريقة جيدة وهي الربط في الآية الأولى قدم العلم وفي الآية الأخرى قدم التزكية.

يأتي إنسان يشير ربما يكون هذا المعنى صحيح لكني أقصد أن أجعل له رابط في ذهنه يحفظ المتشابهات ويميز به الآيات المتشابهة، فيقول في الأولى يعلمكم الكتاب والحكمة، قدم العلم لأن من ثمرات العلم التزكية، إذا تعلم الإنسان العلم الخالص لله حصلت به تزكية النفس، في الثانية قال ويزيككم ويعلمكم، فحصلت التزكية والتي أخرت في الآية الأخرى.

أحبابي الكرام نقف مع فاصل قصير ثم نواصل بإذن الله تعالى.

عدنا إليكم أيها الإخوة والأخوات، مع الجزء الثاني من كتاب الله جل وعلا ومع برنامجكم ربيع القلوب، جاء في الجزء الثاني من سورة البقرة قول الله جل وعلا، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }البقرة١٧٧

يقول ربنا جل وعلا ويدلل في هذه الآية على معنى عظيم يتعلق بما بدأ الله به هذا الجزء وهو أمر تحويل هذه القبلة، يقول الله جل وعلا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، في هذه الآية يعطيك الله عزّ وجل قانون تعيش به وتنجو به حتى تسعد بها دنياك، البر ليس بتحويل القبلة نحو المشرق ونحو المغرب ليس بتفاصيل الأمور إنما البر معياره بالعمل الصالح، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة إلى آخر الآية، ولذلك قال في ختامها أولئك الذين دقوا وأولئك هم المتقون.

من الآيات العظيمة التي سبحان الله تلفت النظر، قول الله جل وعلا: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا }البقرة١٥٨ اللافت في الأمر أن هذه الآية ايها الإخوة جاءت بعد سياق آيات الصبر والبلاء والحث على إحتساب الأجر، يا أيها الذين آمنوا إستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين.

إلى آخر الآيات، ثم جاء بعدها قول الله إن الصفا والمروة من شعائر الله، العجيب أن هذه الآية هي من آيات طبعا السعي الذي يكون في الحج أو في العمرة، ما الذي أتى بها ولم يكن قبلها آيات عن الحج أو ما يتعلق بذلك.

إستنبط بعض أهل العلم من المعاصرين،أن هذه الآية جاءت لتدل على معنى الصبر وإحتساب الأجر عند نزول البلاء، كيف سعي في الحج أو العمرة يدل أو يستدل به عند موضوع الصبر عند البلاء، أنا أعطيكم كيف. بماذا يذكركم السعي بين الصفا والمروة إنه يعيدنا إلى الوراء يعيد بالذاكرة إلى تلك المرأة الضعيفة الهزيلة التي تركها زوجها مع إبنها الصغير في واد غير ذي زرع في مكة المكرمة، تلك المرأة هي هاجر عليها السلام، حينما تركها إبراهيم إستجابة لأمر الله وطاعة لأمر الله هي بعد ذلك أصبحت تطوف وتسعى بين الصفى والمروة، تذهب ذات اليمن وذات الشمال تبحث عن حثيث عن أنيس عن قريب عن منقذ عن طعام عن شراب عن مأوى، عن من يساعدهم بعد الله جل وعلا.

يذكرك هذا الموقف بتلك المراة الصابرة المحتسبة التي إستعظمت ذلك الأمر، التي إستجابت لأمر الله، فهي تذهب ذات اليمين، أنت تذهب تسعى بين الصفا والمروة، تذكر من كانت في ذلك الموقف الصعب، وهي صابرة محتسبة لله جل وعلا.

أيها الأكارم يأتي بعد ذلك ذكر آيات الصيام لقول جل وعلا، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، شوف أن هذا صيام كتب على الأمم السابقة، لعلكم تتقون، يتطرق فيه إلى الحكمة العظيمة من هذا الصيام، فمن خرج من مدرسة الصيام ولم يتحصل على عبادة التقوى التي يجعل الله بها بين عذاب الله وقاية، فإنه قد خرج راسب أو خسر بعذ النقاط ولم ينجح النجاح التام في هذه المدرسة العظيمة وهي مدرسة الصيام، من اللفتات العظيمة، ذكر آيات الدعاء، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان.

إفتحوا المصاحف الآن وتأملوا أين جاء ذكر هذه الآيات العظيمة في الحث على الدعاء، إنه بعد آيات الصيام، يلفت يعني نظرك وجود هذه الآيات في سياق آيات الصيام، أن الصيام والدعاء عبادتان مرتبطتان مع بعضهما البعض، فحال الصيام يستجاب الدعاء، وللعبد عند فطره دعوة مستجابة لا تكاد أن ترد حال الصيام حال القيام في السحر في رمضان، في أوقات العبادة، حينها يكون العبد قريب من ربه، فجاء ذكر آيات الدعاء في سياق آيات الصيام.

إنتهت آيات الدعاء، أعادت الآيات سياقها في ذكر أحكام الجماع مع النساء، {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ }البقرة١٨٧ من الآيات التي الحقيقة قد يشكل فهمها على بعض الناس ما جاء في هذه الآيات العظيمة من ذكر آيات القصاص في قوله جلّ وعلا، كتب عليكم القصاص، أو ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب.

كيف يكون بالقصاص حياة، مع أنه يفنى به الإنسان ويقتل، المعنى في هذه الآية لكم في القصاص حياة أي لكم في القصاص بقاء، والعرب كما تعرفون تقول القتل أنفى للقتل، يقول أبو العتاهية، جعل الله القصاص حياة، فكم من رجل يريد أن يقتل، يعني ربما أزته نفسه على القتل، فيتذكر القصاص، يعني أنه سيقتل بقلته لذلك الرجل أو لتلك المرأة فيتذكر فتمنعه مخافة أن يقتل.

ولذا من عرف أنه ربما يقتل ويقص ويحصل عليه أحكام القصاص بعد قتل إنسان سواء كان مسلم أو غير ذلك، فإنه يمتنع ويرتدع وينزجر ولذا بينت هذه الحكمة العظيمة، ولذا بين الله جل وعلا لكم في القصاص حياة يا ألي الألباب، أنتم من لست من أهل العقول الراجحة والعقول العاقلة الذين تنادون بأن هذا القصاص أو تلك الأحكام الجزائية هي من الأمور التي تخالف حقوق الإنسان أو هي فيها من البشاعة من الشيء العظيم، كلا،إنما فيها الحكمة البالغة لبقاء البشرية وتناسلهم والحفاظ على وحدة المجتمع وتماسك نسيجه حتى لا يكثر القتل والهرج، وهذا للأسف ظاهر في أزمنتنا المتأخرة.

فلو عملت الأمة بمثل هذه الأحكام الشرعية وبانت لها حكمتها وعمل المسلمون بها وخصوصا ولا الأمور في بلاد المسلمين لقل الشر وإنتفى ونقص في مجتمعاتنا بل ربما زال كل ذلك من تطبيق آيات الله جل وعلا، من الآيات التي تشكل فهمها على البعض قوله سبحانه وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ }البقرة١٨٥ نحن نعلم أن القرآن أنزل متفرق أو مفرق على النبي صلى الله عليه وسلم، فما المقصود من قوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، فيه ثلاثة أقوال، القول الأول أنه نزل في فضله قرآن يعني نزل في فضل شهر رمضان قرآن، كما تقول أنزل في فضل عائشة أو في تبرئة عائشة قرآن.

المعنى الثاني أنه نزل من عند الله جل وعلا إلى السماء الدنيا في ليلة القدر في شهر رمضان، ثم نزل منجم أي مفرق على النبي صلى الله عليه وسلم، حسب الأحوال والمواقف، وقيل أيضا في المعنى الثالث أنه إبتدى إنزاله في ليلة القدر في شهر رمضان، يعني كانت أول آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر في شهر رمضان، ثم يعني جعل الله نزول هذا القرآن مفرق أو على النبي صلى الله عليه وسلم.

من الآيات التي أيضا ربما يشكل فهمها، قول الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ }البقرة٢١٩

لماذا قال الله ومنافع للناس، نحن نعلم أن فيها إثم كبير وفيها باطل وأنها تضر بالصحة وبالدين وغير ذلك، هذا يعطيك درس في العدل، أن الله سبحانه يحرمها لمضرتها لكن من تمام عدله سبحانه وتعالى يبين ما فيها من المنافع، هل في الخمر والميسر منافع، قيل أنه إنتفاع بثمنها في بيعها أو ما يحصل من اللذة المطربة أحيانا للإنسان لكن هذه المنفعة أيها الإخوة والأخوات لاتوازي المضار والمساوء التي تحصل من الخمر والميسر.

اسأل الله عزّ وجل أن يرزقنا وإياكم الفقه في كتابه، وأن يجعلنا وإياكم من أهل وخاصته، نتابع في الحلقة القادمة ما تبقى إن شاء الله من بقية الأجزاء، استودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثالث التاريخ: ٢٠١١١٨١٣**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، مشاهدينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقفتنا اليوم مع الجزء الثالث من كتاب الله جل وعلا.

والذي يحوي أواخر سورة البقرة وأول سورة آل عمران، هذا الجزء مؤلف من شطرين، الشطر الأول كما أسلفت لكم، تتمة سورة البقرة والذي جاء فيها ذكر آيات عظيمة الحقيقة، منها آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن، كذلك أواخر سورة البقرة التي جاء في فضلها عدّة أحاديث وكذلك أيضا يمر معنا آيات الإنفاق، آيات الحث على الصدقة، آيات التحذير من الربا وجرمه وخطره يمر معنا أيضا قصة الوحدانية التي جاءت بين أو التي قصّت علينا أحداثها بين إبراهيم عليه السلام خليل الله سبحانه وتعالى وربه جلّ وعلا في تفاصيل سنذكرها بعد ذلك بإذن الله جلّ وعلا.

أما الشطر الثاني من هذا الجزء فكما أسلفنا أيضا هو يحوي أوائل سورة آل عمران.

بداية هذا الجزء أو بداية هذا الجزء الثالث هي بقول الله جلّ وعلا، تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، فيه ذكر تفضيل الرسل بعضها على بعض، من حيث المنزلة من حيث الخصائص من المزايا.

لكن الله عزّ وجل جعل أنبيائه سبحانه وتعالى لهم قدر ومنزلة عالية ومنزلة رفيعة، فلا يجوز أن نفضل بعضهم على بعض من الناحية الدينية أو الشرعية، إنما تفضيلهم جاء من عند الله في المنزلة في الخصائص، ولذا كان من أفضل الأنبياء، نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبه ختم رسله عليه الصلاة والسلام.

جاء بعد ذلك ذكر آية الكرسي، هذه الآية العظيمة التي من إسمها يعطيك دلالة على المهابة وعلى العظمة، الكرسي هو رمز الملك، هو أساس الحكم، هو يعطيك إشارة للمهابة للعظمة لتلك المعاني العظيمة، ولذا سميت بها آية الكرسي، يقول الله جلّ وعلا في مطلعها {اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} سورة البقره (٢٥٥) جاء في فضل هذه الآية العظيمة ما روي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له:" يا أبا المنذر، أتدري، شوف الآن السؤال الإستفهامي ليجذب وليلفت إنتباهه، يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم، يعني أتعرف أي الآيات التي تحفظها وتحملها بين جنبيك هي أعظم عند الله جلّ وعلا، قال، قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم، فسرّ النبي صلى الله عليه وسلم وفرح وضرب على صدره وقال ليهنك العلم أبا المنذر."

لاحظ أن نبيك صلى الله عليه وسلم قد سمى ووصف من حوى هذا العلم أو قدر آية الكرسي بأنه قد إتصف بصفات أهل العلم، فليهنك العلم أبا المنذر، ومن تمام العلم أن يعرف الإنسان أو أن يعلم الإنسان فضل هذه السورة و أن يعمل بها وأن يقرأ تفسيرها وأن يداوم على قراءتها في مواطنها كبعد النوم وادبار الصلوات يعني بعد الصلوات المفروضة، وعند القيام وعند النوم وعند القيام أي في أذكار الصباح والمساء، فإنها آية عظيمة يحفظ الله عزّ وجل فيها العبد في يومه وليلته.

بل جاء عند النسائي رحمه الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي دبر، كيف دبر يعني بعد أو في ختام الصلاة، والمقصود هو طبعا في ختامها لكن بعد الصلاة من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا من يموت، يعني من قرأ الآية وداوم عليها أدبار الصلوات، لم يكن حاجز بينه وبين الجنة فقط إلا الموت، فإذا مات فإنه يرجى له بإذن الله دخول الجنة.

من الآيات العظيمة التي ستمر معنا في هذا الجزء، آيات الحث على الإنفاق في سبيل الله، والتأكيد على المعنى العظيم في إخلاص النية للواحد الأحد، في حال بذل المال، الحقيقة آيات طويلة وعظيمة وفيها إسهاب لم يمر في القرآن، آيات طويلة سردت فيها أو سرد فيها الحث على الإنفاق، كهذه الآيات التي فيها ختام لسورة البقرة.

ولذا يؤكد الله عزّ وجل فيها، أهمية إصلاح النية وإخلاص القصد لله عزّ وجل والحث على الإنفاق في سبيل الله، وعدم المنّ والأذى، لا تتبعوا صدقاتكم بالمن والأذى، الحث على الأسلوب الأحسن في دفع الصدقة، قول معروف ومغفرة غير من صدقة يتبعها أذى، كل هذه المعاني، جاءت لأن الله عزّ وجل قد جعل في قلب العبد سواء كان مسلم أو كافر حب المال،ويحبون المال، كما قال جل وعلا: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً }الفجر ٢٠ هذا ليس ذم، وإنما هو وصف لعموم البشر، أنهم يحبون بأنفسهم بطبيعتهم يحبون المال، يحبون الحياة يحبون البقاء، ولكن الله سبحانه وتعالى يدعو في هذه الآيات العظيمة إلى تعويد النفس وكسر حدتها ورغبتها في المال بهذه الآيات التي تشوق المؤمن إلى الصدقة.

بعد هذه الآيات تأتي آيات الربا، وسبحان الله ميزان العدل في هذا القرآن ظاهر وبين، فهو سبحانه وتعالى يحثك على الصدقة التي تؤدبك في إستخدام هذا المال، أنفق به على نفسك ووسع به على عيالك، أنفقه في الحلال أنفقه في الطيبات ولكن أيضا إجعله وإدخره لك في الآخرة، {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }القصص٨٣

}وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا }القصص٧٧ ولكن قال بعدها { وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ }القصص٧٧ أي وازن بين حال هذا المال بالإنفاق في سبيل الله وبالإنفاق على نفسك وعيالك، وأنفقوا في سائر الطيبات والمباحات.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الرابع من القرآن ( أواخر سورة آل عمران ، وأوائل سورة النساء( تاريخ الحلقة : ٤ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وبعد. .....

معاشر الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الجزء الرابع من كتاب الله جل وعلا هو محور حديثنا اليوم.

هذا الجزء الرابع يحوي خواتيم أو أواخر سورة آل عمران ويحوي أيضاً مطلع أو أوائل سورة النساء.

هذا الجزء .... أو دعونا نتحدث أولاً عن سورة آل عمران أو أواخرها فيها الحديث عن معركتين ، يعني لو أردنا أن نتحدث ما هو محور أو مقصد أواخر سورة آل عمران فإنها في الحقيقة تتحدث عن معركتين لا ثالث لهما.

المعركة الأولى هي معركة لسانية ، معركة معنوية ليست حسية ، هذه المعركة هي معركة جبلية يعني جاءت يعني منذ خلق البشر وهي معركة الحق والباطل أو المعركة بين الحق والباطل ، فهي معركة جدلية أذليه لا تنتهي إلى قيام الساعة.

يبيّن الله فيها عز وجل بطلان عقائد أهل الكتاب في هذا الجزء ، يبيّن فيه هذه المعركة أيضاً حقيقة أهل التوحيد وما هم عليه وجزاء صبرهم وثباتهم.

ثم تختم سورة آل عمران أيضاً في أواخرها بذكر قصةٍ عظيمة وهي قصة معركة أحد ، تلك المعركة التي كانت بمثابة الدرس الحقيقة لأهل الإسلام ولمن جاء من بعدهم ، فيها دروس عظيمة تحثك على الصبر على البلاء على الاحتساب الأجر عند نزول المصائب.

من دروسها عدم التفات القلب والتفات العين أيضاً إلى أمور الدنيا ، وإذا أتت الدنيا عرضاً فحيا أهلاً بها لكن ان يكون الإنسان مقصده الدنيا دون الآخرة فحينها سيخسر خسرانا المبين {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ } {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. }

الصحابة رضوان الله تعالى عليهن كانوا على جبل الرماة ، لم يكونوا يلتفتوا بأجسامهم نحو الغنائم ولكنهم ربما بعد غياب المشركين عن أنظارهم وهزيمتهم الأولى أو الجزئية في الجزء الأول من المعركة التفتت قلوب بعضهم إلى الأخذ ما يعني الشيء اليسير من تفاهات الدنيا كل ذلك ليطعموا أنفسهم أولادهم ليعيشوا لأنهم يعيشوا حالة الفقر والمسكنة وربما الفقر المدقع.

فإنهم بعد ذلك لم يستطيعوا لما رؤوا أن الجيش قد هزم وأن خالد بن الوليد قد فرّ بجيشه نزلوا إلى ساحة المعركة ليأخذوا الغنائم فخالفوا بذلك أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، هم خالفوا أمر رسول الله وأمر رسوله هو من أوامر الله { أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ. }

ثم بعد ذلك حصلت من ما تعرفون أنه عاد خالد بن الوليد إلى الجيش وأحاط بجبل الرماة ثم وقعت المقتلة التي حتى أوذي بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

نزل بعد ذلك قوله جل وعلا : { مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ } ، كثير من المصائب ، كثير من البلايا لا تحصل للإنسان إلا حينما لا ينّقي قلبه من شوائب حب الدنيا أو حب الجاه أو حب المنصب أو حب الرفعة أو حب الاعتزاز بالذات.

إذا لم ينّقي الإنسان العبد المؤمن نفسه من هذه الشوائب وهذه التفاهات وهذه الأمراض القلبية لم يوفّق لحصول مقصوده ، لم ينجو في دنياه ولا حتى في أخراه ، لم يحصل يعني على مراد الله عز وجل من طهارة القلب وصفاء النية أو صلاح السريرة.

تختم هذه السورة العظيمة بقوله جل وعلا : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ } أي لأصحاب العقول الراجحة.

جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقابل أحد صحابته وأعطاه تلك المعلومة الخطيرة حينما قال : والله قد نزلت عليّ الليلة آياتٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها.

ما هي هذه الآيات ؟ ، النبي صلى الله عليه وسلم يتوعد ذلك المسلم الذي يمر على تلك الآيات ولا يتفكر فيها ولا يتمعن فيها بالويل ، ما هي تلك الآيات ؟.

هي قوله جل وعلا : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ } {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ } ، على كل الأحوال { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. }

طيب هل ورد موطنٌ تقرأ فيه هذه الآيات ؟..... مثلاً بعد الصلاة ، أو عند دخول مكانٍ معين ، أو في زمنٍ معين ..... ؟ ، نعم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يداوم على قراءة هذه الآية عندما يستيقظ من نومه صلى الله عليه وآله وسلم.

ففيها الحث على التفكر ، على التدبر في مخلوقات الله ، على أيضاً فيها دعاء { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً } ، ربنا ان من تدخل النار فقد أخذيته ، ففيها دعاء عظيم وتبتل لله سبحانه وتعالى.

طيب إذاً انتهت سورة آل عمران ، ما الذي يأتي بعدها ؟ ، يأتينا سورة النساء هذه السورة التي سميّت باسم النساء في دلالة على عظيم قدر أولئك النسوة ، على عظيم قدر المرأة في ديننا الإسلامي وأنها ليست محتقرة ، وأنها ليست هامشية ، وأنها أيضاً يعني مكمّلة ، وأنها هي نصف المجتمع وهي التي تلد الصف الآخر كما يقال.

سورة النساء باختصار هي سورة التشريعات ، هي الميثاق ، كل متزوج كل من أراد أن يقدم على الزواج إذا لم يأتي إلى هذه الآية العظيمة ، إذا لم يأتي إلى سورة النساء ويقرأ هذا العقد المتوازن الوثيقة المحكم من عند الله عز وجل فانه ربما لم يعش الحياة التي يريدها الله عز وجل بينه وبين أسرته أو مع أسرته.

هذا ميثاق هذه السورة عبارة عن ميثاق أسري فيها ذكر أحكام المواريث ، فيها ذكر تنظيم الأسرة ، فيها ذكر الحث على الأخلاق الفاضلة ، فيها ذكر الحث والحفاظ على اليتامى ، التحذير من سبل الوقوع في الفاحشة ..... كل ذلك من المعاني العظيمة التي وردت في هذه السورة وهي سورة النساء.

من الآيات الحقيقة التي ستمر معكم في سورة النساء ... أول سورةٍ فيها وهي قول الله جل وعلا : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ } ، ألم تلاحظوا ان النداء عام لأن هذا الأمر الذي سيطلبه الله عز وجل ويحث عليه وهو التقوى مطالب به المسلم والكافر.

{}يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ. {

في قوله جل وعلا : { وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ } ، ما معنى قوله تساءلون به والأرحام ؟.

الحقيقة الآية هذه فيها معنيين:

المعنى الأول : أي تساءلوا به والأرحام أي كما يتساءل بعضكم بعضاً بالأرحام ، تذكرون في عهدٍ ما أنه عرف عن العرب أنهم يسألون بعضهم أو يستحلفون بعضهم بالرحم .

كما جاء عن الوليد بن المغيرة حينما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فواتح سورة فصلّت ، فلما وصل إلى عند قول الله جل وعلا : {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ. }

فأخذ يده و وضعها على فك النبي صلى الله عليه وسلم أو على فيهي عليه الصلاة والسلام وقال : ناشتك الله والرحم إلا سكت ، فهو أيضاً أمرٌ يدعى به أو يستحلف به عند العرب ، يقول ناشتك الله والرحم فكأنه يستحلفنا بذلك.

وهذا القول هو قول الإمام الحسني ومجاهد رحمهم الله.

أما المعنى الثاني في قوله { تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ } : أي اتقوا الأرحام أن تقطعوها اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، كما جاء في ذلك التحذير في سورة محمد صلى الله عليه وسلم {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } ،فعد أو قرن تقطيع الأرحام بالإفساد في الأرض.

وهذا يدلك أيضاً على يسر هذه الشريعة وعظيم مكانتها ورفقها بالمجتمع الإسلامي ، يفتتحها الله عز وجل بالقسم والحث والمحافظة على هذا التواصل الاجتماعي مع الأرحام مع الأقارب ، ولك أن تتخيل إذا كانت أرحامٌ متواصلة متجاورة غير متقاطعةٍ غير متدابرة سينتج عنها مجتمع متماسك لطيف يحب بعضه بعضاً ، يتناسلون ، يتزاوجون ، يأتي منهم أولاد صالحون ..... وهكذا.

فهذا حقيقة من اللفتات العظيمة في هذه الآية الكريمة.....

دعونا نأخذ هذا الفاصل القصير ، ثم نعاود المسير بإذن الله ابقوا معنا.....

)فاصل إعلاني. (

---

مرحباً بكم وعدنا من جديد إلى هذه الصورة العظيمة سورة النساء والتي هي محور حديثنا أو محور حديثنا هي وأخر سورة آل عمران.

وكنا قد تحدثنا عن عظيم ما جاء في هذه الآية الأولى من سورة النساء في قوله جل وعلا : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً. }

في هذه الآية فائدة أنه سبحانه وتعالى استفتح سورة النساء بقوله { اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم } جميعاً أيها الناس { مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } ، وهي نفس أبيكم آدم عليه السلام.

لماذا يذكّرنا الله بهذا المعنى ؟ ، قال ليتذكر الناس أنهم خلقوا من أبٍ واحد وأمٍ واحدة ، أي خلقوا من نفسٍ واحدة.

وهو في الحقيقة لو تأملت تمهيدٌ بارع وجميل ورائع لتلقي أوامر وأحكام الله عز وجل في أحكام الأسرة ، أحكام الطلاق ، أحكام الرضاعة ، أحكام المواريث ، أحكام الحقوق الزوجية ، تلك الأوامر حقيقة هي أوامر ثقيلة على النفس إلا من آمن بالله عز وجل فإنها كما تحدثنا سالفاً تكون يسيرةً وسهلةً على الناس { وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ } ، فهو سبحانه وتعالى يذكّر العبد بأول نشأته وأول خلقته أنه خلقه من نفسٍ واحدة.

جاء بعدها ذكر آيات المواريث وان كان قد ذكر قبلها آيات الحث الحفاظ على أموال اليتامى والتحذير من أكلها أو التساهل بها.

ثم قال بعدها ربنا جل وعلا : {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ }، هنا فائدتين:

الأولى في قوله جل وعلا : {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ } ، الفائدة الأولى أن المقصود بالولد يشمل الذكر والأنثى.

الفائدة الثانية : قوله جل وعلا في قوله جل وعلا : {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ } ، هذا المعنى العظيم يقرنه حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال : " لــ الله أرحم بهذه من ولدها. "

والله أن في هذه الآية يعني ترى بعض الإخوة ربما يسمع إنساناً صاحب قلبٍ خاشع يبكي في هذه الآية فيستغرب يقول ليست آيات وعيد أو وعد أو ذكر آيات الجنة أو النار أو التحذير من عذاب الله إنما هي آيات أحكام ومواريث {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ } ، لماذا هذا يا أخي يبكي ؟ ، ممكن أنه مريض ، ممكن أن عنده مس أو سحر ؟.

كلا ..... لأن هذا الإنسان قد وفّقه الله عز وجل لقلبٍ خاشع ، وقد وهبه الله فضيلة ونعمة التدبر أصبح يتأمل ليس في ظاهر الآيات فقط بل حتى في أسرارها ويتعمق في أعماقها.

حينما يقول الله لك {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ } ، الله عز وجل يحثك على ماذا ؟ ، على الرفق بولدك ، على الرحمة بولدك ، فهو سبحانه وتعالى أرحم بولدك منك وفي هذا إشارة ورسالة لمن فقد ولده أو خليله أو صفيه من ابن أو بنت في حادث أو بسبب مرضٍ أو مات فجأة أن الله أرحم به منك ، أنه قد أقبل على ربٍ رحيمٍ كريمٍ حليمٍ رؤوف ..... سبحانه وتعالى.

فهو سبحانه وتعالى يوصي في هذه الآية بالحفاظ على الأولاد ، بالوصية بهم ، ومن أعظم ما يحافظ به الأب على الابن أن يربيّه التربية الحسنة التي هي على طاعة الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، على الأخلاق الحميدة ، على أمور المراجل والفتية ، على أمور الحياء وعبادة الخضوع لله عز وجل والمحافظة على حيائها وعبادتها ، والحفاظ أيضاً على نفسها ..... كل هذا من الوصايا التي يجب على الأب وعلى الأم وعلى أولياء الأمور ان يهتموا أيضاً فيها ببناء مستقبل أولادهم والحفاظ عليهم .

سيمر معنا أيضاً قوله ربي جل وعلا في ذكر أحكام المهر {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً }، استنبط منه بعض أهل العلم أنه ليس من الحق أو ليس من العدل أو يحدد معيار المهر ، فان الله عز وجل يقول { وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } ، وقد خالفت عجوز قامت وقد كان عمر رضي الله عنه على المنبر بعد أن حدد المهور.

قالت : وما ردك على كلام الله جل وعلا : { وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } ؟.

فقال كلمةً أظن يعني .. أتركوا عمراً واسمعوا من هذه العجوز فقد غلبته أو شيئاً من هذا القبيل ، لأنها استدلت بحكمٍ من أحكام الله جل وعلا في هذه الآية العظيمة.

فالله سبحانه وتعالى يقول بعد طلاقكم أو فصالكم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم { وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً } قال الله عز وجل : { فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً } {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً. }

هنا فائدة في قول الله جل وعلا : { وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ } ، المقصود بقوله { أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ } المقصود به حقيقة هو الجماع جماع الرجل مع امرأته.

لأنه سبحانه وتعالى في هذه الآية بل في جميع القرآن يعلمك الأدب الرفيع وانتقاء أحسن الألفاظ ، أليس هو الذي أمرنا بذلك في قوله : {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } ، يعني قل لعبادي ، قل لهم يا محمد ينتقوا أجمل الألفاظ وأروع الكلمات.

وكما وصف أهل الإيمان بعضهم كما جاء ورد عن السلف الصالح أنهم ينتقون أطايب الكلام كما ينتقون أطايب الثمر ، إذا أردت أن تنادي إنساناً فلا تناديه باسمه مجرداً ناده بأحب الأسماء إليه فإنها من الثلاثة التي تورث المودة في القلب كما جاء عن بعض السلف ، ناده بكنيته ، ناديها بكنيتها ، ناده بكلمات رائعة.

إذا ناداك والدك أو والدتك فأجبهم بأحسن الألفاظ أبشر ، سمعاً وطاعة ، أؤمر ، لبيك ، عيوني ..... كل هذه الألفاظ هي من انتقاء أحسن الكلمات.

لا تقل هـــا ، طيب ، لماذا ، ..... كل هذه العبارات انتقي أجمل الألفاظ مع والديك في الدرجة الأولى ثم مع معلميك ، ثم مع من علموك ، ثم مع أساتذتك ، ثم مع مشايخك ، ثم مع سائر الناس وعمومهم كذلك ، مع زوجته.

فإذا انتقى الإنسان هذه الألفاظ الجميلة حصلت المودة ، حصلت الرحمة ، إذا تأملت هذا القرآن ما بين دفتيه جميع هذا القرآن العظيم ستجد أن الله يرسّخ هذا المعنى العظيم وهو انتقاء أجمل الألفاظ { وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ. }

الله عز وجل يقدر يعني يستطيع سبحانه وتعالى أن تأخذون هذا المهر وقد جامعتموهم ..... لا ولكن الله سبحانه وتعالى اختار هذه الألفاظ العظيمة ليربّي فينا معاني الحياء ، معاني اللطف ، معاني انتقاء أجمل الألفاظ.

يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : الإثراء في هذه الآية هو المقصود به الجماع ولكن الله كريمٌ يكنّي ، يعني لا يفصح مثل هذه الأمور وهذا حقيقة من تمام الشريعة وعدلها.

من المعاني حقيقة أيضاً التي ستمر معنا في هذه السورة قوله جل وعلا : {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } {وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ } { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً. }

الله عز وجل يريد أن يتوب على عباده ، يريد لهم العفة ، يريد لهم العفاف ، يريد لهم معاني الاحترام والرفعة والمحافظة على الأخلاق العالية الرفيعة ، لكن كثيراً وللأسف من الناس { وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ. }

كثير من الناس من غير المسلمين ومن الناس الذي يسيرون على خطا غير أهل الإسلام يريدون منا أن نتحلل من أخلاقنا ، يريدون من المجتمع الإسلامي أن يكون مجتمع متفسخاً ، يريدون منك أنتِ أن تلبسي البنطال والعباءة المخصّرة ، وأن تلبسي اللبس القصير ، وأن تتركِ الحجاب ، وأن تجعلِ المكياجات و وسائل الزينة على نفسك.

يريدون منك أنت أيها الشاب أن تلبس اللباس الفاضح ، أن تتقلد بالغرب ، أن تتحرر من الدين { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً. }

ارجعوا إلى بداية الحديث ، ارجعوا إلى بداية السورة وتذكروا أن سورة النساء هي ميثاق للأخلاق الأسرية ، للأخلاق العالية ، للمجتمع المحافظ الأخلاقي ، للميثاق الذي يحافظ الله به عز وجل على البناء الأسري المجتمعي الذي يحفظ فيه أخلاق الإنسان وعقائده وعقيدته ومجتمعه وهو بذلك يكون امرئً صالحاً في هذه الحياة الدنيا.

ينتهي الجزء الخامس في أواخر سورة النساء ، ثم يأتينا غداً بإذن الله الجزء السادس الذي يحوي أخر سورة النساء وأوائل سورة المائدة.

حلقتنا اليوم انتهت لكن برنامجنا لم ينتهي ، ألقاكم بإذن الله في حلقة قادمة وأنتم على خير وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه والسلام عليكم ورحمة الله.

.....

خلاصة الحلقة:

في هذه الحلقة وكما هو المعتاد وصل الشيخ ناصر القطامي إلى الجزء الرابع من القرآن الكريم وهو نهاية سورة آل عمران وبداية سورة النساء.

في أواخر سورة آل عمران تتحدث عن معركتين لا ثالث لهما : معركة حسية لا قتال فيها وهي بين الحق و الباطل ، و المعركة الثانية معركة أحد.

ثم تختم سورة آل عمران أيضاً في أواخرها بذكر قصةٍ عظيمة وهي قصة معركة أحد ، تلك المعركة التي كانت بمثابة الدرس الحقيقة لأهل الإسلام وبما فيها دروس عظيمة تحث المسلمين على الصبر على البلاء على الاحتساب الأجر عند نزول المصائب.

ومن ثم يأتي الشيخ إلى سورة النساء التي هي مطلب أن يقرأها كل شخص يقبل على الزواج لما فيها من التشريعات ، ذكر أحكام المواريث ، فيها ذكر تنظيم الأسرة ، فيها ذكر الحث على الأخلاق الفاضلة ، فيها ذكر الحث والحفاظ على اليتامى.

ويعرض الشيخ بعض الآيات في هذا الجزء التي تبين عظمة هذا الدين ، ويطلب منا الشيخ إلى أن ننتبه إلى أنفسنا نحن الرجال والنساء الشباب والفتيات إلى أن لا نضل ونتبع الشهوات لأن لا نميل ميلاً عظمياً كما في قوله { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً. }

.....

**اسم الحلقة : الجزء الخامس النساء( تاريخ الحلقة : ٥ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وبعد معاشر الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته موعدنا اليوم مع الجزء الخامس من كتاب الله عز وجل الذي يحوي سورة النساء أو أغلب سورة النساء ولذا سيكون حديثنا اليوم ربما يكون مركز نوع ما على سورة النساء.

هذه السورة العظيمة التي تسمى سورة النساء الكبرى هل هناك سورة نساء صغرى ؟

نعم هناك سورة الطلاق التي يطلق عليها أهل العلم سورة النساء الصغرى لأن الله عز وجل قد تحدث فيها عن أحكام النساء وأحكام الأسرة وأحكام الطلاق وأحكام الولد والحامل والمرضع وما ينتج عن ذلك.

أما سورة النساء الكبرى التي هي تسمى سورة النساء فإن فيها العديد من الأحكام والشرائع وما يتعلق بأحكام الأسرة وبناء المجتمع الإسلامي وحفظ حقوقه وحفظه من الشبهات والشهوات ولذا مقصد سورة النساء أو موضوعها العام أو دعونا نقول الهدف الذي ركزت عليه سورة النساء هذه هي المعاني التي هي تنظيم شؤون الأسرة البيت المسلم المجتمع الإسلامي التربية النفسية على العبادة.

كل هذه المعاني تجدها ظاهرة في سورة النساء ، الحقيقة سورة النساء سورة عجيبة سمية ، يعني هي السورة الوحيدة في القرآن التي سميت سورة النساء ثم تليها سورة مريم التي سميت باسم امرأة من النساء هذه السورة بمثابة الميثاق الغليظ للتكافل الأسري.

لقيام المجتمع المسلم الأخلاقي النفسي الأمن الفكري الأمن الشرعي كل هذا تجده ظاهرا في سورة النساء ولذا جاء في هذه السورة العظيمة الدعوة إلى تدبر القرآن مع أن الدعوة إلى تدبر القرآن جاءت في ثلاثة سور أو في أربع.

السورة الأولى سورة النساء في قول الله عز وجل { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. }

والموضع الثاني في سورة المؤمنون في قول الله عز وجل {أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آبائهم الأولين } والموضع الثالث في سورة ص في قول الله عز وجل { كتاب أنزلناه إليك مباركا ليدبروا آيته وليتذكر أولو الألباب } ، أما الموضع الأخير فو في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله جل وعلى { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها. }

ووجود إشارة الدعوة إلى التدبر في سورة النساء يدعوك الحقيقة إلى التأمل ، أن هذه إشارة عظيمة للمجتمع المسلم والأسرة المسلمة أن تتأمل خصوصا في آيات القرآن عامة وفي سورة النساء خاصة.

كل بيت أراد أن يسعد أراد أن يبنى على الحب والمودة وعلى الإيمان وعلى الصلاح وعلى التوفيق وعلى وجود البركة فليرجع إلى سورة النساء وليتأمل آياتها وليتأمل معانيها.

لماذا ذكرت هذا لأن سورة النساء أشبه ما يكون بالخريطة التي إذا سار عليها المجتمع المسلم والبيت المسلم فإنه ينجو ، أغلب المشاكل التي يمكن أو يتوقع حدوثها قد ذكرها الله عز وجل في هذه السورة وأوضح بيان علاجها وحلها.

الكثير من الإشكاليات التي ربما تنتج بحكم المخالطة أو المعاشرة فإن الله عز وجل قد جعل حلها وعلاجها في هذه السورة ، الأمور التي يجب على المسلم وعلى الزوج وعلى الزوجة وعلى عموم أفراد المجتمع المسلم أن يتمسكوا بها تجدها ظاهرة في هذه السورة.

دعونا نبحر وإياكم الآن سويا في ذكر ما على المسلم وعلى أهل البيت المسلم أن يستمسكوا به وأن يتمسكوا به ، لاحظوا في ذكر قوامة الرجل في قول الله عز وجل { الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم. }

فيذكر فيها القوام وحتى لا يأتي إنسان ويقول القوامة هي للمرأة وهي مشتركة بين الرجل والمرأة كلا إنما القوامة للرجل لكن القوامة لا تعني الضرب لا تعني التسلط لا تعني الإيذاء إنما هي من رحمة الله عز وجل أن أودع اللطف والسكينة والحرمة في هذه الأنثى وأودع القوة والصبر والتحمل والجلد في ذلك الذكر وهو الرجل ولذا فإن القوامة المقصودة بها هذه المعاني التي يحفظ الله عز وجل بها المرأة والأنثى.

من الآيات التي أيضا تشير إلى هذا المعنى وأن سورة النساء بمثابة الميثاق الذي ذكر الله عز وجل كل شيء فيه للبيت المسلم التحذير من أسباب الوقوع في الفاحشة { واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم. }

الأمر بالعدل وخصوصا بين الزوج والمرأة ،{ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. }

الميل القلبي الذي ربما يحدث أحيانا من الرجل إلى أحد زوجاته ، هو لا يكره الأخرى لكن يميل بطبيعته إلى أحد زوجاته فإن الله ز وجل قد عفى عن هذا وقد ذكره في هذه السورة { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة. }

لا يعني الميل الميل بالعدل والحيث إنما المقصود الميل القلبي أن يحب تلك المرأة على الأخرى ، التحذير من خطر الشيطان وعداوته وأنه كيف يفسد المجتمع الإسلامي وتحديدا كيف يفسد المرأة والشاب والرجل والبيت المسلم.

كما ذكر الله عز وجل عنه { إن يدعون من دونه إلا إلافا وإن يدعون إلا شيطان مريدا لعنه الله. }

من ذلك أيضا التحذير من التشبه بالكفار أو المنافقين أو ما شاكلهم أو تغير خلقة الله التي خلق الله العبد عليها { ولآمرهن فليغيرن خلق الله } فضل السعي في الإصلاح ظاهرة في هذه السورة العظيمة.

}لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } ، انظروا للمشاكل التي ربما تطرأ على المجتمع المسلم ربما تطرأ على الأسرة على الزوجة والزوج كلها في إصلاح نشوز المرأة في غيرها.

التثبت عند سماع الإشاعات هذا أمر خطير { وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم. }

الأمانة بين الزوج والمرأة هل هي موجودة بين الزوج والمرأة نعم وظاهرة { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتمت بين الناس أن تحكموا بالعدل. }

هي آيات عظيمة يراد بها جميع البشر جميع الخليقة جميع من اتصف بدين الإسلام ولكن الزوج والزوجة المجتمع الإسلامي أيضا يخصون بهذه الآيات.

حقوق القرابة حقوق والدة الزوج والدة الزوجة القريبة العمة الخالة موجودة في هذه السورة واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين إلى آخر تلك الآيات.

طيب إذا حدث عدم وفاق وحصل طلاق لا قدر الله بين الزوجين ما الحل ما التوجيه يأتي التوجيه الرباني من لدن الله عز وجل { وإن يتفرقا يغني الله كل من سعته. }

لكنه ذكر وسائل تسبق أمر الطلاق وموضع الطلاق لعلها أن تكون حلا لعدم وقوع مثل هذه الأشياء ، إذا أحبابي الكرام هذه السورة العظيمة كما ذكرت هي ميثاق غليظ وعظيم لحماية وصيانة البيت المسلم والمجتمع الإسلامي.

كل إنسان من الله عليه بالزواج أو أراد أن يقدم على الزواج ليرجع إلى سورة النساء ليتأمل في معانيها ، خذ تفسير ولو يسيرا التفسير الميسر تفسير الشيخ السعدي زبدة التفسير واجعله مصاحبا لك واقرأ في هذه الآيات.

بالإضافة إلى بعض ما يتحصل عليه الإنسان مثلا من الدورات المهارية في فن التعامل وغير ذلك ولكن هذا هو الأصل الذي يقوم عليه البيت المسلم وما من خير إلى دل عز وجل عليه ودل عليه رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه لحظات ثم نواصل لا تذهبوا.

---

عدنا إليكم أيها الأخوة وكنا قد تحدثنا عن هذا الميثاق العظيم الذي جاء في سورة النساء وجاء في القرآن بشكل عام وهذا في السورة يعنى بالبيت بإحياء وصيانة بيت المسلم وصيانة الزوجين وتربيتها التربية النفسية الأخلاقية الإيمانية الفكرية العلمية الأمنية كل هذا تجده ظاهرا في هذه الآية أو هذه الصورة.

وتحديدا في هذا الجزء الذي هو الجزء السادس أو الجزء الخامس عفوا وتختم هذه الآيات في سورة النساء أو في الجزء الخامس بذكر تفصيل عن المنافقين.

العجيب أن آيات المنافقين التي وردت في سورة النساء أطول من السورة التي خصصت للمنافقين والتي عنونة بسورة المنافقون.

وذلك لخطرهم وشديد بأسهم وإذا ربطت ما بين ذكر النساء وذكر صيانة المجتمع المسلم في هذه السورة وذكر التحذير من المنافقين وبيان خطرهم وشديد عداوتهم وأنهم كما قال الله إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار مع أن الكفار ليسوا كذلك مع أنهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان وأعلنوه فإن الله عز وجل عاملهم بما يستحقون.

إذا ربطت بين ذكر المنافقين وذكر ما ذكرناه قبل قليل وجدت أن المنافقين ومن سار على شاكلتهم واقتفى أثرهم للأسف فإنه يحذوا حذوهم وتجد أن من أعظم أهدافهم إفساد المرأة لأن المرأة أيها الأخوة وأيها الأخوات فسدت المرأة فإن المجتمع بأكمله يفسد.

وتجد أن المرأة إذا صلحت صلح يعني البيت على الأقل أو صلح كثير من أهل البيت صلح الزوج بعد توفيق الله عز وجل فلينتبه لمثل هذا ولينتبه وليحذ من خططتهم وعداوتهم فإن بأسهم شديد كما قال الله عز وجل.

من الفوائد التي ربما تلفت النظر في هذا الجزء قول الله عز وجل { ومن يقتل مؤمن متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. {

يقول الله فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ، طيب لو كان مسلما أو مؤمن وحصل له ذلة قدم فقتل هل يخلد ذلك القاتل في النار ؟

هذا الحقيقة سؤال يستشكل على بعض الناس فالجواب جاء على بعض أهل العلم أن المراد بمن يخلد في النار أن القاتل الذي يخلد في النار أن القاتل الذي يخلد في النار هو القاتل المستحل لذلك الذي يستحل ما حرم الله وكل من استحل ما حرم الله فإنه يكفر بذلك ولذلك يخلد في النار.

وقيل أن هذه الآية أصلا قول الله ومن يقل مؤمن متعمدا فجزاءه جهنم أنزلت في رجل كان مسلما أو مؤمنا ثم قتل وارتد عن الإسلام فنزلت هذه الآية تغريضا في شأنه ويعني بيان عظم شأنه وعظم جرمه.

ولذا ذهب جمع من التابعين إلى أن للقاتل توبة ، القاتل الذي يقتل ثم يتوب فإن توبته تقبل وهذا هو الصواب إن شاء الله ، هو صحيح يتوب وموضع القصاص أو موضوع الدية هذا موضوع آخر يتعلق أو شأنه إلى أهل القتيل فإن شائوا وعفوا عنه وإلا طلبوا القصاص أو رضوا بالدية.

جاء في هذه الآية أيضا قول الله عز وجل واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ، لماذا خص الله عز وجل اتباع ملة ابراهيم دون موسى مثلا أو عيسى عليهما السلام الجواب على هذا أن دين أو أن الديانة التي كان يدعوا إليها ابراهيم عليه السلام هي الحنيفية وهي أمر أو دين مشترك أو ملة مشتركة يعني جميع الشرائع السماوية كالنصرانية كاليهودية والدين الإسلامي يدعوا إلى الحنيفية وهي عبادة الله وحده لا شريك له ولذا رضيت به أو رضي به جميع الأمم فهو محق في دعاءه ولذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم اتباع ملة ابراهيم حنيفا.

في قول الله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم الحقيقة غاب عنا قبل قليل أن أشير اشارة مهمة أنه قد جاء الوعيد الشديد في التساهل في الدماء وقتل الأنفس ظلما وعدوانا فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لزوال الدنيا كل الدنيا أهون على الله من إراقة دم مسلم بغير حق أو قال من قتل رجل مؤمن كما جاء عند الإمام البيهقي رحمه الله.

ولذا من شدة وشناعة هذا الموضوع ذهب الإمام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ترجمان القرآن إلى أنه ليس للقاتل توبة والعياذ بالله لشناعة ذلك الأمر.

سيمر معنا أيضا قول الله عز وجل في نداء إلى أهل الإيمان بقوله { يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله } يقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله هل قوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا تكرار لا فائدة منه الصواب لا أنه ليس في القرآن شيء تكرر ليس له فائدة إنما كل شيء تكرر له فائدة وحكمة.

والمعنى في قوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي كأنك تقول اهدنا الصراط المستقيم أي ثبتنا على الصراط المستقيم فمعناه يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على الصراط المستقيم.

سيمر معنا أيضا قول الله عز وجل إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم هل معنى هذا أن الإنسان إذا اجتنب الكبائر فإنه لا بأس أن يفعل أو يقترف الذنوب الصغائر ؟ لا.

الله عز وجل يقول إن تجتنبوا كبائر الذنوب ، كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، أولا هنا فائدتان الأولى كما قال الإمام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الكبيرة يعني ما تعريف الكبيرة لما تقول إن تجتنبوا كبائر أو فلان فعل كبيرة الكبيرة كل ما توعد الله عز وجل عليه في الدنيا والآخرة.

وابن عباس يقول كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ، طيب إذا ترك المؤمن الصغائر أو ترك الكبائر وفعل الصغائر هل يغفر له كلا لكن المقصود إن تجتنبوا قدر استطاعتكم يعني ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه تتركوا كبائر إطلاقا وتجتنبوا الصغائر قدر استطاعتكم نكفر عنكم سيئاتكم كما قال الله في سورة النجم.

والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ، اللم هي صغائر الذنوب والتي والله المستعان لا يكاد يسلم منها أحد.

جاء أيضا في هذه السورة العظيمة قول الله عز وجل { الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيبا قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين.

سم الله الظفر في هذه اللآية ظفر المؤمنين سماه الله فتحا فإن كان لكم فتح ، سمى الله ظفرا أهل الإيمان بالفتح ونسبه إلى نفسه إجلالا لهذا الأمر فإن كان فتح من الله فنسبه إلى نفسه جل وعلى أما ظفر الكفار يعني حتى لو غلبوا في معركة أو غزوة أو غير ذلك فإن الله عز وجل قد سمى ظفرهم نصيبا ولم ينسبه إلى نفسه.

وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم لم ينسبه إلى نفسه سبحانه وتعالى ولم يسمه ظفرا أو فتحا بل سماه نصيبا ، ستمر معكم آية عظيمة قرأت على الحبيب صلى الله عليه وسلم طلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه هذه السورة فقال قرأت عليه حتى بلغت قول الله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك أي يا محمد على هؤلاء شهيدا.

يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوا بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ، هذه الآية لما لها النبي صلى الله عليه وسلم أو بلغها ابن مسعود في قراءتها قال له عليه الصلاة والسلام حسبك الآن.

يقول ابن مسعود فالتفت إليه فإذا عيناه لم يقل تدمعان بل تذرفان من شدة نزول ذلك الدمع ، علق بعض أهل العلم على هذه الآية فقال أنه صلى الله عليه وآله وسلم بكى شفقة ورحمة بأمته أنه كيف قد سبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ثم بعد ذلك يأتي فلان أو فلانة الذين عصوا الله ورسوله وخالفوا أمره واجتنبوا طاعته وسلكوا نواهيه وخالفوا أوامره جل وعلى والرسول صلى الله عليه وسلم.

فإنه يشهد عليهم يوم القيامة ويراهم يعذبون أمامه فقال بعضهم معلقا على هذا أي كيف تكون تلك الأحوال حينما يجتمع حكما عظيم حاكم كامل العدل كامل الحكمة كامل العلم بشهادة ازكى الخلق وهم الرسل عليهم السلام.

يشهدون على أممهم مع اقرار المحكوم عليهم فهذا والله أحكم الأحكام وأعدلها أسأ الله عز وجل أن يتوب علينا وأن يحسن نياتنا وأن يجعلنا وإياكم متبعين مقتفين لهدي نبينا صلى الله عليه وسلم.

بهذا نكون قد أتينا على بعض ما في هذا الجزء الخامس من كتاب الله ثم نواصل في الحلقة القادمة بمشيئة الله ما تبقى من الجزء السادس أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه نلقاكم في الحلقة القادمة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء السادس من القرآن ( أواخر سورة النساء ، وأوائل سورة المائدة ( تاريخ الحلقة : ٤ / ٨ / ٢٠١١**

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبيه وعبده وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد. .....

معاشر الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لقاءنا اليوم عن الجزء السادس من كتاب الله عز وجل الذي يحوي خواتيم سورة النساء وأوائل سورة المائدة.

هذا المقطع الأخير من سورة النساء يحوي الحديث عن حال أهل الكتاب وشيء من أباطيلهم وشيء من حججهم الذي يضحدها هذا القرآن.

الحديث عن العقائد المنحرفة ، الحديث عن المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ومواقفهم مع عيسى عليه السلام واتخاذه آلهة وادعائهم صلبه ، كل هذا يمر علينا في ختام سورة النساء.

من أيضاً الأشياء العظيمة التي وردت في ختام سورة النساء نفي عقيدة التثليث التي يدعيها النصارى ويعني أبوة الله عز وجل أو نفي الأبوة عن الله سبحانه وتعالى ، يقول ربنا جل وعلا في مطلع هذا الجزء أو في أوائل هذا الجزء.

بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً. }

هذه الآيات العظيمة أيضاً تبيّن هذه العقيدة الصافية الصحيحة السليمة ، هذه الآيات اليسيرة فيها من الحكم البالغة على اختصارها ما يغني عن الكثير من الحديث ، ما يغني عن الكثير من المؤلفات التي يقنع الله عز وجل بها من شرح صدره للهداية لهذا الدين.

تختم سورة النساء بشيء مما افتتحه الله بها وهي آيات المواريث ، فتختم بآيات يعني ذكر أحكام الكلالة أو في حالة حصول الكلالة وكما قال الله : {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ } ، ما معنى الكلالة ؟.

هذه هي الحالة هي يعني من مات وليس له ولد ولا والد يسمونه أو يطلقون عليه في أحكام الفرائض من مات وليس له أصل ولا فرع.

ثم بعد ذلك تفتح بعدها سورة المائدة هذه السورة العظيمة التي يحق لنا حقيقة أن نسميها سورة العدل ، سورة القسط ، سورة الوفاء التي هي أيضاً تعد ميثاقاً لهذا الأمر العظيم .

جاءت في هذه السورة ثلاث آيات وربما أكثر تحث على الوفاء بالعدل أولاها ما افتتحه الله عز وجل بقوله : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ } انظر الآن استفتاح يعني هذا الأمر يعطيك إشارة لما هو بداخل أو موضوع السورة ، لأنه إذا أردنا أن نعرف دائماً موضوع السورة فلننظر إلى افتتاحيتها والى خاتمتها فغالباً ما تدور السورة حول الموضوع الذي تستفتح به أول السورة وأخرها.

فالله عز وجل يفتتحها بالأمر بالوفاء بالعهود ، ثم يقول سبحانه : { وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ } أي لا يدفعنكم بغض قومٍ { أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ } ، لا يدفعنكم بغض قومٍ على أن لا تعدلوا معهم وعلى أن تبخسوا حقهم { اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. }

وفي الآية الثالثة يقول ربنا : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } ، وغيره حقيقة من الآيات التي يدعو الله عز وجل فيها إلى هذا المعنى العظيم.

أحبابي الكرام سورة المائدة سورة مدنية السورة المدنية كما تعرفون تعتني دائماً بتقرير جوانب التشريع ، ذكر الأحكام الشرعية غالباً ، هذه السورة أو في هذا الجزء تحديداً من السورة تناولت أحكام العقود ، أحكام الذبائح ، أحكام الصيد ، أحكام نكاح الكتابيات ، أحكام الردة ، أحكام الطهارة ، حدّ السرقة ، حدّ شارب الخمر والميسر وأحكامهما ، تطرقت أيضاً إلى ذكر كفّارة اليمين وغيرها من الأحكام.

في هذا الجزء أيضاً يمر معنا المناقشة العقلية لعقائد أهل الكتاب وبيان بطلان ما يعتقدون ، ويمر معنا أيضاً في سورة المائدة ذكر ثلاث قصص اثنتين منها في الجزء السادس الذي نحن الآن بصدده والقصة الثالثة في آخر سورة المائدة يعني في الجزء السابع.

أما القصة الأولى التي معنا في الجزء السادس فهي قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وأمره لهم بالدخول الأرض المقدسة التي هي أرض بيت المقدس سميّت الأرض المقدّسة لسكن الأنبياء فيها وتواجدهم فيها فقد طهرّوها فنسب الله عز وجل القدسية والطهارة لوجودهم.

هذه القصة تعطيك دلالة عظيمة على معركة التمرد والطغيان التي عرف بها اليهود وعرفوا بها عبر الأزمنة الطويلة ، وكل ذلك كان أيضاً رفضهم لدخول الأرض المقدّسة وتلكئهم وترددهم ، كل ذلك بسبب ركونهم إلى الدنيا وتعودهم على الرعونة والمخالفة وعدم الصدق في أقوالهم.

أما القصة الثانية فهي قصة ابني آدم عليه السلام في قول الله عز وجل : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ } ’ ماذا قال لما تصدق وقرّب قرباناً ولم يتقبل منه ؟ ، {قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. }

هذه القصة أيضاً قصة ترمز إلى الصراع بين الحق والباطل ، بين الشر والخير ، وكما قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : " ما من رجل يقتل إلا وكان على ابن آدم الأول كفلٌ منه " أي لأنه هو من سن القتل فتأمل كيف أثر السيئة وأثر الحسنة.

ونبي الله عليه الصلاة والسلام يقول كما جاء في الحديث الشريف " أن الحسنة لها أثرها ..... وقد غاب الحديث عني الآن ، ولكن جاء عن صلى الله عليه وآله وسلم أن من سنّ في الإسلام نعم سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن في الإسلام سنة سيئة فله وزرها و وزر من عمل بها. "

من أخرج إصداراً غنائياً من مثلّث يعني مسلسلاً لا يناسب أو أمر فيه أمر محرّم أو مخالف للشريعة ، من سهّل لبعض المسلمين يعني اقتراف المنكرات أو يعني اقتراف المحرمات فانه عليه أن يحذر من ذلك.

بالمقابل دعونا أن نرى ونشاهد إلى من بنى مسجد ، من علّم القرآن ، من دعا إلى الخير ، من دعا إلى الإصلاح ، إلى أعمال البر ..... فأولئك أيضاً قد سنّوا سنةً حسنة فان شاء الله لهم أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

هذه قصتان أما القصة الثالثة فهي في الجزء السابع يعني في آخر المائدة وهي قصة عيسى عليه السلام وطلب قومه إنزال المائدة ، دعونا أيضاً نؤجلها إلى الحلقة القادمة بإذن الله.

من الأحكام التي الحقيقة أو الفوائد التي تمر معنا ويجب علينا أيضاً أن ننتبه لها قوله جل وعلا : {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ }، تأمـــل { وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ. }

جاء عن بعض أهل العلم أن أم موسى وأن هاجر عليها السلام وأن مريم عليها السلام هم أنبياء أو رسل ، فهل كانت مريم عليها السلام أو أم موسى أو هاجر عليها السلام زوجة إبراهيم عليه السلام هل كانوا أولئك النساء هنّ من الأنبياء أو الرسل ؟ ، سؤال غريب ربما البعض لأول مرة يستمع إلى هذا السؤال ، ربما نحن يتوارد إلى ذهننا أو على ألسنتنا دائماً قولنا عليها السلام ، فهل يعني بدعائنا بالسلام على تلك النساء أنهن أنبياء ؟.

الدليل واضح وبيّن وظاهر لمن تأمل في آيات الله ، يقول الله .. اسمه الرد ، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً } ، أي لم نبعث قبلك يا محمد من الأنبياء { إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم } ’ فالجواب في هذه الآية أنه لم يبعث الله جل وعلا نبياً ولا رسولاً إلا من الرجال ولم يبعث أحداً من النساء كما وهم ابن حزمٍ وغيرهم.

أحبابي الكرام دعونا نتوقف للحظات ثم نواصل حديثنا...

)فاصل إعلاني. (

---

مرحباً بكم أيها الإخوة والأخوات ، من الآيات العظيمة قول الله جل وعلا على لسان أهل الكتاب وادعاهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصلبوه قولهم جل وعلا عنهم : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ. }

طيب إذا كانوا هم يعلمون أنه رسول الله حقيقةً فلماذا يقتلوه ؟ ، قال أهل العلم على هذه المسألة ثلاثة أجوبة:

الأول أن الله عز وجل أورد هذه الآية {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ } أنهم قالوها على وجه التهكم يعني نحن قتلنا المسيح الذي تدعون أنه رسول الله ، هذا معنى.

المعنى الثاني أنهم قالوا { إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ } ، حسب ادعاء المسلمين ، يعني كما تدعون أنتم أيها المسلمون أنه رسول الله.

أما الجواب الثالث فانه قد يقال أن المقصود به أن من قال هذا هو الله جل وعلا ، أن من قال رسول الله هو الله جل وعلا.

طيب على هذا القول كيف تكون قراءة الآية ؟ ، تكون بهذه الصورة {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ } فعلى هذا القول إذا كان من عند الله يأتي الرد { رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ } ، هذا أيضاً أمر يجب يعني أن ننتبه له أن لهذا المسألة ثلاثة أجوبة إما أن يقوله هو القائل جل وعلا ، وإما قالوها على سبيل التهكم والسخرية ، أو أنهم قالوها على حسب ما يدعيه أهل الإسلام.

أيها الأحباب سورة المائدة حقيقة أنها سورة عجيبة جاء فيها من الآيات والعبر الشيء الكبير ، حتى أنه جاء يعني عن أصحاب الكندي وهو رجل فيلسوف قالوا له : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن ، يعني نحن نريد أن نتحدى ما دام أنك فيلسوف فاعمل لنا شيئاً مثل هذا القرآن.

قال : نعم ولماذا لا أعمل ، قال فاحتجب عنهم أياماً وأطال المدة يعني بقي أياماً طويلة ولم يخرج إليهم ، فتوقعوا أنه فيلسوف وحكيم ربما يخرج يوم بالكثير يومين ثلاثة.

فلما خرج عليهم أتاهم فقال : والله لا أقدر أن أفعل مثل هذا ، بل والله لا يطيق احدٌ فعل مثل هذا إني فتحت المصحف قال أتيت لأخرج يعني قرآناً مثل كتاب الله يقول فلما فتحت المصحف وقعت عيني على سورة المائدة.

يقول فخرجت علي سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ، ونهى عن النكث ، فحلل تحليلاً عاماً ثم استثنى استثناءاً ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في كم ؟ ، في سطرين فقط ، ولا يقدر أحدُ أن يفعل أو أن يأتي بمثل هذا إلا في مجلدات ، فهذا الحكيم سبحانه وتعالى قد يعني جعل البلاغة التامة في كتابه سبحانه وتعالى ، وهذا ظاهر أيضاً وبيّن في سورة المائدة.

من أيضاً من الآيات التي ستمر معنا في سورة المائدة وهي آيات عظيمة يعني ذكر أحوال اليهود وتلاعبهم وادعائهم وافتراءهم على الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى حاكياً عنهم : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } ، أي أنها محبوسة عن الإنفاق وأنها قاصرة حاشى وتعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

فجاءهم الرد {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } ، إذا كانت يد الله مغلولة فمن أنطق ألسنتكم ومن حيا حرّك جوارحكم ؟ ، ومن أحيا قلوبكم ؟ ، ومن جعلكم تنطقون أصلاً بمثل هذه الكلمات ؟ ، من أعطاكم القوة ؟ ، من أعطاكم البأس ؟ ، من أعطاكم الذكاء ؟ ، من أعطاكم الصحة ، أليس ذلك من فضل الله سبحانه وتعالى ، فهو ينعم على الإنسان كان كافراً أو مسلماً.

لكنها إذا لم يشكر فانه يأخذه سبحانه وتعالى أخذ عزيزٍ مقتدر ، وإذا شكر العبد وحمد الله عز وجل وقابل تلك النعمة بالشكر فانه يجزيه سبحانه وتعالى الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة.

وكان بعض السلف إذا قرأ مثل هذه الآية يخفض صوته فلا يرفع بها صوته فسألوه عن ذلك قالوا : لماذا إذا قرأت قول الله {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } يعني قولٌ فيه شناعة فلماذا لا ترفع صوتك ؟.

قال : إني أستحي مما قاله أولئك اليهود أولئك الأخباث الذين ادعوا يعني المنكر والفحش على الله جل وعلا.

في هذه الآية فائدة وهي أنه لا يكاد يسلم أحد من الناس ومن الخلق ، فإذا كان الخالق جل وعلا لم يسلم من خلقه فما بالك بأنبيائه وأصفيائه الذين ادعى عليهم أقوامهم بالجنون والكهانة والسحر والشعوذة والمرض ونحو ذلك.

فالله عز وجل يسلّينا في هذه الدنيا يسلّينا في كتابه ، اليهود قد تكلمت عنه يعني خبثاً ومكراً أن يد الله مغلولة فقال الله : { غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ. }

وقالت النصارى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } ، فالله ج وعلا لم يسلم من أذى خلقه فكيف بي وبك ، كيف بعموم البشر ، كيف بسائر الخلق.

ان في هذه الآية لعبرة ولذكرى أن يعمل الإنسان وأن لا يلتفت إلى وراء ظهره { فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ } {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ. }

ليجعل الإنسان ما جعل الله عز وجل عيني الإنسان من الأمام إلا لينظر إلى الأمام لا لينظر من الخلف ماذا قيل فيه ؟ ، ماذا تكلموا عنه ؟ ، ماذا أسروا بأنفسهم تجاهه ؟.

كلا فعلى الإنسان أن يعمل ويحسن النية ويسأل الله التوفيق وتكون أهدافه واضحةً وخطته مرسومة يستشير من حوله يستشير أهل العقول الراجحة أهل الدين والرجاحة في العقل ثم يتوكل على الله ويجعل ثقته بالله حاضرةً { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. }

نهاية الجزء السادس يختمه الله عز وجل أيضاً بذكر بعض ما ادعته اليهود والنصارى وما حل عليهم من اللعن والسخط بسبب منكرٍ فعلوه ، هذا المنكر لم يكن زنى ولا فاحشة ولا لواطاً أعزكم الله ولا غيره إنما كان أمراً للأسف لا يعده الناس أو بعض الناس منكراً يعني لو أقل يعني لو ذكرت لكم هذا الأمر الذي بسببه لعن بنو إسرائيل ربما يندهش البعض.

هذا الأمر الذي بسبب لعن بنو إسرائيل هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه العبادة الجليلة التي فضلّت بها الأمة أمة محمد صلى الله عليه وآله و سلم {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ } ، أنتم خير أمة بماذا يا رب ؟ ، {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ. }

فهذه العبادة العظيمة لما تركها بنو إسرائيل وكانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا زنى الكريم فيهم أو الرفيع فيهم لم يقيموا عليه الحد ، قال الله عز وجل : {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } {كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } {تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. }

هل يعقل ان كثيراً من الناس اليوم الذين تنازلوا عن عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ربما يأخذهم الله أخذ عزيزٍ مقتدر ؟ ، نعم.

القرآن يا أحبابي من أعظم ما يفسّر به القرآن تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسنة ، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة ، ثم تفسير القرآن بأقوال السلف.

دعونا نفسّر القرآن بالقرآن ونربط القرآن بالقرآن وهذا خصوصاً للإخوة الحفظة أو الأخوات الحافظات الذين منّ الله عليهم بالحفظ عليهم أن يعملوا جانب التدبر فإذا أتت آية تناسب موضعاً عليهم أن يربطوا فيما بينها ولو بكتابة شيء يسير سواءً كان في ورقةٍ خارجية أو على هامش صفحات المصحف.

هذا المنكر العظيم الذي فعلوه هل ربما يخصف الله مثلاً بهم أو يعاقبهم ؟ ، نعم كما جاء في هذه الآية وفي قوله جل وعلا : {وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً } يا أخي خلاص انتهي عنهم اتركهم هم يفعلون المعاصي أنت ما لك إلا ان تنصحهم مرة وخلاص ..... لا إنما المطلوب منك ومني أن نتعاون وأن نثابر وان نواصل على الأمر بالمعروف تقديم الأمر بالمعروف ، ثم إذا حصل المنكر فننهى عن المنكر.

طيب إذا لم نفعل ذلك ؟ قال الله عز وجل : { قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ } ، يعني نحن نفعل ذلك والأمر بالمعروف حتى لو لم يستجيب الناس معذرةً إلى ربنا { قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } ، {فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ. }

فالأمر خطير جد خطير فلنبدأ بإحياء هذه الشعيرة المباركة شعيرة الأمر بالمعروف التي عدها بعض أهل العلم ركناً سادساً من أركان الإسلام نحييها مع أنفسنا نأمر أنفسنا بالمعروف وننهاها عن المنكر أبنائنا ، أزواجنا ، قريباتنا ، أقاربنا ، والدينا ، أصدقاؤنا ، مجتمعاتنا ، جيراننا ، لنحيي هذه الشعيرة ليس بالضرورة أن تكون فقط باللسان إنما بالكتاب بالمطوية بالشريط بالابتسامة بالرسالة بالكتابة ..... إلى غير ذلك.

أسأل الله عز وجل أن يحيي قلوبنا بطاعته وأن يرزقنا وإياكم الفقه في دينه وتدبر آياته وكتابه ، ألقاكم بإذن الله في الحلقة القادمة وأنتم على خير وفي خير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

ملخص الحلقة:

يستكمل الشيخ ناصر القطامي في برنامج ربيع القلوب وفي هذه الحلقة يتحدث في الجزء السادس من القرآن العظيم وفيه أواخر سورة النساء ، وأوائل سورة المائدة.

تختم سورة النساء بشيء مما افتتحه الله بها وهي آيات المواريث ، فتختم بآيات يعني ذكر أحكام الكلالة ، ونفي عقيدة التثليث التي يدعيها النصارى على أبوة الله رب العالمين وحاشى لله.

أما في سورة المائدة فهي سورة مدنية السورة المدنية تعتني دائماً بتقرير جوانب التشريع ، ذكر الأحكام الشرعية غالباً ، في هذا الجزء تحديداً من السورة تناولت أحكام العقود ، أحكام الذبائح ، أحكام الصيد ، أحكام نكاح الكتابيات ، أحكام الردة ، أحكام الطهارة ، حدّ السرقة ، حدّ شارب الخمر والميسر وأحكامهما ، تطرقت أيضاً إلى ذكر كفّارة اليمين وغيرها من الأحكام.

وفي هذا الجزء من سورة المائدة قصتان هما قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل والقصة الثانية هي قصة ابني آدم عليه السلام.

وفي الختام يذكّر الشيخ ناصر الأمر الذي عذّب الله به بني إسرائيل لأمرٍ هو قد يعتبره البعض يسير ولكن هو لشديد ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيطلب منا الشيخ ناصر أن نتقيد بهذا المضمون الذي خصنا الله به نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

.....

**اسم الحلقة : الجزء السابع تاريخ الحلقة : ٧ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد الغر المحجلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم أيها الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب الذي يأتيكم على هذه القناة المباركة.

أيها الأخوة الجزء السابع هو محور حديثنا اليوم ، الجزء السابع من هذا الكتاب العظيم الذي يحوي أواخر سورة المائدة وأيضا أول سورة الأنعام ، سيمر معنا في سورة المائدة استمرار للأهداف التي كانت تركز عليها سورة المائدة والمقصد العظيم من تقرير بعض الأحكام الشرعية ومناقشة بعض بطلان عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى والوثنيون الذين يعني يخالفون أر الله عز وجل وبطلان عقائدهم وشيء من ذكر أحكام التبادات كأحكام الوصية كأحكام السفر كأحكام أكل الميتة كأحكام صيد البحر وغير ذلك.

في هذه الصورة في آخر جزء من سورة المائدة يمر معنا أيضا القصة الأخيرة التي حدثتكم عنها في الحلقة الماضية وكنا قد ذكرنا أن سورة المائدة فيها ثلاثة قصص القصة الأولى قصة موسى مع بني إسرائيل في دخول الأرض المقدسة.

القصة الثانية قصة ابني آدم والقصة الثالثة هي قصة عيسى عليه السلام مع قومه وطلبهم إنزال المائدة حين قالوا بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. }

هذه القصة العجيبة التي يطلب فيها بني إسرائيل من عيسى عليه السلام أن ينزل ربه عليهم مائدة من السماء طلب غريب عجيب لكنه جزء من التعنت والإستنكاف والإستكبار .

وقيل أيضا أنه تحد وقيل أنه طلب يعني هل يستطيع يقدر وقيل أيضا لماذا لا ينزل يعني نحن نريد ، كما تقول هل تستطيع أن تقوم معي يعني اذهب معي فهم يقولون اجعل ربك ينزل وقيل أيضا أن معناه هل يستطيع ربك يعني هل يقدر ربك جل وعلى أن ينزل علينا مائدة.

انظر للتفاهة انظر لضحالة العقول انظر للإيمان إذا غاب من القلوب وحل بدلا عنه تحكيم العقل دون الرجوع إلى الشرع والموازين الشرعية يقول هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء.

ربه خلقكم وأوجدكم من العدم وهو أعظم من إنزال المائدة لكنه من حرص أنبياء الله عليهم السلام ذهب عيسى عليه السلام داعي ربه قائلا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيد لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين.

فجاءه الرد من عند الله قال الله إني منزله عليكم فمن يكفر بعد منكم فإن أعذبه عذابا لا أعذبه أحد من العالمين ، وهذا أيضا من لطف الله سبحانه وتعالى ورحمته وحكمته ويسر دينه جل وعلى فإنه قد استجاب لأمرهم لكن شريطة أن لا يتخذوا ذلك ألعوبة أو هزوا فإنه سبحانه وتعالى سينزلها عليهم إن كانوا سيؤمنون حقا.

أما إن كفروا بعد ذلك فإن الله قد توعدهم بعذاب لا يعذبه أحدا من العالمين ، أيضا من الآيات الحقيقية التي تذكرنا بلحظات الخشوع ونزول الدموع هي تلك الآية التي بكى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرأها أو قام بها ليلة كاملة يقرأها ويرددها ويبكي صلوات الله وسلامه عليه.

ما هي هذه الآية اسمعوها ، يقول ربنا : {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } نبيك صلى الله عليه وسلم يقرأها ويتفكر فيها ، أيعقل أن إنسان يقوم ليلة كاملة قرابة ربما سبع ساعات أو أكثر بقليل يردد هذه الآية إلا أنه يتعمق في معانيها ويتفكر في آياتها.

يقول ربنا إن تعذبهم فإنهم عبداك ملك لك وأنت أحق بهم ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم لم يقل الغفور الرحيم لأنه من عزته ربما يوهم أنه عفا وغفر ورحم سبحانه وتعالى يعني لضعف ذاته حاشاه وتعالى الله سبحانه وتعالى.

لكنه من تمام عزه وعظمته وحكمته سبحانه وتعالى فإنه يعفوا ، وإنه لا يعفوا سبحانه وتعالى لضعف أو لعدم قدرة تعالى الله جل وعلى.

من الآيات أيضا التي تحي القلوب وتعيدنا بالذاكرة إلى أولئك النفر من رهبان النصارى الذين حرك الله أو أحيى الله قلوبهم لسماع آيات الكتاب حينما تنزل عليهم يحكي الله عز وجل وصفهم بقوله : {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ. }

ترى أعينهم تفضي من الدمع ووصف القرآن وصف بليغ رائع جميل تفيض ، لم يقل دمعت مجرد دمع بل كانت تفيض أعينهم إجلالا لذلك الكتاب تعظيما لمنزل ذلك الكتاب جل وعلى ، { تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. }

وفي هذا فائدة أن القلب إذا تحرك مع القرآن وتدبر آيات الكتاب العزيز فإن على الإنسان أن يستغل تلك العاطفة التي أوجدها الله في قلبه نحو كتابه بالمواصلة بالتدبر بإحياء القلب بالتعاهد مع القرآن.

والأمر الثالث بالدعاء عند القرآن فإن هذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كما قال ابن عباس لما قام معه قال لم يمر بآية فيها سؤال إلا سأل ما مرت آية فيها تعوذ إلا استعاذ تمر آيات النار أو قول الله فاستعذ بالله فإنه يستعيذ صلى الله عليه وسلم في نفسه.

وإذا مرت آيات الوعد آيات الجنة آيات الرحمة آيات المغفرة فإنه يسأل الله تعالى من فضله وكان هذا هو دأب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يسمى التفاعل مع الآيات.

فؤلئك النفر من الرهابان كانوا يتفاعلوا مع الآيات تفيض أعينهم من ما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين سواء كان ذلك في حال القراءة أو حتى بعد قراءة القرآن.

ثم يحكي الله عز وجل قائلا عنهم {وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ. }

لاحظوا كيف القرآن استطاع تغير قلوب أولئك كانوا فإن منهم قسيسين ورهبان وأنهم لا يستكبرون ، بعد سماعهم للقرآن وتأثرهم به وتحرك قلوبهم معه آمنوا يقولون ربنا آمنا بعدها تحولوا إلى مرحلة أعلى فاكتبنا مع الشاهدين.

ثم بعد ذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، انظر للمرحلة الثالثة فأثابهم الله بما قالوا وبصدق ما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين انظر للمرحلة الرابعة.

يا إخواني أرجوكم والله إني أدعوكم دعوة محب أدعوا نفسي قبل أن أدعوكم جميعا إلى أن نتفاعل مع كتاب الله أن نحيي قلوبنا مع القرآن إذا قيل تدبر القرآن فهم القرآن سماع القرآن قراءة القرآن فضل وشرف القرآن لا تذهب أنظارنا أو أذهاننا إلى موضوع قراءته قراءة عارضة في السيارة أو في العمل أو في المكتب بدون حضور قلب.

إنما المقصود من إنزال كتاب الله عز وجل المقصود الأعظم هو العمل بالقرآن طيب ما هو المفتاح للتأثر بالقرآ ن والعمل بالقرآن إنه التفكر ، إذا تأمل الإنسان في آيات الله وجعل بينه وبين كتاب الله علاقة وطيدة وسال الله عز وجل التوفيق والسداد وأصلح ما بينه وبين قلبه وزكى نفسه فإنه سبحانه وتعالى يحيى قلبه بهذا القرآن ويجعل من حياته حياة أخرى حياة سعيدة هانئة بكتاب الله جل وعلى.

أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح دعونا نتوقف للحظات ثم نعاود المواصلة بإذن الله.

---

عدنا إليكم أيها الأخوة والأخوات ومع الجزء السابع من كتاب الله عز وجل الذي حوا أواخر سورة المائدة وأول سورة الأنعام ، بعد نهاية سورة المائدة يأتينا سورة الأنعام السورة المكية العظيمة التي تحدث الله عز وجل فيها عن تقرير التوحيد وشيء من ما واجهه الرسل مع أقوامهم وذكر بعض الشرائع والأحكام.

وإذا أردنا أن نتحدث عن سورة الأنعام فالحقيقة أن موضوعاتها قد تركزت على موضوعات ثلاثة ، الموضوع الأول هو قضية توحيد الألوهية يعني ترسيخ توحيد الألوهية أما الموضوع الثاني فتجدها تتحدث عن موضوع الرسالات عن موضوع الوحي عن موضوع الأنبياء عن موضوع ما لاقوه من أقوامهم فهذا تجده ظاهرا وبينا في هذه السورة.

أما المقصد الثالث والموضوع الثالث الذي تحدثت عنه سورة الأنعام فهو موضوع الجزاء والبعث والنشور ويوم القيامة وذكر أهوالها وشيء من ما يتعلق بذلك.

هذه هي مواضيع ثلاثة تجدها واضحة في سورة الأنعام ، وكما تحدثت قبل أيام في أحد الأيام أنك إذا أردت أن تعرف موضوع السورة العام تقريبا فانظرا إلى أولها أو افتتاحيتها وخاتمتها مثلا سورة الأنعام افتتحها الله عز وجل بالحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده ثم أنتم تمترون يقرر جانب التوحيد ، توحيد الألوهية ، تختتم بقول الله عز وجل قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون.

فيه هذه السورة الحقيقية يسميها البعض من أهل العلم سورة الدعوة أو سورة الدعاة لن جاء فيها ذكر أحوال الرسل مع أقوامهم وما واجهوه حال دعوتهم لهم والآيات التي كانت تنزل على نبي الله صلى الله عليه وسلم لتثبت فؤاده ولتصبره على ما يلاقيه من قومه كما فعل بأنبياء الله عز وجل من قبله.

من الآيات العظيمة التي أيضا ستمر معنا في هذه السورة العظيمة قول الله عز وجل أليس الله بأعلم بالشاكرين هذه الآية الحقيقة تلفت نظرك إلى أمر هام وهو أن الله عز وجل يعلم من عبده هم شكر نعمة الله أو كفرها وجحدها أم لم يشكرها حق الشكر.

نحن نعلم أننا نتقلب ذات اليمين وذات الشمال في نعم لا تعد ولا تحصى ، وربنا جل وعلى حينما ذكر منته على عباده قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، لو تأملت لوجدت أن الله وإن تشكروا نعمة الله وإن تعدوا نعمة الله لا تشكروها.

لا مجرد الشكر أصلا يستحيل أن يشكر العبد ربه على كل ما أنعمه عليه لكن مجرد الإحصاء أن أحصي أنا وإياك النعم التي امتن الله بها علينا واله أنه مستحيل وإن تعدوا فقط مجرد العهد تريد أن تحصوا نعمة الله لا تستطيعون لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار.

فالله عز وجل يقول هنا أليس الله بأعلم بالشاكرين ، كما ذكرها في سورة الأنعام وكان بعد السلف إذا قرأ هذه الآية أليس الله بأعلم بالشاكرين يقول لإإذا فاتت العبد أي نعمة قدم على وظيفة لم يوفق لها قدم على عمل معين لم يتيسر له دخل في تجارة فلم يتوفق فليعلم أنه ابتلاء وليقرأ على نفسه قول الله أليس الله بأعلم بالشاكرين.

أليس الله بأعلم الذي يستحق هذه النعم العظيمة لأنه شكرها وقدم يعني نعمة الله عز وجل فأدى حقها.

هل هناك فرق بين الحمد والشكر ؟

الحمد يكون دائما باللسان فقط أما الشكر فيكون باللسان والجوارح يعني الشكر أن تقول الحمد لله على نعمة الله ثم تشكره بالجوارح بأداى الحقوق والواجبات وترك المحرمات والمخالفات.

فإن كثير من الناس ربما يغلب جانب الحمد على جانب الشكر ويظن أنه يشكر الله يقول لأ عليك أن تشكر الله بلسانك وبجوارحك وأطرافك.

من الآيات العظيمة التي ستمر معنا قول الله جل وعلى لنبيه عليه الصلاة والسلام {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. }

هذه الآية مباشرة تأخذك بالذاكرة إلى سورة الكهف وتذكر بقول الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا.

هذه الآية العظيمة فيها فائدة وهي الأمر لنبي الله صلى الله عليه وسلم والأمر له ولأمته بعده أن يلزموا مجالس الذكر أن يصاحبوا الأناس الطيبين الأطهار الأخيار الذين يعينونهم على الخير ويحبسونهم عن الشر يتناصحون في ما بينهم يتذاكرون في ما بينهم يتعاونوا لرضى الله عز وجل وطلب مرضاته.

وهنا تجد الله عز وجل قال يريدون وجهه في رسالة وإشارة إلى التمسك بالأخوة الصالحون والأخوات الصالحات الذين جعلوا وجه الله عز وجل مرادهم يريدون وجهه.

فإذا كان الإنسان قد أحب إنسان لوجه الله حبا في الله لما يراه من الخير فيه لما يراه إلى مسابقته إلى الطاعات لما يرى له امتثال الأخلاق الحسنة فهذا محبته محبة خالصة ، أما أن يسول الشيطان للإنسان فيقول لفلان أو فتاة تقول لفتاة أخرى أنا أحبك في الله لمجرد يعني أمر دنيوي أو لمحبة عارضة كدراسة أو غير ذلك فهذا حقيقة لا يدخل ضمن المحبة في الله والأخوة في الله التي يأجر عليها المسلم ، ولكنها تعد محبة أو أخوة دنيوية ربما لا يأثم لكنه إذا أراد أن يكون مأجورا عليها فعليه أن يتقي الله فيها وأن يحسن النية.

من القصص التي تمر معنا في هذا الجزء السابع قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه في قوله سبحانه وتعالى وإذا قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ، إني أراك وقومك في ضلال مبين.

القصة ستقرئونها وتقرئون تطالعون معانيها هي قصة عجيبة في إثبات وحدانية الله عز وج وإلوهيته جل وعلى كما قلنا أنها من مقاصد هذه السورة العظيمة فيدور ذلك الجدل بين ابراهيم وأبيه وقومه حتى يتبين ويظهر الحق في قول الله جل وعلى إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين.

ويبين لهم بالعقل والحجة أو البرهان الواضح أن الله عز وجل هو الخالق أنه هو المحي هو المميت وأنه هو الذي يستحق العبادة والنذر والذبح وصرف العبادة الكاملة له سبحانه وتعالى.

فيقول عليه السلام أتحاجوني في الله وقد هدان ، كيف تحاجوني وتطلبوني أن أعبد مخلوق خلقه الله عز وجل أو هو من الجمادات ربما ولكن أنا أطلب من العبد أيضا أن يفكر بعقله ويرجع إلى شريعة ربه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن فيها الحجة البالغة والدامغة والواضحة التي تدلل على عظمة هذا الرب جل وعلى.

من أيضا الآيات التي ربما تمر معكم قوله جل وعلى يا أيها الذين آمنوا إنما الخير والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لماذا لم يقل فإنه محرم فلا تفعلوه أو اتركوه.

الأمر بالإجتناب أبلغ من التحريم يعني أبلغ من نص التحريم كيف ؟

لما قال الله عز وجل ولا تقربوا الزنا إذا مجرد القرب هو حرام فكيف بالزنا هو أشد حرمة فالله عز وجل لما يقول فاجتنبوه أي اجتنبوه بالكلية يعني ابتعدوا عنه وهذا من بلاغة آيات القرآن أسأل الله عز وجل أن يحينا بكتابه وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح نلتقي إن شاء الله في حلقة قادمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثامن تاريخ الحلقة : ٨ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله الذي خلق فسوى وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وأصلي وأسلم على النبي المصطفى والحبيب المجتبى محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم معاشر الأخوة والأخوات أحييكم بتحية الإسلام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومع هذه الحلقات القرآنية من برنامجكم ربيع القلوب والذي نتحدث فيه اليوم عن الجزء الثامن من كتاب الله الذي يحوي آخر سورة الأنعام وأول سورة الأعراف.

ختم الله عز وجل سورة الأنعام بذكر شيء من أحوال المكذبين وما يلاقوه يوم القيامة من العذاب إضافة إلى ذكر تصرفاتهم الجاهلية في تحليل الحرام وتحريم الحلال ثم بعد ذلك يختم الله عز وجل أيضا بذكر الوصايا العشر التي جاءت فيها عشر وصايا من الله جل وعلى وهي بمثابة أيضا الأمور التي يحفظ الله عز وجل بها حقوق العباد مع ربهم وفي ما بينهم.

يقول ربنا جل وعلى بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. }

إلى آخر هذه الآيات التي جاء بعدها الذكر الحث على حفظ أموال اليتامى ولا تقربوا مال اليتيم والحث أيضا على الإفاء بالكيل والميزان وأيضا التزام صراط الله عز وجل المستقيم.

هذه السورة العظيمة سورة مكية كما ذكرنا في الحلقة الماضية وكما افتتحها الله عز وجل بذكر توحيد ألوهيته فإنه عز وجل قد ختمها أيضا بنفس المقصد وبنفس الهدف وبنفس الأيام التي تحدثت عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } ، يلي سورة الأنعام أيها الأخوة المباركون سورة الأعراف وهي سورة مكية وتعد من أطول السور المكية وهي تسمى أيضا طولى الطوللين لأنها من أطول السور بعد سورة البقرة.

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أم الناس بها في صلاة المغرب على ركعتين ولكن صلوات الله وسلامه عليه لم يكن ذلك من هديه دائما.

لكن كما هو من المعلوم كان من هديه أن يقرأ القصار المفصل من سورة الضحى وحتى آخر القرآن إلى سورة الناس ولكنه قرأ بها واكن هذا أيضا من عمله عليه الصلاة والسلام أنه يقرأ بغير المفصل أحيانا كما جاء عنه أنه قرأ بالطور أو بالمرسلات وغير ذلك.

هذه السورة العظيمة سورة الأعراف تعرضت لمشاهد يوم القيامة ذكر أحوال أصحاب الأعراف ذكر أهل الجنة وحالهم وذكر أهل النار والحقيقة أنها من الآيات العظيمة والمهيبة التي يصور الله عز وجل ذكر أحوال أهل النار والعياذ بالله وذكر أحوال أهل الجنة وهم يدخلونها وهم ينادون أهل النار.

في تصوير عجيب سبحان الله يأخذ بالألباب ويأسر العقول ، من أيضا الآيات التي ستمر معنا في هذا الجزء الثامن وتحديدا في سورة الأعراف ذكر قصص من الأنبياء ابتدئهم الله عز وجل بنوح عليه السلام ، لقد أرسلنا نوح إلى قومه وكذلك نبيه هود عليه الصلاة والسلام وصالح عليه الصلاة والسلام وشعيب عليه السلام وموسى عليه الصلاة والسلام في ذكر آيات طويلة من قصة موسى عليه السلام تعد من أطول القصص أيضا في ذكر قصة موسى صلوات الله عليه.

وتجد قصة موسى بإسهاب ذكرت أيضا بالأعراف وذكرت أيضا في سورة القصص وشيئ أيضا من الإسهاب نوعا ما في سورة طه ، كثير من الناس حينما يقرأ قول الله عز وجل {وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ. }

يسأل الكثير جاء كر أصحاب الأعراف بين ذكر أهل الجنة وذكر أهل النار ، إذا من هم أهل الأعراف أو أصحاب الأعراف.

جاء في وصفهم أو في تعريفهم أقوال كثيرة لكن الراجح منها والله تعالى أعلم كما رجحهم وهو الشيخ السعدي في تفسيره أن أهل الأعراف أو أصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يصيروا إلى الجنة ولم يصيروا إلى النار فبقوا في مكان بارز معروف يقال له أولئك هم أصحاب الأعراف.

فهم ينادون أهل الجنة وينادون ربهم يطلبون منه الرحمة المغفرة فبعد ذلك يغفر الله عز وجل لهم ، من الآيات التي أيضا مرة معنا في سورة الأنعام سورة عظيمة تؤكد وترسخ موضوعا مهم للأسف تفشى في هذه الأيام وهو الإفتاء على الله أو القول على الله بغير علم.

يقول ربنا جل وعلى عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم {قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ. }

يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه ان لا أجد في ما أوحي إلي من كتاب الله عز وجل ومن أوامر الله أ، شيئا من الطيبات حرم عدا هذه الثلاثة إلا يكون ميتة أو دم مسفوح أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسق أهل لغير الله به لكنه سبحانه وتعالى أنزل علي أقصد النبي صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ربه جل وعلى قوله سبحانه يا أيها الناس كلوا منا ما في الأرض حلالا طيبا ، يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فالأصل في المأكولات والمشروبات الحل إلا ما جاء النص بتحريمه.

فبعض الناس ربما طلب من نبي الله عز وجل تحريم شيء أو حرمه على نفسه فنبي الله عليه السلام قل لا أوحي في ما أوحي إلي محرما على طعام يطعمه التحليل والتحريم بيد الله أنا إنما رسول من عند الله أبلغكم أوامره ونواهيه كما جاء عنه سبحانه وتعالى في مدح نبيه صلى الله عليه وسلم وتبرأته في سورة النجم.

وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ينزل عليه وحي فيبلغكم إياه لا يأتي إنسان فيقول هذا من عند رسول الله وهو يحرم أمر كذا أو يحل أمر كذا إنما هو من عند أم الله عز وجل ولذا فإن موضوع التحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله أمر في غاية الخطورة وأمر في غاية الشناعة وهو يعد من القول على الله بغير علم.

وقد جاء الوعيد الشديد في ذلك بقوله سبحانه وتعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا.

لاحظ أمور عظيمة وما حرمه الله الشرك ويقربن بالشرك ماذا ؟

قال وأنت تقولاوا على الله ما لا تعلمون استحياء من أحد أو حتى لا يقال فلان لا يعرف ومن قال لا أدري فقد أفتى ولا أدري هي نصف العلم وعلى الإنسان أن يتقي الله في مثل هذا وأن لا يجامل أحدا على حساب دين الله جل وعلى.

من الآيات العظيمة التي هي من الوصايا العشر في هذه السورة سورة الأنعام قول الله عز وجل قول {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً } لاحظوا وصفها بالصراط المستقيم صراط واحد {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. }

لماذا قال صراطي وصفه بالصراط الواحد وقال لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله هذا كما ذكرناه في حلقة ماضية من أن النور واحد والظلمات عدة ، يخرجهم من الظلمات إلى النور.

جمع الظلمات وأفد النور لأن النور واحد طريق الهداية واحد طريق الإستقامة واحد وهو طريق الله أما الظلمات فهي عديدة وأنا هذا صراط مستقيم صراط الله مستقيم واحد وأما السبل التي تؤدي بالعبد إلى الهاوية إلى الجحيم إلى عقاب الله فإنها متعددة وكل صراط عليه شيطان يدعوه إلى ذلك السبيل.

أحبابي الكرام دعونا نتوقف لحظات ثم نعاود المواصلة بإذن الله تعالى.

---

عدنا إليكم والحديث أيضا عن سورة الأنعام وسورة الأعراف التي هي أيضا يحويها الجزء الثامن من كتاب الله جل وعلى ، من الآيات حقيقة سورة الأعراف حديثه سبحانه وتعالى عن قصة موسى عليه السلام مع قومه.

وهذه السورة العظيمة سورة الأعراف كما ذكرنا حوت زء كثير أو عدد كبير من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه القصص بالمناسبة تورد في القرآن لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية له على ما يواجهه من قومه من الصد والإستكبار والإستنكاف عن قبول دعوته عليه الصلاة والسلام.

والحكمة أيضا من هذه القصص التي تورد في القرآن لأخذ العظة والعبرة من هذه القصص سواء للنبي عليه الصلاة والسلام أو لصحابته الكرام أو حتى لمن جاء بعدهم من أهل الإسلام الذين يقرأون هذا القرآن ويأخذون منه العبر العظيمة.

بالمناسبة القصص ، القصص القرآني قصص محكم يقول عنه ربه جل وعلى ومنزل هذه الآيات نحن نقص عليك أحسن القصص وأحسن القصص لا شيء بعدها ولا شيء فوقها ولا شيء أعلى منها وقد بحث أهل اللغة في مفردة تعد أعلى رتبة من وصف أحسن فلم يجد لا أروع ول أجمل.

فكلمة أحسن تعد يعني من أعلى المراتب في الوصف والحسن ولذا سمى الله عز وجل أو وصف كتابه بأنه أحسن الحديث الله نزل أحسن الحديث كتاب متشابها.

ولذا فإن هذه القصص الإلكترونية تعدد قصص محكمة متقنة فيها الروعة فيها البهاء فيها الجمال فيها الجمال البياني فيها القصة التي تناسب الصغير والكبير تناسب الحاكم والمحكوم تناسب الغني والفقير تناسب طالب العلم وتناسب الإنسان العامي.

فيها حقيقة من العبر ما الله عليم ، ولذا فإ، كثيرا من المربين وكثيرا يعني المهتمين بجانب التربية يوصون كثيرا بتدريس هذه القصص للشباب الصغار وللناشئة خصوصا.

ليأخذوا منها العبرة ليحيوا وقد تمثلوا قدرات أمام أعينهم وهم أنبياء الله وقد صبر بعضهم كما صبر نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاما وهو يدعو قومه لا يأخذ أجرة ولا مكافئة كل ذلك طلب في ما عند الله ومرضاته ولذا جاء في آيات الله عز وجل الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بالرفق في دعوة قومه وأن لا يتعب نفسه أو يهلكها .

فيقول ربنا جل وعلى لنبيه عليه الصلاة والسلام لعلك باخع نفسك لعلك مهلك نفسك أن لا يكونوا مؤمنين يا محمد إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء.

فالحقيقة أن هذه القصص العجيبة تعطيك إشارة ودلالة عظيمة لصبر أولئك الأنبياء لسعة حلمهم لجدهم لمثابرتهم يستفيد منها الإنسان حقيقة جانب الهمة العالية الصبر المصابرة المرابطة البذل في سبيل الله التضحية نكران الذلات.

يعني أيضا أن لا يكون الإنسان همه الصف الأول بل لو كان في المؤخرة أو في الساقة أو في الميمنة أو الميسرة صبرهم على جلد العيش وما عانوه من بعض المتابع كل هذا تجده ظاهرا في القصص القرآنية.

ثم تليها القصص النبوية من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن هذه القصص القرآنية فيها أنوار القرآن فيها جمال البيان فيها بيان الأداء السحري العظيم الذي حقيقة يأخذ بالألباب ويسحروا العقول.

يروى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق قال هذا الطبيب لأحد العلماء أن كتابكم يعني القرآن ليس فيه شيء من الطب يعني كله مواعظ وذكر آيات الأحكام وقصص لكنه ليس فيه شيء من الطب فهو كتاب ناقص وأنتم كيف تقولون أن كتاب الله كتاب كامل لم يترك صغيرة ولا كبيرة ولا شاردة ولا واردة إلا وردت في هذا القرآن.

قال العلم علمان ، علم الأبدان وعلم الأديان فقال العالم لهذا الطبيب النصراني قد جمع الله عز وجل الطب أصلا كله في آية واحدة إذا كنت أنت تقول العلم قسمان يعني تريد أن تفصل فإن العلم والطب قد جمعه الله في آية واحدة في سطر واحد قال ما هي هذه الآية.

قال قول الله عز وجل وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، يبدأ الإنسان الآن يعمل بالحمية لا يعمل بالطب الذي يحدث بعد حدوث المرض فإن الوقاية كما يقال خير من العلاج فإذا توقى الإنسان وعمل بأسباب الوقاية فإنه غالبا لا تحدث له هذه الأمراض فإن الله عز وجل ف حكمته في هذا القرآن العظيم وبلاغة آياته قد جعلها في سطر واحد.

قال لله النصراني لا يؤثر عن رسولكم محمد شيء في الطب يعني أنت أتيتني بآية في القرآن لكن لم يؤثر عن نبيكم شيء في الطب فقال له العالم قد جمع رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم كل الطب في ألفاظ يسيرة وهذا أيضا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه أعطي جوامع الكلم.

فقال وما هي تلك الكلمات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبح ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، الحديث فإنه بذلك أيضا يحدث له الحمية والوقاية التي لا ينتج عنها بعد ذلك بإذن الله أمراض أو أسقام تحتاج للعلاج إذا توقى فإه لا يحتاج إلى ذلك ، من القصص التي وردت في هذه السورة أو في هذا الجزء تحديدا في سورة الأعراف قصة نبي الله صالح مع قومه ثمود.

هذه القصة يقول ربنا جل وعلى عنها بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.}

سبحان الله لما يطمس الله عز وجل على القلب وعلى أنوار القلب يصبح القلب كما قال صلى الله عليه وسلم يصبح كالكوز مجخيا أسود مرباد لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وقد وصف الله عز وجل أولئك القوم المتسكبرون مع أنبيائهم بقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا.

هم الآن يعلمون أن صالح مرسل من ربه أتعلمون أن صالحا أرسل من ربه قالوا إن بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إن بالذي آمنتم به كافرون فلما عجزوا عن بيان الحجة ورد دعوة صالح عليه السلام وغيره من الأنبياء ماذا فعلوا ؟

بدأوا يستكبرون يستنكفون ويطلبون المعجزات التي يحاولون أن يعجزوا بها أنبياء الله وأنبياء الله مؤيدون بالرسالات مؤيدون بالمعجزات فقالوا لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة حتى نراها بأعيننا.

أتسلمون أتؤمنون إذا أخرج الله هذه الناقة من الصخر قالوا نعم فأخرج اله عز وجل لهم ناقة من تلك الصخرة ماذا فعلوا هل آمنوا ؟

إنما ازدادوا علو واستكبارا ، جاء رجل اسمه قدار ابن سالف وعقر هذه الناقة التي هي من عند الله عز وجل ماذا قال الله ؟

}فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ { ، طيب السؤال هنا من الذي عقر الناقة أي قتل الناقة ؟

هل هو رجل واحد أم كلهم نحن كما ذكرنا قبل قليل قتلها أو عقرها ابن سالف رجل واحد لماذا قال الله فعقروا الناقة الجواب على هذا أنه نسب الفعل إلى أولئك القوم إلى قوم صالح وهم ثمود نسب القول لهم جميعا لأنهم اشتركوا في الفعل ورضوا بذلكم لأنه ليس أحدهم ، ليس واحد منهم الذي عقر الناقة بفعله إنما أيدوه أولئك القوم وانتدبوه انتداب وانتخبوه لينوب عنهم ولذلك جعل الله عز وجل العقاب شاملا وعاما عليهم.

أسأل اله سبحانه وتعالى أن يحفظ علينا ديننا وأمننا وعقيدتنا وأن يعلمنا من كتابه الكريم ما تحيى به القلوب وتنار به العقول ألقاكم بإذن الله في الحلقة القادمة وأنتم على خير أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملخص الحلقة:

تحدث الشيخ في هذه الحلقة ع الجزء الثامن في القرآن وتناول تفسير أهم الآيات في سورة الأنعام وسورة الأعراف كما تكلم عن قصص الأنبياء المذكورة في سورة الأعراف كموسى وهود عليهما السلام وصالح.

.....

**اسم الحلقة : الجزء التاسع التاريخ: ٢٠١١\٨\١٩**

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، أيها المباركون سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، مرحبا بكم إلى لقاءكم المتجدد مع برنامجكم ربيع القلوب، وحديثنا اليوم سيكون عن الجزء التاسع من كتاب الله الكريم، الجزء التاسع يحوي آخر سورة الأعراف و أوائل سورة الأنفال، سورة الأعراف تحدثنا عنها في الحلقة الماضية عن مقاصدها وعن شيء من أهدافها وعن شيء من الفوائد التدبرية مما جاء فيها.

لكن هذه الجزء، أو هذا الجزء تحديدا، يمر فيه معنا قصة موسى تحديدا ثم ذكر عاقبة ما حلّ بالأقوام وتكذيبهم لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، والتأكيد على المعاني التي كان يدعو إليها أولائك الأنبياء والصالحون.

أول ما ستقع عليه عينك في هذا الجزء التاسع هي قصة موسى عليه السلام، وآخر قصة شعيب، وقصة موسى عليه السلام، قصة موسى عليه الصلاة والسلام ذكرت في أكث من ثلاثين موضع في القرآن، جزء منها بإسهاب كما هو الحال في سورة الأعراف في سورة القصص في سورة طه نوع ما في سورة يونس، وبعضها يعني مرّ عليه مرور أو أشير إليه إشارة.

من أكبر القصص التي شغلت مساحة في القرآن وخصوصا في سورة الأعراف هي قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون فإنها وردت تقريبا أو شغلت قرابة ستّة أوجه في هذه السورة.

يقول ربنا بعد أن ذكر عاقبة أولائك المكذوب وأولائك الأنبياء مع رسلهن، {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ }الأعراف١٠١ فهو يقرر سبحانه وتعالى ما حلّ بأولائك الأقوام جزاء تكذيبهم وعنادهم لأنبياء الله ورسله.

من الآيات التي يعني ستمر معنا تحديدا في قصة موسى عليه الصلاة والسلام قول ربنا جلّ وعلا: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }الأعراف١٤٣ {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ }الأعراف١٤٤ أيها الأكارم لنا مع هذه الآيات العظيمة، أو هتين الآيتين العظيمتين خمس أو ست وقفات الوقفة الأولى مع قول الله عزّ وجل ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه، أولا الحبيب دائما يشتاق إلى حبيبه، فالإنسان إذا كان يحب الله جل وعلا وكان قلبه قد أورث حب الباري جل في علاه، فإنه ولا شك يحب كلامه، فهو لا يستنكر إذا سمع كلام الله، أو يتشاغل أو يستنكف عن سماع القرآن، بل هو يعني يجب ذلك الأمر، وخلافه أو ضده، من إذا سمع كلام الله، غضب أو ملّ من ذلك، وصفهم الله من قوله، وإذا ذكر الله وحده إشتمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخر، وإذا ذكر الذين من دونه، يعني ذكر مثلا اللاعبين ذكر يعني أحوال أو قصص أو مواقف أو مغنين أو مجرمون أو يعني غيرهم من ممثلين أو نحو ذلك أو غيرهم حتى يعني أن لا أقصد بأن أولائك عصاه والعياذ بالله، حاشى وكلا.

لكن من البعض من إذا ذكر غير الله عزّ وجل، وإذا ذكر من دونه، بعضهم يستبشرون، بعض الناس إذا ذكر العصاه أو إذا ذكرت بعض المواقف التي فيها سبّ وشتام أو أمور الحقيقة لا أخلاقية فإنه الحقيقة يفرح بتلك المجالس، لكن إذا ذكر القرآن قال يا أخي اتركوا عنا القرآن ,القرآن يقرأ في المسجد أو في يعني رمضان أو قبل الجمعة، فأولائك يعني ذمهم الله عزّ وجل، شاهد المقال أن المحب دائما يحب ويشتاق لكلام حبيبه، فمن أحب الله أحب كلامه ولا بد.

وموسى صلى الله عليه وسلم لما جاء ووعده الله عزّ وجل بالوادي المقدس وسمع كلام الله، ماذا قال، وكلمه ربه، قال ربي أرني أنظر إليك، يعني لم يكن الأمر سيان، لم يكن الأمر عاديا، موسى عليه السلام إشتاق لربه وهو كليم الله عزّ وجل، الفائدة الثانية في قول الله جل وعلا وكلمه ربه قال رب إني أنظر إليك، وهنا الفائدة، قال لن تراني ولكن إنظر إلى الجبل، قوله لن تراني فيه فائدة، وهو أن مذهب أهل السنة والجامعة قاطبة، أن المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة.

ودليل ذلك قول الله عزّ وجل وجوه يوم إذ ناظرة أي مستبشرة ومسفرة ومشرقة إلى ربها ناظرة.

أي أنها ترى ربها عيان بيان، وجاء ذلك أيضا تبيان ذلك بسورة يونس بقول الله، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، قال أهل العلم، الزيادة هي النظر لوجه الله الكريم، الفائدة الثالثة، أنه لا ينكر رؤية الله في الآخرة إلا مبتدع ضال والعياذ بالله، الفائدة الرابعة أن رؤية الله ممكنة في الدنيا ما دليل ذلك، أن موسى سألها الله، ولو لم تكن ممكنة فحاشى نبي من أنبياء الله، أن يطلب شيء غير ممكن.

الفائدة الرابعة أو الخامسة، لماذا لم يعني يتمكن موسى من رؤية الله ووجه الله جلّ وعلا، الجواب هنا لأن الله عز وجل يعرف ضعف البشر ويعرف أن موسى عليه السلام بشر من عند الله، فالله عزّ وجل لم يرد طلب موسى عليه السلام يعني لم يقل الله عزّ وجل لن ترني يا موسى وسكت، بل قال لن تراني،أي في الدنيا ولكن إنظر إلى الجبل، فإن الجبل يا موسى أشد منك وأعظم بنيان وأقوى تماسك، وهو من الحجارة الصلبة، انظر إليه ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر الجبل وثبت من وبعد رؤيتي له، فإنك لا محالة ستثبت ويعني لن يعني سيحصل لك ذلك، ولكن إنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني.

فلما إضطلع الرب جل وعلا على الجبل خرّ الجبل دك، يعني إنهار الجبل العظيم من الحجارة الصلبة وذلك الجبل الذي يعني إذا رأيته أو أردت أن تنزع منه يعني حجر واحد ربما لن تستطع، فقد خرّ الجبل بعد ذلك إجلال لهيبة الواحد الأحد.

لما رأى موسى ذلك الموقف، قال فخرّ موسى صعق من شدّة ما رأى ولما إستقر في قلبه من عظيم ذلك الأمر، أنه سيتحيل أن يصبر أو أن يطيق رؤية الباري جلّ وعلا.

فلما أفاق قال، سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، وهنا فائدة عظيمة وهي أن أولياء الله والصالحين من عباده دائما على سائر أحوالهم، يكونون مرتبطين بالواحد الأحد جلّ وعلا، إن قصروا أو أذنبوا لجؤوا مباشرة إلى الإستغفار والتوبة والندم على ما فعلوه، وإن وفقهم الله لعمل صالح فإنهم يزدادون شكر، ويكثروا من الإستغفار والتسبيح والتحميد جزاء ما منّ الله عزّ وجل عليهم بذلك الأمر، خذ على ذلك مثال، بعد رمضان، وليكبروا الله على ما هداهم، بعد الصلاة التسبيح والإستغفار، بعد الحج ذكر الله، فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءهم أو أشد ذكر.

فكل هذا هو من أحوال أهل الإيمان الذين يتبعون الحسنة الحسنة، فلما كلمه ربه ولما يعني لم يرده بل كان رد لطيف، لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، كل هذا الحقيقة أن يكلم الله، أن يريه الله عزّ وجل قدرته، هذا أيضا من النعم، فما كان من موسى عليه الصلاة والسلام إلا أن استغفر ربه وتاب وسبح بحمده وقال تبت إليك وأنا أول المؤمنين، الفائدة السادسة بعد الفاصل.

الفائدة السادسة أيها الأكارم في قول الله عزّ وجل {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ }الأعراف١٤٤ اي إني اخترتك من بين كل الناس بماذا يا رب، بماذا اصطفيتك ومزيتك، { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي }الأعراف١٤٤ برسالاتي أي بإنزال كلامي عليك، إلى بين إسرائيل، قال وبكلامي، فإن من أعظم ما يوفق له العبد، ومن أجل ما يوهب له الإنسان أو ما يوهب له الإنسان في حياته أن يهبه الله عزّ وجل العلاقة مع هذا الكتاب العظيم، إذا وفق العبد أيها الإخوة، إلى حفظ القرآن، إلى تدبر القرآن إلى إجلال وتعظيم القرآن إلى العمل بالقرآن إلى تعظيم أوامر القرآن، إلى خدمة القرآن، سواء بتوزيعه، بتجليده، بطباعته، بتسجيل القراء وتسجيل أصواتهم، بأي خدمة لهذا الكتاب العظيم فإن الله عزّ وجل قد سمّى ذلك إصطفاء، إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي، وأعظم المصطفين مع كتاب الله عزّ وجل هم من وفّقوا لتدبر القرآن والعمل بآياته، ربما يكون ممن اصطفاهم الله عزّ وجل بكلام الله ليس نبي ولا رسول ولا حافظ ولا رجل متدبر، أو يعني على الأقل لديه ملكة التدبر المعروفة، ولا إنسان يعمل في مدارس التحفيظ، ربما يكون من إصطفاه الله بكلامه، رجل عامي كبير في السن في الصف الأول لكنه لا يسمع بأمر إلا ويطبقه، ولا يطرق مسمعه نهي من نواهي الله عزّ وجل إلا واجتنبها، تعظيم أولائك لأوامر الله الحقيقة أن فيه من القصص وعندي منها الشيء الكثير، وأذكر أن أحدهم لما قيل له كيف حالك، يعني كان مريض، قال ما دام أني أصلي وأذكر الله فانا بخير، فيقول أحد طلبة العلم، ما قال لي هذه الكلمة، قلت سبحان الله هذا في القرآن يقول ربنا جلّ وعلا: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى }الأعلى١٥ يعني إرتباط الذكر والصلاة أمران عظيمان، لو قلت لهذا كبير السن من أين استنبطت هذه هل هذه من تفسير بن كثير أم من الطبري أم من البحر المحيط، قال والله لا أعرف بن كثير ولا أعرف تفسير المحيط ولا أعرف الطبري.

لكن هذا من فقه آيات الله، لأنهم يفتحون قلوبهم وكثير منهم يفتحون قلوبهم لسماع القرآن وتدبره، فهذه هي الفائدة من هذه الآية العظيمة، من الآيات أيضا قول الله عزّ وجل، ولو أن أهل القرآن آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، هذه الآية أيضا فيها إشارة إلى أن كل بلاء نزل، فإنما هو بذنب، كما قال علي رضي الله عنه، ما نزل بلاء إلا بذنب، إلا بسبب ذنب وما رفع أي زال عن ذلك الإنسان إلا بتوبة.

فكما قال ربنا أيضا، {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ }الشورى٣٠ فالحقيقة أن كل هذا كل ما يحصل أحيانا من ضعف الصحة أو فقدان الصحة المرض، أحيانا ما يحصل في الأجواء اليوم الغبار الشديد الحر الشديد، قلّة الرزق، قلّة الوظائف، وغيرها أحيانا براكين زلازل حوادث كثرت أمراض معينة، لا شك أن ذلك إبتلاء من الله عزّ وجل والإبتلاء إما أن يكون رفعة وإما أن يكون عقاب بسبب ذنب.

فعلى الإنسان في كلى الأحوال أن يتوب إلى الله حتى يرتفع عنه ذلك الذنب، من الآيات التي معنا في ذلك الجزء، قول الله جل وعلا لما قال قوم موسى لقومه، {قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا }الأعراف١٢٩ أنت يا موسى لما جئتنا قلت خلاص إتبعوني واتبعوا أمر الله، وأنا أنجيكم من البطش ويعني ضعف الرزق ومن كل الكروب، قالوا يا موسى اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، بعد ما جئتنا بدأ فرعون يلاحقنا ويصرفنا عن ديننا وبدأ يعني نزل بنا بعض الإبتلاءات كالعقابات التي نزلت بهم، كالجراد والقمل والضفادع وغير ذلك من الآيات.

لم يرد عليهم موسى إلا برد الله، {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }الأعراف١٢٨ أيها المباركون، هناك قاعدة شرعية، ذكرها شيخ الإسلام بن تيمية وهي أنه بالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين، وأن من تمام اليقين والصبر يعني من وفقه الله لتمام الصبر واليقين فإنه يحل به وعد الله عزّ وجل وهو النصر لا محالة، لكن بالإستمساك بهذين الأمرين.

الإستعجال عدم الصبر، قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، يعني أرنا نصر الله، هذا الإستعجال، هذا الخلق الذي هو عدم الصبر، لا شك أنه من نقص الإيمان فإن العبد كلما قوي يقينه بالله كلما حسن ظنه بربه، وكلما يعني إزداد يقينه بقرب النصر، حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا، خلاص يظنوا أنهم قد كذبوا، وأنهم يعني لم يستجب لدعوتهم، قال الله جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين.

فكل من نزل به بلاء أو حلّت به مصيبة عليه بالصبر واليقين، وحسن الظن بالله والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه، أليس هذا من معاني العبودية لله، أنت عبد لله، وأنت أمة لله عزّ وجل فلنفوض لله عزّ وجل في كل وسائر أمورنا، طيب، منهم من قوم موسى من أيقن بذلك الأمر ويعني إستفاد من تلك العبرة التي ذكرها موسى ومنهم لم يستفد، طيب من إستفاد ما الذي حلّ به.

يعني من عمل بوصية موسى، ماذا حصل له، من لم يعمل ماذا حصل له، إسمع الجواب، {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ }الأعراف١٣٧ أيضا من المعاني العظيمة في هذه السورة وفي هذا الجزء قول ربنا عن موسى ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسف قال بئس ما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم، وألقى الألواح، الألواح فيها التوراة، ألقاها موسى وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه إلى آخر الآية.

ما الموقف لما وعد موسى ربه جلّ وعلا بالوادي المقدس ترك بني إسرائيل وذهب للقاء ربه، بعد ما لاقى ربه جلّ وعلا قال له إن قومك إتخذوا العجل من بعدك، يعني جعلوا لهم آلهة وهي عجل يعبدونها من دون الله، قال الله وما أعجلك على قومك يا موسى، قال هم على أثري وعجلت أنا جئتك عجلت إليك ربي لترضى، قال اسمع الجواب واسمع الخبر، فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري وجعل لهم يعني عجل يعبدونهم من دون الله.

جاء الآن موسى، موسى سمع الخطاب ممن من الله، أخبره بالخبر أن قومك إتخذوا العجل من بعدك يعبدونه من دون الله، موسى الآن يعني لم يحدث ردّة فعل، رجع إلى ردة الفعل التي هي العودة بمباشرة، لنصحهم للإنكار عليهم، لما أقبل موسى ورأى ذلك العجل، قال الله وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، الذي هو هارون عليه السلام، لماذا لم يحدث موسى ردّة فعل قوية حينما أبلغه الله بذلك، مع أنه مصدق لكلام الله، لماذا لم يحدثها ويلقي الألواح إلا بعد ما رأى هذا الحق، ليعطك دلالة أنه ليس من رأى كمن سمع، وهذه قاعة يعني نفسية، على الداعية وعلى الإنسان إذا أراد أن يقنع أحد، أن يريه، وهذا يعني من أسرار القرآن العظيم التي وردت في هذه السورة.

طيب بعد سورة الأعراف ماذا يعني، ما الذي يأتي بعدها، يأتينا سورة الأنفال التي تحدث الله عن الغنائم، الأنفال الغنائم، وسؤال الصحابة لها أو عنها، {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ }الأنفال١ ماذا نفعل فيها ما حكم الله فيها يعني لأنه كان في الأمم السابقة، كان في شريعتهم، عدم جواز أخذ الغنائم، بل كانت تحرق أو كان ينزل ملائكة يأخذونها، أو كانت تحرق فلا يستفاد منها، لكن من رحمة الله في هذه الامة، انه نزل تقسيم لهذه الغنائم، لذا لما سألوا عن الغنائم جاء الرد { قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ }الأنفال١ وجاء أيضا في وسطها تفصيل ذلك، {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ }الأنفال٤١ سورة الأنفال الحقيقة أيضا يعني هي سورة تنقسم وسنتحدث عنها في الحلقة القادمة لكن مقصودها الحديث عن الجهاد أحكام الجهاد أحكام الغنائم، أحكام الأسر، نتحدث عن أمرين مهمين وهما الإعداد النفسي والإعداد العسكري، الإعداد النفسي الذي يسمونه في فلسفة العسكرية التعبئة النفسية، كما قال الله عزّ وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ }الأنفال٤٥

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ }الأنفال٢٤ {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً }الأنفال٢٩ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ }الأنفال٢٠ هذا تعبئة نفسية إيمانية حتى يدخلوا في المعركة وهم على يقين بوعد الله جل وعلا، أما التعبئة الثانية أو المفتاح الثاني للنصر فهو التعبئة العسكرية وسيأتينا إن شاء الله في الحديث غدا أو في الحلقة القادمة، اسأل الله أن يملئ قلوبنا بالإيمان وبأنوار القرآن والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء العاشر التاريخ: ٢٠١١\٨\١٩**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، أيها الإخوة المباركون، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعدنا إليكم مع الجزء العاشر من كتاب الله جل وعلا الذي يحوي غالب سورة الأنفال وشيء من سورة التوبة، كنا في الحلقة الماضية لم تتحدث الحقيقة بإسهاب عن سورة الأنفال مع أنها ورد جزئها الأول من خلال الجزء التاسع، لكن رغبة أن نجمل الحديث عن سورة الأنفال أرجئته إلى الحديث ضمن مع الجزء العاشر الذي يحوي سورة الأنفال تقريبا وأوائل سورة التوبة.

سورة الأنفال سورة مدنية سميت بالأنفال المقصود بها الغنائم، يسألونك عن الأنفال، إفتتحها الله عزّ وجل بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم، بسؤال الصحابة الكرام للنبي عليه الصلاة والسلام وعن حكم تلك الأنفال التي هي الغنائم، ما حكمها هل تؤخذ، هل تترك، هل تحرق كما كان في الأمم السابقة، أم هي حلّ للنبي صلى الله عليه وسلم أم لها توزيع وتقسيم شرعي، فجاء الجواب من عند الله عزّ وجل { قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ }الأنفال١ أي أن الأنفال لله ولرسوله والحكم في تقسيمها، ولذا جاء الجواب مؤخرا في بداية هذا الجزء العاشر بقول الله جل وعلا، {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }الأنفال٤١

أيها الإخوة، سورة الأنفال، سورة تحدث عن أمرين أو إنقسمت دعونا نقول إلى قسمين مهمين، هي تحدثت عن الإعداد العسكري، تحدثت عن تنظيم الجهاد في سبيل الله، أحوال أهل الإيمان ووسائل ثباتهم عند لقاء عدوهم إلى غير ذلك من الأمور لكنها أحسب أنها إنقسمت إلى قسمين، يعني أنت الآن إذا فتحت سورة النساء عفوا الأنفال وإستعرضتها ستجد أنها إنقسمت إلى قسمين، الجزء الأول منها تقريبا، قسم الإعداد المعنوي، الإعداد العسكري المعنوي، أما قسمها الأخير تقريبا، فهو الإعداد العسكري، يعني الوسائل العسكرية من الحرب، الحربية.

الإعداد المعنوي وهو القسم الأول هو ظاهر ومركز فيها، بماذا يكون الإعداد المعنوي بنجاح قوم في معركة من المعارك، لا شك أنه اليقين بما يفعلون، وأهل الإيمان إذا قاتلوا في سبيل الله فإنهم لا يقاتلون إلا لهدف واحد، ألا وهو إعلاء كلمة الله فقط، لا يقاتلوا من أجل دنيا ولا غنائم ولا أجل مرتب ولا أجل أمر من أمور الدنيا الدنيئة، إنما يقاتل لأجل إعلاء راية الله جل وعلا.

ولذا تأملوا معي ستة أو سبعة أيات، وردت في القسم الأول من سورة الأنفال تركز على هذا القسم الذي هو الإعداد المعنوي وأنه لا مجال لأن يعني تتغير النية أو تذهب ذات اليمين أو ذات الشمال، فمن أراد الإعداد العسكري المعنوي حتى يظفر بالظفر والنصر في سبيل الله في المعركة فعليه بهذا المفتاح.

دعونا نعرف ما هو هذا المفتاح، هو تقوى الله جلّ وعلا، ولذا ركز الله عليه في هذا القسم الأول، خذ على سبيل المثال، قول الله جل وعلا: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }الأنفال١ ثم يسهب الله عزّ وجل في ذكر صفات أهل الإيمان، إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمان، وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، ماذا قال بعدها.

{أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }الأنفال٤ تأتي أيضا آيات في هذا القسم الأول من سورة الأنفال تؤكد على معنى هذا المفتاح الرئيسي للظفر في المعركة، وهو المفتاح المعنوي وهو تقوى الله جل وعلا، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ }الأنفال٢٠ آية أخرى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ }الأنفال٢٤ آية أخرى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً }الأنفال٢٩ أي يفرق بين عدوكم بالحق، { يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }الأنفال٢٩ آية أخرى تدل على هذا المعنى {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }الأنفال٣٣ أيضا من وسائل التقوى،إستغفار الله عزّ وجل وطلب المغفرة، خذ الآية الأخيرة التي تدل على هذا المعنى أيضا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ }الأنفال٤٥ أيضا ذكر الله عزّ وجل مما يثبت الله به الفؤاد، مما يقوي به الإيمان ويزيده، كل ذلك أيضا من معاني التقوى {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ }الأنفال٤٦ لماذا يا رب { وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ }الأنفال٤٦ أي تضعفوا وتذهب ريحكم أي تتفرقوا، وتذهب قوتكم حتى في أعين عدوكم، { وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }الأنفال٤٦ سبحان الله، كل هذه الآيات تدلك على هذا المعنى العظيم، الذي به الإعداد العسكري المعنوي، طيب، آخر الأنفال، ركز الله عزّ وجل فيها على الإعداد العسكري الذي هو الإعداد الحسي، كيف خذ على سبيل المثال، قوله جل وعلا {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ }الأنفال٦٠ ومن آياته أيضا {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ }الأنفال٦٥ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الأنفال٧٠ في الآية التي ذكرنا قبل قليل في قول الله حرض المؤمنين على القتال أي حثهم على القتال وهذا أيضا من وسائل الإعداد العسكري الحسّي أليس في عرف العسكريين وفي عرف يعني فلسفة العسكرية يسمونه التعبئة النفسية، أي يعبؤون العسكري نفسي لأيضا يقدم على القتال، يقدم على الحرب خصوصا أن يقنع من الداخل بما يفعل، هذا الجزء العاشر جزء ضم كما أسلفنا سورة الأنفال وأول سورة التوبة، سورة التوبة أيضا سورة مدنية، تحدث الله، بل هي من آخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم يعني هي من آخر السور المدينة التي نزلت على المصطفى صلوات الله عليه كحال السور المدنية تهتم بجانب التشريع، لكن سورة التوبة ركزت على التشريع في ما يتعلق باليهود المنافقون ركزت على هذين الفريقان، هذه السورة سورة التوبة، ركزت على هدفين رئيسين، الهدف الأول بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين وأهل الكتاب، كيف يا محمد، كيف أنت وأمتك تعاملون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين عامة، الثاني إظهار ما كان عليه النفوس حال إستنفارهم في غزو الروم حينما إستنفرهم النبي صلى الله عليه وسلم لغزو الروم، ماذا تحدثت عنه سورة البراءة لماذا افتتحت بعدم البسلمة، افتتحت بالإستعاذة فقط لماذا سميت براءة، كل هذا سنترف عليه بعد هذا الفاصل.

أيها المباركون، سورة التوبة سورة مدنية تسمى سورة التوبة، وتسمى أيضا سورة براءة، وجاء من تسمياتها أنها الفاضحة لماذا سميت سورة التوبة الفاضحة، لأنها فضحت أهل النفاق وقيل فضحت اليهود، وكلا الفريقان مرتبطان يعني كلا اليهود والمنافقون سبحان الله مرتبطين ببعضهما البعض.

فكلاهما يعتمد على نكث العهود، يعتمد على إظهار الإيمان والصلاح وحسن الأخلاق ويبطن النفاق والمكر والخديعة وغير ذلك، ولذا كان الحديث عن اليهود وعن المنافقين في سورة التوبة حديث واضح جدا، جل الله عزّ وجل فيه ألاعيبهم وخدعهم مع ما كانوا يظهرونه للنبي صلى الله عليه وسلم من حسن المعاملة، هذه السورة العظيمة سورة التوبة، لم تفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم، كسائر السور، لماذا لم تفتتح سورة التوبة بالبسملة، قيل في هذا ثلاثة أقوال، القول الأول، أن البسملة هي رحمة، وسورة التوبة، جاءت برفع الرحمة عن أولائك القوم المنافقون واليهود وأن فيها من العذاب والوعيد الشديد بالنكال لأولائك الأقوام فلا يناسب أن تذكر في بدايتها لفظ الرحمة، أما القول الثاني فإن بسم الله الرحمن الرحيم، هي أمان، وسورة التوبة، سورة براءة، جاءت برفع الأمان، وهذا القول هو إختيار أيضا شيخ الإسلام بن تيمية.

من أيضا الأجوبة على عدم إيراد البسملة في سورة أو أول سورة التوبة أن سورة التوبة لم تفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم، لأنها ضمت للأنفال بالمقاربة ولذا كان بعض أهل العلم يضمها ويجعلها سورة واحدة، يجعل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة، فلذا قالوا أنه لا بسملة بينهما لأنهما سورة واحدة، ولكن أيضا القول الذي ذكرناه آنف أنها أمان أن البسملة أمان وأن سورة التوبة جاءت برفع الأمان أن البسملة رحمة وسورة التوبة جاء فيها من التغليظ والوعيد الشديد لأولائك اليهود والمنافقون الذين نكثوا العهود فلا يناسب ذكر الرحمة فيها والله تعالى أعلم.

في بداية السورة مطلع سورة التوبة، قال الله جل وعلا: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ }التوبة٣ ما المقصود بالحج الأكبر، جاء في تفسير هذه الآية أن الحج الأكبر هو يوم عرفة، ولكن الصواب أن الحج الأكبر هو يوم القر أي هو يوم النحر الذي يستقر فيه الحجاج في منا، وذلك يوم القر وهو يوم النحر اليوم العظيم عند الله عزّ وجل.

جاء أيضا من الآيات التي ورت في أوائل سورة التوبة قول الله عزّ وجل {وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ }التوبة٣ بعض الناس يستشكل هذا المعنى، فيقول كيف أن الله بريئ من المشركين ورسوله، يعني هل الله سبحانه وتعالى بريئ من المشركين وبريئ من الرسول صلى الله عليه وسلم،كلا ليس هذا هو المراد، لكنك إن فتحت اللام في قوله ورسوله، فقلت ورسوله بالكسر أو ورسوله فإنه أيضا يحتمل المعنى الذي ذكرناه آنف، أن الله بريئ من المشركين وبريئ أيضا من الرسول، وهذا المعنى معنى فاسد لا يصح، ولكن المقصود أن الله بريئ من المشركين فؤخر قوله ورسوله، يعني الله بريئ الله ورسوله بريئان من المشركين لكنها أخرت أن الله بريئ من المشركين ورسوله،أي أن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بريئان من المشركين.

وهذا أيضا يدلك على أهمية ضبط قراءة الآيات، وأن كثير من الآيات تحتاج إلى عرضها مشافهة على مقرئ لأنه ورد إلينا هذا القرآن كما تعلمون بالتواتر، فلينتبه أيضا لمثل هذا، من الآيات التي وردت أيضا قول الله جل وعلا: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ }التوبة١٨ كثير من المساجد تكتب هذه الآية ربما في قبلتها أو عند أبوابها، هل المقصود بعبارة المساجد بأنه لا يعمر المساجد إلا من آمن بالله، المقصود العمارة التي فيها تشييد المساجد وبناء المساجد، هؤلاء هم فقد أهل الإيمان، طيب، من لم يستطع أن يبني مسجد، يعني ليس لديه القدرة المالية على أن يبني مسجد أو جامع لا يدخل ضمن هذا.

الصواب أن عمارة المسجد تكون بأمرين، أو أنهما تنقسمان إلى قسمين، عمارة حسية وعمارة معنوية، العمارة الحسية يا إخوة ويا أخوات هي ببناء المساجد تشيدها، فرشها تجهيزها، القيام على صيانتها، والله عزّ وجل فضله واسع، فضله لا يعد وكرمه لا يحد سبحانه وتعالى، فلو شارك الإنسان أحيانا في بناء مسجد أو بناء جزء من المسجد أو بناء حتى بيوت إمام أو مؤذن أو سكنهما، أو صيانتهما أو إحضار مثلا ما يحتاجه المسجد من بعض المستلزمات.

فإن ذلك يشمل العمارة الحسية التي هي البناء والتشييد، طيب ما هو القسم الثاني.

القسم الثاني هو العمارة المعنوية، كيف العمارة المعنوية، التي تكون بالعبادة تكون بالطاعة تكون بإحياء مثلا قيام الليل في المساجد، بقراءة القرآن، بذكر الله، بمجالس العلم، بالدعوة إلى الله، هذا هو أيضا من مقاصد العمارة، بقوله سبحانه وتعالى، {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }التوبة١٨ وقد جاء في فضل هذا الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد يعني دائما رأيتم يشهد له ذاهب للمسجد وين فلان والله موجود بالمسجد،وين فلان والله جالس عنده درس في المسجد، وينك يا شيخ تأخرت علينا والله أنا كنت جالس أذكر الله في المسجد، فيقول عليه الصلاة والسلام، إذا رأيتم الله يعتاد المساجد، فإشهدوا له بالإيمان لأن الله يقول {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }التوبة١٨

من الآيات التي ستمر معنا أيضا قول الله عزّ وجل {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً }التوبة٨٤

يعني يا محمد لا تصلي على الكفار، لماذا منع الله الصلاة نبيه من الصلاة على الكفار، قيل لأن الصلاة على الميت هي عبارة عن دعاء وإستغفار وإستشفاع، المصلي حينما يصلي على الميت يدعو الله ويستغفر للميت ويستشفع الله جلّ وعلا طلب للمغفرة والرحمة لهذا الميت، فالكافر ليس بأهل لذلك الإستشفاع والدعاء والإستغفار، فلذا منع الله جلّ وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم من الإستغفار والصلاة على الكفار والمنافقون أيضا.

من الآيات أيضا قوله جل وعلا: {لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }التوبة٩١

}وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ }التوبة٩٢ جاؤوك يريدوك أن تحملهم للمعركة لكنهم لا يملكوا الراحلة والزاد، {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ }التوبة٩٢

هم لم يذهبوا سياحة أو لنزهة أو لزيارة لمعركة لقتل يعني سيوف وصليل السيوف وصهيل الخيول ودعوا فيها دماء تسيل، يأتون يريدن أن يذهبوا فيعتذر لهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لا يجدوا راحلة لهم، فهل يفرحون، هل يسرون هل يقولون الحمد لله أنا جاءنا العذر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلا ماذا كان حالهم، شوف كيف يصفهم الله عزّ وجل بتلك اللحظات الحانية العاطفية الرائعة، التي لم تنبع إلا بصدق الإيمان وصلاح السيرية يقول الله عزّ وجل حاكي عنهم { قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ }التوبة٩٢

بالمقابل ذكر الله عن أحوال أولائك المنافقون واليهود والمنافقين الذين يبطنون الكفر والإيمانو يعني يأتون ليعذروا للنبي صلى الله عليه وسلم { قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }التوبة٩٤

يدلك هذا على أهمية صلاح السريرة وصدق الطوية التي بها يوفق الله العبد، نحن ندعو لهم، الله شرّفهم بذكرهم في كتابه إلى يوم الدين، وكلما قرانا قصّتهم أجرنا وأثبنا،لأنهم صدقوا مع الله فصدق الله معهم، وإذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل صحيح مقيم.

فلنصدق مع الله ولنصلح ما بيننا وبين الله،حتى يأجرنا الله عزّ وجل ويثيبنا الدرجات العلى.

اسأل الله عزّ وجل أن يجعلنا وإياكم من أهله وخاصته وأن يرزقنا وإياكم الفقة في كتابه، نحن نكون أنهينا بهذا الجزء العاشر في الحلقة القادمة نواصل إن شاء الله الحديث عن الجزء الحادي عشر الذي يحوي آخرسورة التوبة وسورة يونس اسأل الله لكم التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين.

ملخص الحلقة:

يتحدث الشيخ ناصر القطامي في الجزء العاشر عن سورة الأنفال وبداية سورة التوبة وعن حال المؤمنين في سورة التوبة وحال المنافقين واليهود أيضا.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الحادي عشر التاريخ: ٢٠١١\٨\١١**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، معاشر الإخوة والأخوات سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، أرحب بكم في مطلع هذا اللقاء الثاني عشر أو الحادي عشر من كتاب الله عزّ وجل ومع الجزء الحادي عشر الذي يحوي آخر سورة التوبة وسورة يونس عليه السلام.

هذا الجزء الحادي عشر، تحدث الله عزّ وجل فيه عن قصتين عظيمتين، فيهما من الدلائل والعظات والعبر الشيء الكثير أبرز قصتين فيهما هما قصة بناء مسجد الضرار الذي بناه المنافقون إضرار بمسجد قباء، أول مسجد بني في الإسلام وذلك لتفرقة صف المسلمين بطريقة يحسبها الرائي يعني ذات هدف ومطلب سامي لكن كما عهد المنافقون من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم يعني يراوغون في يعني طلباتهم وفي أحكامهم وحتى في معاملاتهم، كما وصفهم الله عزّ وجل: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ }المنافقون٤ يعني كلامهم جميل ومنطقهم مقنع لحد ما، تحسبهم جميعا أو كما قال: { تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }المنافقون٤ ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف أولائك المنافقون يعني كما اوحى الله عزّ وجل له أسماءهم لكنه كان يطمع عليه الصلاة والسلام في إيمانهم في يعني إظهار إيمانهم وإسلامهم وأن يكون المجتمع المدني أو المجتمع الإسلامي بشكل عام، موحد الصف متماسك متآخي، فلذا شاهد المقال أنهم بنوا مسجد ينافسوا به مسجد قباء فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب ليصلي لهم فيه بعد أن طلبوه ليصلي لهم بهم، أو يصلي فيه، قال الله عزّ وجل لا تقم فيه أبدا.

جاء هذا في آخر هذا الجزء كما حكى الله عزّ وجل قصتهم قائلا سبحانه: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }التوبة١٠٧ {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ }التوبة١٠٨ الذي هو مسجد قباء، { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }التوبة١٠٨ {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }التوبة١٠٩

فلم يكن يعني بعد ذلك من حال النبي عليه الصلاة والسلام إلا أن إستجاب لأمر ربه وقام بهدم ذلك المسجد الذي كان من أهدافه الإضرار بالمسلمين وتفرقة صفوفهم وإرصاد لمن حارب الله ورسوله هدم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك المسجد، يعني وأد لذلك أو لتلك الفتنة أما القصة الثانية فهي قصة الثلاثة الذين خلّفوا، قال الله عزّ وجل {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ }التوبة١١٨ كل هذه الأرض والواسعة ضاقت على أولائك الثلاثة، من هم أولائك الثلاثة، هم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

ثلاثة من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم، كان عليه الصلاة والسلام قد إستنفر المسلمين إلى غزوة تبوك، كانت في شدّة الحر كانت في شدّة القيض، كانت بعيدة عنهم لأنها في الشمال وهم في الغرب، كانت أيضا أو كان ذلك الوقت وقت بدو الثمار وصلاحها.

فالجميع يعني بإنتظار قطف ثمارهم وأخذ رطبهم وما أشبه ذلك، فكان وقت الحقيقة حاسم فكان من بعض من يتظاهر بالإسلام وهم المنافقون أن جاءوا واعتذروا للنبي صلى الله عليه وسلم، يعني بعدّة أعذار فقبل منهم عليه الصلاة والسلام ذلك الإعتذار، أما أولائك الثلاثة فقد تخلفوا ولما عاد النبي، وكان بعضهم قد تخلف ليس ذلك التخلف أو قصد لذات التخلف، بل كان بعضهم يؤمل أن يلحق بركب القافلة فلما يعني سارت أيام صعب عليه ذلك، وشق عليه لأنهم قد إبتعدوا عن المدينة، وهذا أيضا فيه إشارة إلى أهمية المسارعة والمسابقة وأخذ النفس بالهمة والعزيمة والجد والمثابرة، فإن النفس إذا روضت على المسابقة والقيام بالهمة العالية أو الطاعات والإستجابة لرب البريات فإنها تروض على ذلك، شاهد المقال أن بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الغزوة أتاه المنافقون إعتذروا قبل عذرهم، جاءه أولائك الثلاثة قالوا يا رسول الله نحن نشهد

أنك رسول الله وأننا من أهل الإيمان لكننا لن نكون كحال من إعتذر كذب وزور، لكننا سنشهد لك أننا لم يكن لدينا يعني أي مانع يمنعنا عن اللحاق بك في تلك الغزوة، بل كان بعضهم يقول من شدّة صدقه، لم يكن لي يعني راحلة أشد من هذه الراحلة اليوم، وكنت أشد ما أكون من العافية والصحّة والقوة لكن يعني إنظر ماذا ترى في أمرنا.

وهذا أيضا فيه إشارة أن من صدق، صدقه الله عزّ وجل وإشارة أخرى أن أولائك الصحابة كانوا مثال لتربية الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فإن يعني الكذب حبله قصير، وأولائك المنافقون كانوا من ضعف إيمانهم بالله الواحد الأحد، كانوا يراوغون ومذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أما أولائك المؤمنون كانوا يسيرون في طريق واحد طريق مستقيم، وأن هذا صراطي مستقيم فإتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

لم يجبهم النبي صلى الله عليه وسلم، ترك أمرهم إلى الله عزّ وجل، بقوا قرابة الأربعين يوم يعني كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أن لا يكلموهم كانوا إذا أتوا للنبي صلى الله عليه وسلم أشاح بوجهه عنهم، فلم يعني لا أجد وصف أجمل من وصف الله عزّ وجل لحالهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، { ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ }التوبة١١٨ لما وصلوا إلى هذه المرحلة أن لا ملجأ من الله إلا إليه قال الله، { ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }التوبة١١٨ وجاء بعدها في سياق هذه الآيات قول رب العالمين، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ }التوبة١١٩ فأنزل الله عزّ وجل توبته على أولائك الثلاثة، وجاءهم من يبشرهم بها، يعني لأنهم الحقيقة كانوا قد وقعوا بكرب عظيم، وهذا أيضا فيه إشارة أن العبد إذا فتح الله له باب الخير، فليبادر إليه، وإذا فتحت للعبد باب الخطيئة والمعصية والذنب والذلّة، فإن عليه أن لا يتساهل فيها، فإن فيها مغبّة المعاصي وشؤمها عظيم على الفرد والمجتمع.

يلي سورة التوبة، سورة يونس، التي سميت بيونس عليه السلام لذكر قصّته فيها، أو لذكر قصته على قومه، إفتتحها الله عزّ وجل بقوله، {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }يونس١ {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ }يونس٢ الكفار والمنافقون إعترضوا على معجزة النبي صلى الله عليه وسلم إتهموه بالشعر والكهانة والسحر وأنه مخادع، فالله عزّ وجل يؤكد في هذه السورة العظيمة وفي مطلعها أن القرآن من عن الله عزّ وجل تلك آيات الكتاب الحكيم، فمن حكمته سبحانه وتعالى أن أنزل كتاب على نبيه الأمي، حتى تعرفوا أنه ليس مختلق من عنده، لو كان يقرأ ويكتب وكان متعلم لربما شككتم في ذلك، لكن ليس لكم الحق لأنه رجل أمي، كما قال الله، {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }الأعراف١٥٨ هنا إشارة أخرى تتعلق بهذا سنذكرها بعد الفاصل.

أحبابي الكرام كنا قبل الفاصل تحدثنا عن تأكيد يعني حكمة إنزال الله عزّ وجل لهذا القرآن وأنه لإثبات معجزة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه يعني من تمام نبوته عليه الصلاة والسلام وصدق معجزته التي جاء بها أنه رجل أمي، ولو كان رجل متعلم يقرأ ويكتب، يعني لربما ظن أنه من عنده أو أنه إختلقه من عنده ولذا يؤكد الله عزّ وجل أن ذلك من حكمته، { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }يونس١ ومن حكمته أنه أنزله على هذا النبي الأمي، أولائك القوم إعترضوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعني يبعث من بينهم، فقالوا لولا أن نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، على شريف من أشرافهم، القريتين، المقصود بهما مكّة والطائف، يعني أنزل على أحد من مكّة أو الطائف، لم يجد الله إلا أن ليبعثك نبي إلينا أو رسول إلينا، أيضا كما قالوا، لولا أنزل عليه ملك، أو لولا أنزل إليه ملك، فيكون معه نذير، يعني لماذا لم يبعث الله أيضا لنا ملائكة لينذرونا أو ليبعثوا رسالة الله إلينا، فالله عزّ وجل يؤكد في مطلع هذه السورة حكمته البالغة من إنزال هذا القرآن العظيم على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }يونس١ هذا في مطلع السورة، طيب في آخرها، يأتي التأكيد على شرف هذا القرآن وعظيم أهميته ويعني أهمية الإستمساك به، يقول ربنا جلّ وعلا {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }يونس٥٧ {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }يونس٥٨ فهو سبحانه وتعالى يؤكد حتى في هذه الآية ما أكده في مطلع السورة عن شريف وعظيم هذا القرآن الذي من إستمسك به كان على الهدى ومن أخطأه ضل، هذا أيضا الموضوع يعني يؤكد أو يذكرنا بموقف أولائك النفر الذين صدوا عن سبيل الله وأنكروا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن هذه السور، خصوصا السور المكية يعني جاء من مقاصدها تأكيد هذا المعنى وضحض الشبه والأباطيل التي كانت ترد في عقول أو في أذهان بعض أولائك المشركين، أن هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قد إختلق هذا القرآن من عنده فالله عزّ وجل يبين بالحجة الدامغة ما يعني أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام وأنه من عنده جل وعلا، من المعاني التي ستمر معنا في سورة يونس، قول الله جلّ وعلا، {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ }يونس١٢ إذا نزل بالإنسان ضر محنة مرض كرب أو دين، {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا }يونس١٢ أي توجه بقلبه وجسده إلى الواحد الأحد، { دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً }يونس١٢ يقول يدعونا على جنبه وهو قاعد أو قائم يعني أنه يدعو الله على كل الأحوال، والله عزّ وجل من بلاغته في هذا القرآن العظيم يصف لك حال ذلك الشخص حتى تعيش معه بقلبك وفؤادك وروحك وعقلك، فهو قادر سبحانه وتعالى على أن يقول فإذا مس الإنسان ضرّ دعا ربه، لكن يصف لك الحال أن ذلك العبد وهو قائم وهو قاعد وهو على جنبه، { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ }يونس١٢ لما كشف عنه ضره، لما عافاه لما سدد دينه لما شفاه من المرض، ماذا كان حاله، هل بقي ما كان عليه من الدعاء والإستغفار والذكر والطاعة، أم زاد أم شكر الله على نعمته، قال الله عزّ وجل { قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }يونس١٢ وهذا وللأسف هي حال يعني كثير من الناس اليوم تجدهم أنهم في حال الرخاء يعني يعصون الله ويبتعدون عن طاعته، أما في حال الكرب والشدّة وعند نزول النازلة، فإنهم يأجرون إلى الله عزّ وجل بالطاعة، بالدعاء بالإستغفار، وهذا الحقيقة من إتخاذ آيات الله هزو ومن عدم تقدير أو تعظيم الواحد الأحد في النفوس، والله يقول {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }الحج٣٢ فمن لم يعظم الله تعالى في نفسه فإنه ربما يتساهل في مثل هذه الأمور، وقد جاء من القواعد الاربعة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، قال أن مشركي زماننا أغلظ كفر وشدّة من المشركين السابقين، وذلك أن المشركون السابقون كانوا يشركون حال السراء، يعني في حال النعمة، ويؤمنون حال الضرّاء، فإذا نزل بهم مثلا كرب أو محنة كما قال الله عنهم، فإذا ركبوا في الفلك، دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر فإذا هم يشركون، فأؤلائك المشركون كانوا على الأقل أهون في زماننا لأنهم يعصون الله في الرخاء ويعني يلتجئون إليه ويؤمنون به حال الضراء، أما مشركوا زماننا فإنهم أشد وأنكى لأنهم يشركون في كلتا الحالين، وهذا من عدم تقدير وتوقير حق الله جلّ وعلا، وعدم المعرفة الحقيقية لعظيم سلطانه وقوته وقدرته جلّ وعلا وهذا أحيانا ينسحب أو يعني تجده ظاهر في بعض المسلمين، في موضوع الإمتحانات حال الدعاء حال نزول الكرب، فإنه يدعو الله عزّ وجل، أيها الأحباب دعونا نوصل رسالة إلى أنفسنا، الدعاء العبادة، لا تنفع كثير عند نزول البلاء إلا إذا صدق الإنسان وجعلها بداية توبة.

لكن أن يعلم الله من العبد أنه حال نزول الكرب أنه يلجأ إلى الله جلّ وعلا للتوبة والإستغفار ثم إذا نزلت به يعني زالت عنه المحنة وحل به الخير فإنه يترك ذلك وهذا لا يفعه بل يزيده إثم، حال الإمتحانات حال الإختبارات، مثلا الكرب فعلى الإنسان أن يحسن نيته ويصدق في ما بينه وبين الله جلّ وعلا، من الآيات التي جاءت في سورة يونس أيضا قول الله جلّ وعلا، {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }يونس٢٦ ما معنى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، الحسنى هي الخير والجنة والرضى من عند الله جلّ وعلا وزيادة قال أهل العلم هي النظر إلى وجه الله الكريم، فإن هذا يعدّ من الشرف الذي ليس بعده شرف ومنّة ومنحة من الواحد الأحد وهو خاص لأهل الجنة لأن الله يقول، وجوه يوم إذ ناظرة مستبشرة إلى ربها ناظرة، ولذلك في جنات النعيم.

من المعاني قول الله جلّ وعلا، {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا }يونس٢٧ هنا فائدة، أنه جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا هم العبد بالحسنة يعني أراد إنسان يعمل يصلي، فلم يعملها أن يصلي نافلة أقصد أو يتصدق كذا، إذا همّ العبد بالحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة، وإذا همّ العبد بالسيئة فلم يعملها، يقول والله مثلا يدخل على هذا الموقع الإباحي أو أراد أن ينظر نظرة محرّمة أو أراد أن ينام عن صلاة أو أن يعق والديه أو يتلفظ بكلمة نابية، فلم يعملها كتبها الله له ماذا، سيئة، لأنه تركها لله، أما من تركها خوف غير ذلك، فهذا تكتب له حسنة، وإذا هم العبد بالسيئة فعملها يعني عملها فعلا، كتبها الله له سيئة واحدة، وجزاء سيئة بمثلها.

يعني فإن السيئة لا تضاعف إلا إذا أصر عليها الإنسان أو فعلها في الحرم، كما قال الله، ومن يرد فيه بإلحاد نذقه من عذاب أليم، فالسيئة لا تضاعف إلا عند الإصرار عليها، الإستمرار عليها، أو المكابرة عليها أو إذا فعل الإنسان في الحرم، فان المعصية والسيئة في الحرمين مغلّظة.

أم إذا فعل الإنسان الحسنة، فإنها تكتب له حسنة وربما تكون بعشر وربما تضاعف والله يضاعف لمن يشاء، وكلما أحسن العبد النية والقصد أثابه الله على ذلك.

بهذا نكون قد مررنا بشيء من الفوائد اليسيرة من سورة يونس، ومع هذا الجزء الحادي عشر، تختم السورة بنهاية الجزء الحادي عشر، ثم نكمل في الحلقة القادمة الجزء الثاني عشر الذي يحوي سورة هود وشيء من سورة يوسف، اسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثاني عشر من القرآن تاريخ الحلقة : ١٢ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله ، وأصلي وأسلّم على نبينا المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

معاشر الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مرحباً بكم إلى لقاءٍ جديد من برنامجكم " ربيع القلوب " الذي يأتيكم على هذه الشاشة المباركة ونتحدث فيه عن بعض الفوائد والوقفات التدبرية مع كتاب الله.

موعدنا اليوم مع الجزء الثاني عشر من كتاب الله الذي يحوي سورة هود ومطلع سورة يوسف عليه السلام.

هذه السورة سورة هود سورة مكية تعتني بتقرير أصول العقيدة ، ذكر بعض قصص الأنبياء كنبي الله نوح وموسى وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم عليه السلام لأخذ العبرة منها ولتسلية الحبيب صلى الله عليه وسلم ، ولتثبيت قلبه وفؤاده.

هذه السورة أيضاً سميّت بسورة هـود تخليداً لذلك العمل النبيل والرسالة الخالدة لنبي الله هود عليه السلام الذي أرسله الله إلى قوم عاد أو إلى عاد.

هذه السورة افتتحها الله عز وجل بقوله:

}الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ{١} أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ{٢} وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ{٣} إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{٤}. {

هذه الحقيقة السورة العظيمة يأتي في مطلعها التأكيد على أهمية وعظمة هذا القرآن العظيم ، ولو استقرأنا أغلب سور القرآن لوجدنا أن الله عز وجل يفتتحها بهذا المعنى ، { الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } ، {الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } ، { حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ } ، { حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ، {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً } ، { حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ } ، {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.... {

الكثير من السور تفتتح بالتأكيد على عظمة هذا القرآن العظيم لأنه أولاً المعجزة الخالدة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كتاب أنزله الله وحفظه إلى قيام الساعة {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } ، بخلاف الكتب السابقة فان الله عز وجل لم يتولى صيانتها وحفظها.

أيضاً التأكيد على دحت الشبه التي قد ترد أو التي جزء من شبه أولئك المشركون واليهود والمنافقون كانت ترد على هذا الكتاب العظيم وأنه مختلق من نبي الله الكريم عليه السلام ، فيأتي الرد من عند الله بالتأكيد على عظمة هذا القرآن.

الأمر الرابع هو أمرٌ أيضاً مهم وجد مهم أن افتتاحية هذه السور بالتأكيد على عظمة القرآن يجعل أو يشوّق المؤمن أيضاً للتعرف على محتوى هذه السورة.

فأنا لما أقدم مثلاً هذا البرنامج وأتحدث فيه أقول : سأقدّم لكم في هذه الحلقة مفاجأة في نهايتها أو سأخرج لكم مفاجأة في وسطه ، فانك لا شك يعني أيها المشاهد أو أيتها المشاهدة تتشوقان أيضاً لمعرفة ما سأظهره أو سأخرجه أو سأقوله لكم.

فالله عز وجل يؤكد على هذا المعنى للفت الانتباه ولتعظيم شأن كتابه جل وعلا.

يقول ربنا : { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } ، طيب مر معنا سابقاً في مطلع سورة آل عمران قول الله عز وجل : {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ } يعني القرآن ، { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } ، يعني يوجد شيء متشابه يعني آيات القرآن تنقسم إلى متشابه ومحكم.

طيب الله عز وجل يقول هنا في مطلع سورة هود : { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } ، فهل هناك فرقٌ بين الأمرين ؟ ، أم أن هناك تعارض بينهما ؟ ، كـلّا المقصود أن الله عز وجل أراد في هذه السورة معنى وفي تلك الآية معنىً آخر.

بل أيضاً كيف نجمع بينها وبين ما جاء مثلاً في سورة الزمر في قول الله : {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً } ، طيب أنت في سورة هود يقول رب العالمين : { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } ، هل هو محكم أم متشابه ؟.

طيب المعنى في ذلك والله أعلم أن الله يقول : { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } أي أنه أن الأصل القرآن كله محكم ، يعني ان تشابه فانه يتشابه في نظرنا نحن البشر لضعف عقولنا ، لكن القرآن كله محكم أي أنه ليس به عيب وان الله عز وجل كلامه حقٌ وفصيح صحيح المعاني ، سليم الألفاظ ، فهو محكم...

طيب ما معنى متشابه ؟ ، {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً } ؟ ، المعنى ان هذا الكتاب يشبه أو أن هذه الآيات تشبه بعضها بعضاً في الجمال ، في الحسن ، في مضمونها ، في آياتها وتسلسل عباراتها ، وأن هذه الآيات تصدّق بعضها بعضاً.

طيب مما جاء أيضاً في سورة هـود قول الله جل وعلا : { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } ، يقول ربنا وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

بالفهم يعني بفهم الإنسان الذي ليس متبّحراً في كتاب الله ربما يظهر له معناً غير صحيح من هذه الآية فيقول وما من دابة في الأرض يعني وما من حيوان أو حشرةٍ أو طائر إلا على الله رزقه فيقول هذا صحيح معناً وجيد وسليم وصحيح ، لكن أين رزق البشر ؟. !

نقول لـا ، المعنى في هذه الآية {{ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ } أي وما من شيءٍ يدّب على الأرض إلا على الله رزقه سواءً كان بشراً أم حيواناً أو طائراً أم حشرةً فما من شيء يدّب على الأرض إلا على الله رزقه.

وهذا أيضاً فيه إشارة عظيمة إلى موضوع حسن التوكل على الله وحسن الظن به سبحانه وتعالى ، فان مفاتح الرزق إذا أراد الإنسان أن يرزق أن يبارك الله له في ماله فان مفتاح الرزق في أمرين:

المفتاح الأول في حسن التوكل على الله جل وعلا.

والمفتاح الثاني هو بالجد والاجتهاد والمثابرة.

كثير من الناس يظن أن الحصول على المال هو عن طريق الذكاء ، كلّا هناك أناس يعني لم يكونوا أذكياء بدرجة كافية أو أنهم كانوا مميزون في ذكائهم لكنهم وفقّهم الله لمفتاحي الرزق وهما حسن التوكل على الله والجد والاجتهاد والمثابرة ، للذكاء دورٌ في ذلك لكنه ليس هو السبب الرئيسي.

,ولذا جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير " ، كيف يا ربي ترزق الطير ؟.

قال الطير ما هي مثلكم أيها البشر تصحون الصباح أغلبكم في وظائف حكومية أو شركات تعرف ان اليوم لو عملت بنصف الأداء أو بربع الأداء راتبك سينزل إليك كاملاً أو يخصم منه شيءٌ قليل فأنت في نهاية الشهر تعرف انه سينزل له مرتّباً فلذلك ربما يتساهل الإنسان ، أما الطائر فانه يخرج من وكره أو من عشه ليس له مرتّب وليس له وظيفة وليس له توقيع حتى يحضر الدوام أو يتأخر أو يخصم عليه المدير فانه يخرج متوكلاً على الله ينتظر ما يهبه الله تعالى له.

فيقول : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو تأتي في الصباح تغدو خماصاً بطنها فارغ ومعدتها فارغة ليس عندها شيء ، تغدو خماصاً وتروح في آخر المساء أو في بداية المساء وتروح بطانة ، تأتي وقت امتلأت معدتها بالطعام والخير والرزق من عند الله جل وعلا.

فهذين مفتاحين مهمين : التوكل على الله والجد والاجتهاد والمثابرة.....

أحبابي الكرام سر من أسرار الأنبياء ، وحكمةٌ من حكم أولئك الأنبياء وعجيبة من العجائب سأذكرها بعد هذا الفاصل....

----------أيها الأكارم هذه السورة العظيمة سورة هود جاء فيها ذكر عددٍ من الأنبياء كنوحٍ عليه السلام أو جاء في مطلعها الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم لنوح عليه السلام ، ثم لهود عليه السلام ، ثم صالح ، ثم شعيب ، ثم إبراهيم ، ثم لوط ، ثم موسى عليه الصلاة والسلام وعليهم جميعاً الصلاة والسلام.

هنا لطيفة أن أغلب الأنبياء أرسلوا إلى أقوامهم يعني بعثهم الله لأقوامهم كنبي الله محمد عليه الصلاة والسلام ، كموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام فإنهما أرسلا إلى بني إسرائيل ، شعيب عليه السلام أغلبهم أرسل لأقوامهم عدا لوط عليه الصلاة والسلام.

طيب هنا فائدتين : الأولى لماذا أرسل الأنبياء إلى أقوامهم واستثني لوط عليه الصلاة والسلام ؟ ، يعني لماذا لم يرسل إلى قومه ؟ ، أو بالمناسبة هو الوحيد الذي لم يرسل إلى قومه لأنه أرسل إلى قرية سدوم وهذه القرية لم يكن أهلها من ثومه عليه الصلاة والسلام.

طيب ما الدليل ؟ ، الدليل قوله هو قوله عز وجل على لسانه : {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } ، يعني لو أن لي بكم قوة ومنعة أو آوي إلى ركن شديد إلى أهلٍ أو قبيلةٍ أو جماعةٍ أو أصحاب لكني لا أعرف منكم أحداً.

ولذا كان أقوام الأنبياء يحاولون إحراج الرسل والأنبياء من هذا المبدأ يعني أنك ابننا وقريبنا وصاحبنا ومن جماعتنا فلماذا تأتينا بما لا نعهده من قبل كما فعل مع شعيب عليه الصلاة والسلام كما قال له قومه ، قالوا : {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ. }

ماذا قال لهم ؟ ، قال : {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ. }

شاهد الآية ليست هذه ، بل شاهدها قول الله عز وجل عن شعيب أو عن قوم شعيب : {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ } أي جماعتك وقومك { لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ. }

انظر واستمع إلى الجواب ... {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي }، أجماعتي { أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ.}

فالشاهد أن لوطاً عليه السلام لم يرسل إلى قومٍ كان منهم أو لم يرسل إلى قومه وجماعته بخلاف الأنبياء فإنهم أرسلوا أغلبهم إلى أقوامهم وذلك لسببٍ يعني ظاهر أنهم إذا أرسل إلى أقوامهم فإنهم يعرفون صدقهم ، يعرفون صلاحهم ، يعرفون تعاملاتهم قبل بعثتهم فيصدّقونهم ، لكن لو جاءهم شخص غريب مثلاً أو كان من قرية أو قبيلة كان بينهم وبينه مثلاً عداوة أو شيء من هذا القبيل أو دم أو قصاص فربما لا يقبلوا ، فهذا من حكمة الله عز وجل في إرسال أولئك الأنبياء.

من الآيات حقيقة العظيمة والتي تبعث في القلب حسن الظن بالله والتي كانت تسليةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله جل وعلا لنبيه عليه الصلاة والسلام : {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ.}

هذه الآية جاءت لتسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما كذبّه قومه بعدما اتهموه ، هذه الآية هي من مقاصد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم الذي هي إتمام وإكمال للحكمة العظيمة من إنزال القرآن وذكر القصص في آيات الواحد الدّيان ألا وهي تسليته عليه السلام تثبيت قلبه ، ذكر ما حل بمن خالف رسل الله من العذاب والنكال.

فتخيل أنك في مكان النبي عليه الصلاة والسلام يأتيك وحي من عند الله.

اثنين ... تؤيد بمعجزة خالدة.

ثلاثة... تسلّى أنك لا يضيق صدرك وأنك ليس عليك هداهم و انك لا تهدي من أحببت وأن الله عز وجل ناصر عبده وأن هذا ليس بيدك ، فهذا يسلّيه أيضاً ويشد من أزره.

تخيل أيضاً أن يأتيه الله عز وجل بذكر ما حل بالأقوام ما حل بالأمم الغابرة والسالفة التي أصبحت في مذبلة التاريخ.

فهذا يؤيد قلبه لأن كل من عصا هذه الرسل وخالف أوامر الله فانه سينزل به العقاب ، لكن لو الإنسان الآن يدعو يدعو ما يدري هل يؤجر ؟ ، هل يثاب ؟ ، مثلاً هل ينزل به عقاب من قومه ؟ ، لـــا الله عز وجل يقول سنحميك وسنؤيدك وننصرك.

فكل هذه من الأمور التي تبعث في نفس النبي صلى الله عليه وسلم القوة واليقين والحماسة والهمّة العالية لمواصلة الدعوة وأداء الرسالة.

ولذا جاء عنه عن رب العالمين جل وعلا في سورة النساء قول الله : {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً. }

وأنزل الله عليك الكتاب أي القرآن والحكمة أي السنة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً.

هذه الآية العظيمة فيها فائدتين أيضاً أخريين : أن في هذه الآية إثبات لبشرية النبي صلى الله عليه وسلم أنه يضيق صدره صلى الله عليه وسلم ، أنه يعتريه ما يعتري البشر.

يا أخي أنت لما تدعوا إنسان وتنصحه أو تقدّم له خيراً ولا يستجيب ويصدّ عنك ويستغشي ثيابه وربما وضع القطن في أذنيه ، ربما رجمك بالحجارة ، ربما ألقى عليك سلى الجذور ، ربما ضربك ، ربما اتهمك بالسحر والكهانة والعرافة والجنون واتهمك أنك تريد عرضاً من الدنيا.....

ما شعورك ؟ ، لا بد أن يعتري الإنسان شيء من الكدر ، شيء من الحزن ، شيء من الألم ، شيء من الرغبة في عدم المواصلة ، وحاشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحصل له ذلك في عدم الرغبة في المواصلة لأنه يعلم أنه من عند الله لكن الله عز وجل من باب التأييد يقول لعلك تاركٌ بعض ما يوحى إليك أو متنازل عن بعض الأوامر ، { وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. }

فهذا يبعث في النفس أن النبي صلى الله عليه وسلم القوة اليقين حسن الظن بالله يزيده همة عالية ، يزيده إصراراً على مواصلة هذه الرسالة.

الفائدة الأخرى أن كثيراً أن هذا الأمر قد يحدث أيضاً لسائر الدعاة ليس الأنبياء لأن العلماء ورثة الأنبياء والدعاة يسيرون على نهج العلماء فهم يسيرون كلهم خلف أولئك الرفقة الصالحة أو أولئك النجوم الذين يهتدى بهم.

فقد يعتري حقيقة الداعي أحياناً كدر أو همّ أو حزن ، ربما يلاقي ببعض التعنّت أو الصدّ عن قبول دعوته فالله عز وجل يسلّي نبيه ومن سار على دربه {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. . }

وجاءت آية أخرى في سورة الشعراء تؤيد هذا المعنى ، يقول ربنا : {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } ، وجاء مثلها أيضاً في سورة الكهف ، أي لعلك مهلكٌ نفسك حتى يصبحوا مؤمنين ؟ ، لا يـا محمد {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ } {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ } ، يهدي الله به سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، ولا يهدي به أقرب الناس إليه أبو جهل وأبي لهب.

فهذا أيضاً من منة الله عز وجل أن هذه الهداية هي بيد الواحد الأحد جل وعلا.....

من الآيات التي حقيقة تستحق الوقوف معها قول الله جل وعلا عن قوم نوح : {قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا }، خلاص يا أخي أنت تهددنا بعذاب الله { فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. }

كما تقول لإنسان ترى إذا ما صليت خلاص يعاقبك الله عز وجل ويضعك في النار ، فيقول خلاص أنا لن أصلي هيا أين عذاب الله دعه ينزل به عقاب الله ؟! ، وهذا والعياذ بالله من شدة الاستكبار الران والغفلة التي على القلب.

بماذا ردّ عليه نوح عليه السلام ؟ ، طبعاً لك أن تتخيل نوح وهو واجه لمثل هذا الرد وقد بقي فيهم ألف سنة ألــف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم وهو على فكرة من أطول الأنبياء عمراً.

لم يرد عليهم قال : سوف أريكم تأتون ان شاء الله ينزل عليكم العقاب ، قال : {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ. }

أيها المباركون هنا فائدة عظيمة خصوصاً للدعاة وهي أن الثقة بالله ، كمال اليقين ، تمام حسن الظن بوعد الله عز وجل هي التي تبعث في القلب أنوار الإيمان وقوة اليقين ، هي التي تبعث في القلب قوة الصبر والتحمل لأن الثقة بالله لا توهب للعبد يعني لا يوّفق لها العبد إلا بقوة الإيمان.

فإذا آمن العبد ورزقه الله عز وجل إيماناً صادقاً كاملاً وفقّه وأورثه قوة اليقين وحسن الظن بالله فصبر على ما واجه أو ما يواجهه في خلال دعوته {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ } ، انظر النداء ليس لعموم الناس بل لأهل الإيمان { اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. }

تختم سورة هـود بذكر الحكمة من هذه القصص {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. }

بالمناسبة هذه السورة أيضاً هي من السور الخمسة التي شيّبت برأس النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول عليه السلام : " شيّبتني هود والواقعة وذكر التكوير وغيرها من السور ....

وجاء عن بعض المفسرين أن الآية التي هي كانت سبباً في شيب رأس النبي صلى الله عليه وسلم هي في قول الله عز وجل : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ } ، فقد أمره الله عز وجل بالاستقامة الكاملة الحقّ ، وهذا لا شك أن ذلك من فقه النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية أنه قد شاب رأسه بسببها.

نسأل الله أن يعفو عنا وأن يغفر لنا الزلل والخطأ ، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وأن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، ألتقيكم في الحلقة القادمة وأنتم على خير وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثالث عشر التاريخ: ٢٠١١\٨\١٣**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أما بعد معاشر الإخوة والأخوات، مرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب، وموعدنا اليوم مع الجزء الثالث عشر من كتاب الله الذي يحوي سورة يوسف تقريبا، وسورة الرعد وسورة إبراهيم عليه السلام.

في الحلقة الماضية بالمناسبة تحدثنا عن قصة هود وذكر أنبياء الله، ذكروا في هذه السورة العظيمة وذكرت أن سورة هود جاء فيها ذكر الأنبياء والنص على أنهم بعثوا من أقوامهم، فبعثوا من أقوامهم إلى أقوامهم.

أما نبي الله لوط عليه السلام فاختار بعض أهل العلم من المفسرين أنه لم يبعث من قومه، إنما بعث إليهم، فالأنبياء في هذه الصورة إنما يبعثون من أقوامهم إلى أقوامهم، أما لوط عليه السلام فبعث إلى قرية سدوم، ثم نسب إليهم فقال الله عزّ وجل، قال يا قومي لما كان يحدثهم، يا قومي وكان قصدي يخاطبهم بصيغة أنهم من قومه الذي بعث إليهم.

اما أنبياء الله، فكانوا من أقوامهم، يعني بعثوا من أقوامهم إلى أقوامهم، دليل ذلك أن الله عزّ وجل قال: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً }الأعراف٦٥ {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً }الأعراف٧٣ شعيب، أخاهم شعيب أيضا، أما لوط عليه السلام فلم يذكر الله عزّ وجل لفظة الأخوة لهم وهذا أيضا كان ظاهر في سورة هود عليه السلام.

أيضا يعني ربما نستدل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامّة، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعث إلى عموم الناس ولكنه أيضا بعث وهم قريش لكنه بعد ذلك كانت دعوته عامة يعني سرت في مدينة سرت إلى شمال الدنيا وجنوبها، وغربها وشرقها، وكما قال الله، وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين.

طيب، اليوم سورة الأولى التي معنا هي سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، هذه السورة التي سماها باسم نبي من أنبيائه كان يوسف عليه السلام شاب صغير قد أوتي شطر الحسن، يعني نصف الجمال، إفتتحها الله عزّ وجل بقوله، {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ }يوسف١ {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }يوسف٢ {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣ {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ }يوسف٤ {قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }يوسف٥ من مطلع هذه السورة تعطيك إشارة لما تحدثنا عنه كثير التأكيد على عظم شأن هذا القرآن التأكيد على أنه المعجزة الخالدة من عند الله إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، أيضا هذا يشوقك لمعرفة أو للتأكيد على أهمية وصدق ما جاء به هذا القرآن فهو يشوقك لمعرفة تفاصيل وما جاء فيه، يقول الله، نحن نقص عليك أحسن القصص أي نقص عليك يا محمد أحسن القصص، لما سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقص عليهم فأنزل الله عليه نحن نقص عليك أحسن القصص، فالقصص الرائعة الجميلة هي القصص المثبتة التي جاءت من عند الله التي فيها العظة والعبرة والدروس العظيمة، وهذا لا تجده إلا في كتاب الله وفي قصص القرآن التي في كتاب الله، ثم في سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده من السلف الصالح.

يقول ربنا جل وعلا، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين، بماذا افتتح الله هذه القصة طيب، أن شوقك إلى معرفة القصة أحسن القصص ومنها قصة يوسف، قال الله، إذ قال يوسف، حينها في يوم من الأيام قال يوسف عليه السلام بعد أن استفيظ يوسف من نومه لأبيه، يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، هنا لنا وقفة في قول الله عزّ وجل، إذ قال يوسف لأبيه، هذا يدلك على أهمية إرتباط الإبن بوالده، خصوصا في سن، يعني بلوغ ما بعد بلوغ الإنسان ويعني في حال مراهقته، فإنه أحوج ما يكون أن يتصالح الأب مع ابنه، فإن في هذه المرحلة العمرية كثيرا من الإشكالات التي تمر بالشاب خصوصا بالبالغ، هذه الأمور، أو هذا السن، يحتاج به الشاب الصغير، إلى التطلع لما لا يعرفه أو للتطلع لما خفي عنه، تجده يود التعرف على كل ممنوع وكما يقولون كل ممنوع مرغوب خصوصا عند الصغار، أيضا قد يواجه في هذه المرحلة في مرحلة النمو والنضج والبلوغ بعض العوارض النفسية، التربوية، تعتليك كثيرا من المشاكل ربما حتى الأخلاقية، معرفته للحياة هو الآن يريد أن يفتح معاني الحياة، أو أن تتفتح لديه معاني الحياة فيعرف أسرارها ويعرف أمورها فيحب أن يجرب كل شيء، فالحقيقة أن هذا من الرسائل التربوية أن هذه المرحلة العمرية من أحوج ما يكون الإبن أن يصاحب فيه إبنه، ولذا كثير من الشباب والصغار ربما لا يعني يسروا بأسراره لأصدقائه أو أحيانا أمه ولكنه لا يفشيها إلى أبيه أو والده، ربما تتفاقم الكثير من المشكلات، ربما يقع الإبن في مشاكل لا حصر لها مخدرات ربما يعني أخلاقيات، ربما يعني أحيانا سرقة، ربما أحيانا أشياء صحية لا يواجه فيه والده، ولذا فعلى الوالد أن يبادر هو أيضا للإستفادة وأخذ الدرس قبل أن يعني يقع الفأس في الرأس فعلى الوالد أن يبادر والوالدة أن تبادر لطرح مثلا مشاكل على الإبن ما رأيك في كذا، ما رأيك في كذا، حتى أيضا يفتحوا المجال له، كان يوسف عليه السلام مبادر أول ما صحى من النوم ذهب لوالده، يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فقصّ عليه رؤيا، طيب.

ماذا قال والده يعقوب عليه السلام، قال، يا بني شوف طبعا يقول يا ابت وهو يقول يا بني، أيضا مناداة الإبن بأحب الأسماء إليه أو بألطف العبارات، مناداة الأب لإبنه كذلك يورث أيضا جسور من المحبة والمودة واللطافة، في زمن للأسف اليوم أصبحت في كثير من البيوتات العلاقات جافة وجامدة، نحن نحتاج إلى كثير من هذه العبارات اللطيفة، عبارات الحب والمودة بين الأب وأبنائه، والوالد وبناتها، والعكس، لإذابت هذا الجليد الوهمي بين العلاقات الإجتماعية، يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك، طيب هم إخواني أين المشكلة، قال فيكيدوا لك كيد، وكان يوسف أخ لهم من أبيهم، وهذا أيضا تجده أيضا بين الإخوة سواء كانوا أشقاء أو من أم وأم، فإن الشيطان له عداوة بين بني آدم وعداوة خاصة بين التفرقة بين الأخوة، فعلى الأب والأم أن يكونوا حكيمين في هذه الأمور.

لا تقصص رؤياك على إخوتك، لماذا، فيكيدوا لك كيدا، لأن ذلك من دافع الحسد أو ربما الغيرة التي أحيانا لا تضبط بميزان وضابط الشرع، طيب هم صغار، ربما لا يعرفون أن هذه غيرة أو حسد أو هذا غلط، فعلى الوالد أن يكون قريب يعني فتح المواضيع مع الوالدين، مع الأبناء أقصد، يكشف شيء من هذه الإشكاليات أو السلبيات، التي ربما تكون في أنفس أولائك الصغار، الحديث المتواصل مع الوالدين، إبداء الرغبات في حل مشكلة معينة أو أمر معين، جلوس الوالد دائما مع الأبناء قدر الإمكان وقدر المستطاع، المتابعة، لا أقول المراقبة، لكن يعني التفتيش أو المتابعة المنضبطة، أو المراقبة المتوازنة لأصحابهم، لأبنائهم لدراستهم لعلاقتهم الإجتماعية لطعامهم لشرابهم، يحل كثير من الإشكاليات التي قد ترد في موضوع مثلا الغيرة الحسد العداوة بين الأشقاء، أو مثلا العداوة بين ما لا يكون أشقاء من أم وأب.

منها أيضا أن في هذه الآية بيان لعداوة الشيطان فيكيد لك كيدا، إن الشيطان للإنسان عدو مبين، ماذا فعل الشيطان بعد ذلك تابعوا بعد الفاصل.

يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا، إن الشيطان للإنسان عدو مبين، إن الشيطان عدو متربص، لو قيل لك لا تفتح الباب فإن عدو بالخارج يريد قتلك أو ذبحك أو سرقة مالك، أو ضربك، أو حتى إختطافك، فإنك تحذر منه أشد الحذر تختلق أي وسيلة للهروب منه، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعو حزب ليكونوا من أصحاب السعير، ماذا فعل بعد ذلك الشيطان، لما زادت الغيرة بين الإخوة تعرفون ماذا حل بيوسف عليه السلام، أغراهم بالكذب والخيانة وتضييع الأمانة، أخذوا يوسف عليه السلام رغبة يعني أو إظهار لرغبتهم في يعني التنزه به، يا أبت إذ قالوا نحن عصبة إن أبانا في ضلال مبين، {قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ }يوسف١١ {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }يوسف١٢ أرسله معنا يلعب ويذهب إلى المتنزهات والبرية يرتع ويلعب وإنا له لحافظون، لا تخاف سنحفظه ونخاف عليه، وكان يعني يعقوب عليه السلام لا تغيب عليه مثل هذه الأمور ولذا قال لهم، إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، ثم ذكروا له الأعذار الوهمية إلى أن اتهموا الذئب بأكله، وهم قد اتهموا في غيابة الجب.

في قصة معروفة للجميع، جاء بعد ذلك، قصته وموقفه مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسها قال الله عزّ وجل حاكي عنها، {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ }يوسف٢٣ أي أحكمت إغلاق الأبواب وهي صيغة مبالغة، لم تغلق الأبواب بل، غلقت الأبواب يعني واحد إثنان ثلاث قفلات، وهي صيغة مبالغة، { وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ }يوسف٢٣ يلا هو الآن صغير وشاب وغريب وهو خادم في هذا المنزل وفي هذا القصر، هو أيضا يعني شاب ولديه شهوة، هو محتاج وهي صاحبة مال وعزّ هي صاحبة سلطان وسلطة عليه.

كل هذه الأمور وهو رجل أوتي شطر الحسن والجمال عليه الصلاة والسلام ماذا يفعل } ,قَالَ مَعَاذَ اللّهِ }يوسف٢٣ شوفوا يا إخوان موضوع الوقاية، شوف موضوع يعني التطعيمات ضد الذنوب وضد الجنوح للمعاصي والسيئات، شوف أيضا الوقاية والتربية الحسنة والبذرة الطيبة التي كانت تبذر في بيت يعقوب عليه السلام، إذا ربى الأب أبنائه وبناته على العمل الصالح والتربية الطيبة، إذا كان الأب نفسه صالح والأم صالحة، قدر الإمكان فإن الله يحفظ يعني يحفظهما ويحفظ أبنائهما ويحفظ أموالهم ويعني يعصم تلك الأسرة من الجنوح إلى ابوب الفساد والمعاصي، كل من تجده وللأسف يعني أو غالب من تجده في السجون، حال المخدرات أو حال الأمور الأخلاقية، تجد أن يعني ذلك المنبع لم يكن منبع سليم وصالح، كان في مشكلة بالبيت، مشكلة أب أو أم، مشكلة طلاق، مشكلة ذنوب، مشكلة أفلام سيئة، مشكلة تساهل في المعاصي والمنكرات، ولذا التربية الحسنة يظهر أثرها وقت المحن.

قال ما عاذ الله، إنه ربي، أي إنه الله عزّ وجل أحسن مثواي، وقيل إنه ربي أي سيدي الذي هو زوجك، أحسن مثواي، أي أفدني في هذا البيت وجعلني مستأمنن عليكم، إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون.

هذا الموقف وهذه القصة الحقيقة التي تعطيك درس في العفّة يا شباب، هي لكم ولنا جميعا وللكبار والصغار، ما عند يوسف ليس عند واحد بالمائة مما عندنا، وما عندنا ليس واحد بالمائة مما عند يوسف أقصد، وما عند تلك المرأة والموقف كله ربما لا يتأتى ولا يحصل لبعض يعني بعضنا.

اليوم بعض الناس لا يدعى ولا يلزم بالمنكر ولا يخوف المنكر، إنها هو يذهب بنفسه لفعل المنكر وهذا بالحقيقة من الخطر العظيم.

سجن يوسف عليه السلام بعد أن إتهمته تلك النسوة، جاءه أولائك الأقوام الذين كانوا معه بالسجن، فرأى أحدهم رؤيا وقصّها على يوسف، ماذا قال له بعد ذلك، قال أفتوني في رؤياي، كما قال الملك، للقوم الذين ارسل معهم الملك رؤياه إلى نبي الله يوسف عليه السلام، يوم أن كان في السجن، وهم لا يعلمون أنه نبي لكن رؤا فيه الصلاح قال أفتوني في رؤياي، وهذا فيه إشارة إلى أن تأويل الرؤيا يعد نوع من الفتيا ومن القول على الله.

فعلى الإنسان أن لا يتساهل فيه، وأن لا يأخذ هذا العلم إلا من مظانه، يوسف عليه السلام كان في ذلك السجن محبوس في ظلام دامس في مكان موحش، ماذا كان يفعل، قلت لكم، الإبن الذي تربى على الخير والطاعة وإحسان النية يعني يحاول أن ينتهز الفرص لإكمال المسيرة التي تربى عليها، يأتون إليه ويقصون عليه رؤياهم، فماذا يقول لهم.

} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }يوسف٣٩ يدعوهم في وسط السجن إلى توحيد الله عزّ وجل، الدعوة إلى التوحيد الدعوة في كل مكان، الدعوة في لتوحيد الله جل وعلا.

بعد ذلك، من رحم ظلام السجن إلى كرسي الملك، بعد أن وفق الله يوسف عليه السلام وعلم صدقه وأنه بهذا الإبتلاء ليس لذنب أو لمعصية فعلها، لأن الإبتلاء قد يحصل للعاصي ويعاقبه الله عزّ وجل على ما فعل، أو يحصل للمؤمن لرفعته درجاته في الدنيا والآخرة، من ظلام السجن إلى كرسي الملك، بعد أن أذعن له قومه أو أهله أو إخوانه، ووالده قد فرح بهذا المنصب العظيم، بعد أن كان فقد يود أن يعني مجرد أن يعود له يوسف عليه السلام إبنه الذي ألقي في اليم أو في الجب صغير.

ماذا قال بعد أن أعاده الله عزيز كريم إلى والده وإخوته، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر لكم وهو أرحم الراحمين، هذه معادلة صعبة لا يمكن أن تهدى لأي أحد معادلة صعبة في العفو عن الخطأ ويعني عن الذل و الحلم على الظالم والمخطئ والمقصر فكيف وهم إخوانه فهذا أيضا يدلك على شيمة أولائك الأنبياء الكرام الذين رباهم الله جلّ وعلا.

يوسف عليه السلام لما أراد أن يبين سبب ما حصل وأن يعتذر لإخوته لم يقل يعني أنتم كنتم سبب بل حاول أن يتناسى وأن ينسيهم ذلك، ولذلك لما أراد أن يثني على الواحد الأحد بعد أن جمعه بأبيه ماذا قال، قال الله عزّ وجل على لسانه.

}وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ }يوسف١٠٠ لما رأى أحد عشر كوكب يعني وهم إخوته يسجدون له، والشمس والقمر رأى والديه يسجدون له، وهذا كان جائز في شريعتهم.

قال، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حق، وقد أحسن بي إذ أخرجني، شوف نسبة الفضل إلى الله، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، طيب لما يصير ملك أو يصير وزير أو مسؤول أو رئيس دولة، لا يريد أن يذكر أحد يقول إمسحوا كل الأخبار السابقة والماضية والتاريخ، لا.

أنا من رحم ذلك السجن إلى كرسي الملك، هذا كله من فضل الله، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، شوف، يعني هذا من تمام العدل والفضل، نسبة الفضل إلى الله عزّ وجل، فإذا أيقن العبد بذلك ونطق به واستشعره في قلبه، جازاه الله أضعاف أضعاف ما حل به، فكلما كان العبد مع الله كان الله معه، إذ أخرجني من السجن قال وجاء بكم من البدو من بعد أن رميتموني في الجب، من بعد أن تخليتم عني من بعد أن ختتم أمانة الله فيا، لا، قال بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي.

يعني من المخطئ الآن، الشيطان وليس الإخوة، وهذا تحليله عليه السلام الذي فيه من التأدب والتكريم وحفظ ماء الوجه، وحسن حفظ العهد مع إخوته لأن حسن حفظ العهد من الإيمان، وحتى لا يكسر خاطرهم وخواطر والديه أو خاطر والديه، هذا لا شك أنه أمر عظيم ومدرسة في التربية والأدب والكرم والحلم، حري بنا أن نقتدي بها.

في الحقيقة سورة يوسف العديد من الفوائد التي لا يسع المقام لذكرها ولو لحلقات، يلي سورة يوسف، سورة الرعد التي سميت بالمعجزة الخالدة أو معجزة التي هي من معجزات الله عزّ وجل أو من آيات الله نقول الرعد آية من آيات الله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم" إذا سمعتم الرعد فقولوا سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته" لأن ما يحصل من ذلك الصوت العظيم هو تسبيح لله، هي سورة مكية جاء فيها دلائل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر بعض آيات الله عزّ وجل التأكيد على مخلوقاته وعظيم يعني حكمته في خلقها، ثم تليه سورة إبراهيم عليه السلام، التي سميت باسم ذلك النبي الكريم وهي أيضا تؤكد أو تأتي على مقاصد أيضا جاءت في سورة الرعد.

كنت أود ايضا الإكمال في حديثنا عن سورة الرعد وإبراهيم إلا أن الوقت لم يسعفنا لعلنا نكمل إن شاء الله ما تبقى في الحلقة القادمة فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الرابع عشر من القرآن ( سورة الحجر وسورة النحل( تاريخ الحلقة : ١٤ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

معاشر الإخوة والأخوات مرحباً بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم " ربيع القلوب " ، وحلقتنا اليوم هي الحلقة الرابعة عشر ومع الجزء الرابع عشر الذي يحوي سورة الحجر وسورة النحل.

سورة النحل سورة عظيمة ، و بداية الجزء بسورة الحجر وهي أيضاً سورةٌ عظيمةٌ سورة مكية يقرر الله عز وجل فيها كثيراً من معاني المتكررة في السور المكية كتقرير شأن العقيدة وترسيخها في القلوب ، وتعرض أيضاً إلى حياة الباهرات التي هي من خلق الله عز وجل تعظيماً لذاته ، فان الإنسان إذا استعظم هذه المخلوقات ورأى عجائب الله عز وجل في صنيعه فانه ولا شك يعني ينفطر قلبه ويتوجه لتعظيم موجدها.

أيضاً جاءت فيها قصص لتأكيد هذا المعنى عرضت إلى قصة يعني آدم عليه السلام وخلقه وأمر الله إبليس والملائكة بالسجود له عليه السلام ، كذلك ورد فيها قصص بعض أنبياء الله ورسله تسليةً للنبي عليه الصلاة والسلام تثبيتاً لقلبه لبث العبرة والعظة في نفوس كل من قرأ هذا القرآن وأنه رسل إليه.

ثم يذكر في ختامها رب العالمين الحكمة العظيمة من هذه المعجزة الخالدة التي أنزلها وهي القرآن العظيم.

سورة الحجر هي إحدى السور التي تسمّى ذوات الراء وهي سورة الرعد وإبراهيم والحجر ، وهذه السور الثلاث لو لاحظت فيها لو تأملت في آياتها لوجدت تكرار حرف الراء فيها ، هذه السور الثلاث أيضاً يعني تسمّى سور الدعوة أو سور الدعاة لأنها تحدّثت بإسهاب عن منهج الدعوة على منهج الله جل وعلا.

جاء فيها ذكر ما يسلّي الدعاة ، جاء فيها ذكر مصير من خالف يعني ما جاء به الدعاة عن الله ، فهي لا شك من المناهج التي يجب أن تدّرس وأن تقرأ وأن تفهم وأن يتربى عليها كل داعيةٍ إلى الله جل وعلا.

فافتتحها الله عز وجل لو لاحظنا بتعظيم شأن القرآن { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ } ، ثم قال : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } ، ثم قال في ختامها {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي } ، وهي الفاتحة { وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ. }

حتى قال في آخرها سبحانه وتعالى : {كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ } {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } ، أي تركوه ولم يعتصموا به.

من القصص التي ذكرت أنها وردت في هذه السورة هي قصة خلق آدم عليه السلام وأمر الله الملائكة وإبليس بالسجود له عليه السلام ، طبعاً القصة معروفة سجد الملائكة كلهم أجمعون عدا إبليس الذي خالف أمر الله ولم يستجب لأمر الله جل وعلا بالسجود.

كان علة عدم السجود هي الاستكبار ، قال : { قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } ، فلو لاحظنا ان دائماً عاقبة الكبر دائماً هي عاقبة مشئومة دنيئة لأن الإنسان لأن المتكبر أو الحاسد وإبليس بالمناسبة اجتمع فيه يعني خاصية الكبر وخاصية الحسد ، وهاتين الخاصيتين من أعظم ما يمحق الله عز وجل بها الإيمان ومن أعظم ما يسلب بها سلامة الصدر وراحة في الدنيا والأجر في الآخرة من أعظم ما يسلب به هذه الأشياء.

فإبليس عليه من الله ما يستحق لما لم يستجب لأمر الله ولم يسجد لآدم عليه السلام كل ذلك كان بسبب الاستكبار لأنه خلقه الله من نار وخلق آدم عليه السلام من طين ، فهو يرى أن النار أفضل من الطين.

والأمر الثاني الذي كان بسببه عدم الاستجابة هو الحسد ، ولذا في الحسد أمرٌ خطير وسرٌ يعني لا يظهر لكل أحد وهو ان في الحسد اعتراض على أوامر الله وأن فيه ضعفاً في التوحيد يعني ربما يكون ذلك شركاً أحياناً لأن الإنسان يعني يعترض على أمر الله إذا حسدت إنسان على ما وهبه الله فانك تعترض على ما منّ الله به عليه.

أما الحسد المباح فهو الغبضة وهو أن تتمنى ما عند الشيء ما عند الرجل أو ما عند الآخر دون أن يعني مع بقاءه عنده تتمنى عند شخصٍ مثلاً مالاً أو جاهاً أو منصباً أو صحةً أو يعني عافيةً لكنك لا تتمنى زوالها من عنده ، ولذلك كان عاقبة إبليس أن أهبطه الله إلى الدنيا.

طيب بعد هذا الهبوط بدأت المعركة الكبرى والصراع العظيم من تلك اللحظة إلى قيام الساعة.

لو كانت تلك المعركة معركةً خفيةً لربما يعني قلنا ان بعض الناس لا يلام أنه يقصّر أو يعصي لكنها معركة كانت علنية معركة معلنة معركةً معلنةً يعني واضحة الأهداف جلية الأسباب والدوافع ، فهو يصرّح أمام الباري جل وعلا وهذا من تمام الاحتقار وتمام الإهانة لابليس الرجيم أنه يتوعد العالمين أمام الباري الذي هو يعلم قدرته جل وعلا ، وكل ذلك بقدر الله.

فيقول إبليس : {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ } ، أي لأزينن لهم المعاصي وأحسنّها لهم { وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } ، انظر سبحان الله عاقبة الكبر والحسد أن من اتصف بتلك الصفة يزداد عتواً وكبراً وتحوطه المعاصي والموبقات والخطايا ، فهو من حسدٍ إلى كبرٍ إلى تعالي إلى توعدّ بالمعاصي يعين يبث وينشر المعصية ، وهذا أيضاً من المجاهرة من المكابرة ، أيضاً استخفاف بالله جل وعلا وهذه معصية أخرى ، أيضاً التوعد بإغواء كافة البشر مع أنه يعلم أنه في النار وأنه سيعاقب العقاب الأليم وهذا للأسف يعني مما تبعثه تلك المعاصي.

وهذا يدلك على أهمية الحذر من المعصية ولو كانت صغيرة فان شؤمها عظيم وخطرها كبير ، وأنها هي خطوة خطوة والحسنة تقول أختي أختي ، فإذا جاءت سيئة تراها مباشرةً تدعو أختها.

قال الله عز وجل أو قال على لسان إبليس : { وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } أي الا العباد الذين فضحوا أمري وعرفوا حبائلي فإنهم معصومون مني بأمرك وبعصمتك لأنهم استعاذوا بك والتجئوا بذاتك فانك تعصمهم {إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. }

قال الله : {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {إِنَّ عِبَادِي } ، وانظر نسبتهم إلى الله عز وجل أهل إيمان أهل الصلاح أهل التقوى الذين كشفوا مكائد الشيطان {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. }

جاءت الآية بعد ذلك بذكر عقاب أولئك الغاوين الذي أغواهم إبليس وهو أيضاً على رأسهم في نار الجحيم.

أقف وإياكم وقفة يسيرة مع فاصلٍ قصير ثم نعاود المسير.....

)فاصل إعلاني. (

---

الكثير من الإخوة والأخوات حينما يتوبون إلى الله عز وجل ويفتح الله على قلوبهم يعانون الحقيقة من بعض الأمور من أبرزها المبالغة أو الغلو أحياناً في الطاعة.

ولذا تجد بعضهم أحياناً يترك الضحك ويترك المزاح يعني حتى المتوازن وربما ترك التكثّر من الأكل والشراب وقلل من الخروج للناس والجلوس مع والديه ، وربما أيضاً بالغ في العبادات وفي بعض الأخلاقيات مع أنه مازال غظاً طرياً يعني ليس له إلا أيام أو أشهر في موضوع في سلك الاستقامة.

وهذا أحياناً يكون أحياناً ربما يكون من تسويل الشيطان حتى يثقل العبادة على الإنسان لأن العبادة كما تعلمون تحتاج إلى ترويض ، تحتاج إلى تهيئة ، ولو رأيت مثلاً الدعوة أو الوعد بالأجر على من أتى مبكراً إلى الصلاة ، الحث على الوضوء وإسباغ الوضوء ، الأجر العظيم في المشي إلى الصلاة مثلاً وخلاف الراكب ، التبكير في الجلوس بين الأذان والإقامة في المسجد ، ترديد الأذان.

كل هذا لماذا ؟ ، ولماذا رتّب الله عليها الأجر ؟ ، لأنه يهيئ الإنسان لعبادة عظيمة ، وهذا هو الملمح في هذه الأمور فان النفس بطبيعتها لو أتى الإنسان إلى عبادة مباشرة يعني جاء مثلاً وهو يركض أو مسرع أو توضأ بشكل سريع بدون إسباغ أو جاء مثلاً في الركعة الثالثة ..... تجده لا يشعر بالخشوع في الصلاة ، تجده لا يتلمس أثر تلك العبادة على نفسه في حجزه عن المعاصي أو في دفعه إلى الأمور الصالحة والى الطاعات والعبادات.

ولذا كثير من الشباب أو الفتيات حينما يقبل على التوبة ربما يؤذه الشيطان أو يسوّي له بعبارة أخرى إلى المغالاة في الطاعات حتى يستثقل ذلك ، والبعض للأسف تجده أيضاً ربما يكون بعيداً عن هذا الأمر ، فيتوب ظاهرياً ولكن باطناً كما هو.

السبيل الثاني للشيطان على المهتدي أو على المستقيم حديثاً أن يفتح عليه باب الشبهات ، فيقول له من خلق الله ؟ ، من أوجدك أنت ؟ ، عفواً إذا مت أنت فانك لا تبعث ؟ ..... يعني يخيفه كثيراً بالموت ، بالقبر ، لماذا تعمل وتجد وتدرس ؟ ، لماذا أصلاً تعمل الصالحات أنت ميت ميت....

فيفتح عليه باب الشبهات وهما سبيلين للشيطان على الإنسان ، يعني المعاصي تنقسم إلى قسمين : معاصي شهوات ... ومعاصي شبهات.

فهو أول سابقاً كان يجرك إلى معاصي الشهوات لما تبت وأغلقت على نفسك هذا الباب فتح عليك الباب الثاني وهو باب الشبهات.

طيب إذا تبت طيب ما المطلوب مني ؟ ، مطلوب منك التوازن ، أن تعبد الله عبادةً كما يحبها سبحانه وتعالى ويرضاها بأداء الواجبات أولاً ، بفعل النوافل ثانياً ، ثم بترك المحرّمات.

طيب لماذا أورد هذا المثال ؟ ، أوردته لمناسبته لقول الله جل وعلا : {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } {وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ. }

ما وجه ذكر هذا الموضوع مع هذه الآية ؟ ، أن الله عز وجل يقرر في هذه الآية التوازن الذي يجب أن يكون عليه المؤمن فأن لا يغلّب جانب الرجاء ولا يغلّب جانب الخوف ، بل هما جناحي طائر كما صوفهما بعض السلف فالطائر لا يستطيع أن يطير بأحد الجناحين أو يغلّب جناحاً على الآخر .. كلا ، بل عليه أن يطير بهذين الاثنين حتى ينجو وأن يعيش على منهج الله عز وجل.

من الآيات التي ختم الله عز وجل بها سورة الحجر قوله سبحانه وتعالى : {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ } {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ. }

هذه وصية يا أحبابي كل من أصابه هم أو نزل به كرب أو حلّ به ضيق فعليه بهذين الأمرين والوصيتين من رب البرية لنبيه صلى الله عليه وسلم.

انظر ... الله عز وجل لعظيم محبته لنبيه لما وقع في كربٍ أو تكذيبٍ أو معاداة أراد أن يسليّه فبماذا سلّاه ؟ ، بماذا أوصاه ؟ ، أنت ضاق صدرك ، نزل بك هم ، حلّ بك كرب هل تريد الوصية التي جاءت من الله لرسول الله ؟.

اسمعها في قوله سبحانه وتعالى : {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ } ، طيب يا ربي ما هي الوصية لنبيك ؟ ، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ }، وهذا هو الذكر فان إكثار الذكر وترطيب اللسان بذكر الواحد الأحد يسلّي القلب ، ويبعث في النفس الراحة والطمأنينة والسكينة ويبعث في الجسد قوةً معنويةً لا نظير لها.

وقد يدلل على هذا ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة رضي الله تعالى عنهما حينما شكت فاطمة إلى النبي عليه الصلاة والسلام ما تجده من التعب من الرحى وفي شأن بيتها والقيام عليه ، فسألت نبي الله عليه السلام سألت والدها عليه السلام أن يأتيهما بخادم.

فقال : ألا أدلكما على خيرٍ لكما من خادم ؟.

قالا : بلى يا رسول الله.

قال : تسبّحان الله ثلاثاً وثلاثين .... وتحمدان الله ثلاثاً وثلاثين ..... وتكبّران الله ثلاثاً وثلاثين ، فإنهما خيرٌ لكما من خادم.

وبعض الناس يقول أكبّر وأستغفر وأسبّح فخيرٌ لي من خادم ؟ ،لأن ذلك الحقيقة يبعث في النفس قوةً معنويةً ، وهذا ولله الحمد مجرّب وكثير من الصالحين يجده في نفسه.

إذاً المفتاح الأول لإذهاب الكدر والضيق من النفس التسبيح الذي هو بمثابة الذكر ، قال الله : { وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } ، وهذا المفتاح هو مفتاح الصلاة ، طيب لماذا لم يقل الله وكن من المصلين ؟ ، قال المفسرون لأن أكثر شيء في الصلاة وأعظم شيءٍ فيها هو السجود لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " وأما السجود فعظمّوا فيه الرب " ، بل قال أقرب ما يكون العبد من ربه يعني أقرب لحظة يكون العبد فيها قريباً من الله ، قال وهو ساجد فقمنن أن يستجاب لكم ، فقمنن أي حريٌ أن يستجاب لكم. "

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } ، الذكر { وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } ، أي أكثر من الصلاة والسجود والدعاء فإنهما بإذن الله ينفيان عنك ذلك الكدر وذلك الضيق.

يلي سورة الحجر سورة النحل وهي السورة التي يسميها أهل العلم سورة النعم لعظيم ما ذكره الله عز وجل فيها من النعم ، طيب لما ذكر الله النعم في هذه السورة ؟ ، ليعددها منةً وفضلاً على عباده ، فان الإنسان إذا أتيته مثلاً إنسان مقصّر معك الآن وتأتيه وتقول له : ألم أكن أذهب بك إلى المشاوير ؟ ،ألم أكن أعطيك بعض المال ؟ ، ألم أكن أساعدك في مثلاً مذاكرتك ؟ ، ألم أكن أساعدك أيام حاجتك ؟.....

فانك إذا ذكّرته بالنعم التي قدمتها له فانه غالباً يقر بها ، فالله عز وجل يريد من العباد أن يقروا وأن يشكروا وأن يحمدوا وأن يثنوا على ربهم بعد تقرير هذه النعم في هذه السورة العظيمة.

لماذا سمّاها بالنحل ؟ ، لماذا سمّا سورة النحل بالنحل ؟ ، تأكيد على الأسرار العجيبة العظيمة الدقيقة الخفية في مخلوق النحل ، ومن الصعب جداً أن نذكر ما جعله الله أو أودعه في هذه المخلوقات أو في هذه الحشرة الصغيرة من الفوائد والنعم والخير للبشرية عامة.

هذه السورة أيضاً جاء فيها ذكر بعض الأمور الجاهلية مما جاء الإسلام بتنحيتها وتحريمها كوأد البنات قال الله عز وجل : {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ } {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ. }

فجاء الإسلام ليحطّم كل هذه المعاني ، جاء الإسلام ليثبت أن للمرأة حقاً في دين الله عز وجل سورة من القرآن سميّت بسورة النساء ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كان لهم الرفعة العالية والقدر العظيم عنده عليه الصلاة والسلام ، حقوقها في الشريعة ، في المعاملات ، حقوقها في كثير من الأمور التي جاءت في الشريعة الإسلامية تدلك على عظيم حقها وقدرها.

هذه النعم يعني وان تحدّثنا عن المقصد العام لهذه السورة فهو كما أسلفنا التقرير بهذه النعم ، ولذا يقول ربنا جل وعلا في سورة إبراهيم : { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا }، لم يقل لا تشكروها لأن الشكر مستحيل أن تشكر هذه النعم ، لكن إحصاء النعم أيضاً مستحيل البعض ربما يعرف بعض النعم لكن حينما يذكر في هذه السورة بعض النعم التي لا يعدها البعض نعمة كوجود البيت ولو كان صغيراً أو ضيقاً ، كوجود الصحة التي لا يشعر البعض بها.

فنبي الله عليه الصلاة والسلام يقر هذه المعاني ويؤكدها ويطلب منا أن نتذكرها دائماً من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافىً في بدنه ، عنده قوت يومه ليس حق المستقبل والأولاد والذرية لا عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

أسأل الله أن يسعدنا بالتقوى وأن يجنبنا معصيته ، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، ألقاكم وأنتم على خير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

.....

ملخص الحلقة:

لقد وصلنا مع الشيخ ناصر القطامي إلى الجزء الرابع من القرآن الكريم وفي هذا الجزء كلاً من سورتي الحجر والنحل ، ففي سورة الحجر يحدّثنا الشيخ ناصر عن القصة التي وردت في سورة الحجر وهي قصة أبونا آدم عليه السلام ورفض إبليس أن يسجد له عندما أمره ربه ، وفي هذه السورة أيضاً ما يدلنا على أن الذكر والصلاة والسجود لله هما السبيل لكشف الضر وفك الضيق.

ويعرض لنا أيضاً في سورة النحل عدداً من الأمور التي كانت في الجاهلية فنهى عنها الإسلام ألا ومنها وأد البنات.....

.....

**اسم الحلقة : الجزء الخامس عشر التاريخ: ٢٠١١\٨\١٥**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم أيها الأخوة والأخوات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته الجزء الخامس عشر هو محور حديثنا اليوم ف هذا البرنامج الذي يأتيكم على هذه القناة المباركة.

سورة الإسراء والأوائل سورة الكهف هو ما ضمه هذا الجزء الخامس عشر ، افتتح الله عز وجل سورة النساء بالتسبيح بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

هذه السورة أيضا من السور التي تسمى المسبحات التي افتتحها الله بالتسبيح كصورة قوله سبحان الذي أسرى أو كصورة الجمعة يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض ، سورة الصف سبح لله ما في السماوات وما في الأرض سورة الحشر سبح لله ما في السماوات وما في الأرض سورة الأعلى سبح اسم ربك الأعلى.

فهذه الصور تسمى أيضا المسبحات وقد جاء في فضلها بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ بالمسبحات.

هذه السورة العظيمة افتتحها الله كما أسلفنا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ، الإسراء المقصود به الحادثة العظيمة التي أسرى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بيت الله الحرام من مكة المكرمة إلى بيت المقدس في ليلة واحدة بالبراق حيث لم يعتد العرب ذلك الوقت أن يذهب الإنسان مسيرة ليلة واحدة أو حتى أشهر يسيرة من بيت الله الحرام مكة المكرمة إلى بيت المقدس ولكنها كانت معجزة خالدة للحبيب صلوات الله وسلامه عليه أن يذهب في ليلة واحدة تلك المسافة البعيدة.

فهذه السورة العظيمة هي من السور التي جاءت لإثبات معجزة عظيمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، تتحدث هذه السورة عن جزء من الآداب الإجتماعية الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام ودعا إليها كبر الوالدين وعدم الإسراف كالإنفاق على الأولاد كالميزان في القسط والعدل أيضا الأدب في المشي والذهاب والإياب .

ثم تختم هذه الصورة العظيمة أيضا بتنزيه الله عز وجل عن النقص عن اتخاذ الولد بآية رائعة عظيمة تأخذ بالألباب وتسلب بالعقول وهذه السورة أيضا ضمت سجدة في آخرها وقد جاء في فضل السجدة أن العبد إذا سجد لله سجدة ذهب الشيطان وهو يولول وهو يقول يا ويلي أمرت بالسجود فلم اسجد فلي النار وأمر بالسجود فسجد فله الجنة.

من السور التي تتبع سورة الإسراء سورة الكهف وهذه السورة العظيمة سورة يعني جاء في فضلها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ أول عشرة آيات من سورة الكهف عصم من الدجل وقد جاء أيضا من حفظ آخر عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال.

وقد جاء في فضلها أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال من قرأ سورة الكهف يم الجمعة أضاء له ما بين الجمعتين أو كانت له نورا بين الجمعتين.

على المسلم أيضا أن يقرأا كل جمعة أو يندب إلى قراءتها كل يوم جمعة بالإضافة إلى التدبر في آياتها فإنك تلمس الكثير من الناس ولله الحمد يحافظ على قراءة سورة الكهف كل جمعة لكنك أحيانا تلمس من بعضهم الخطأ في قراءتها أو وجود بعض الأخطاء حتى أحيانا في النطق في القراءة أو عدم فهم بعض معانيها.

ودائما يعني نحن نذكر بهذا المعنى العظيم أن القرآن انزل للعمل به ومفتاح العمل هو التدبر فكثير من الناس يحب أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة حتى يضاء له ما بين الجمعتين أو حتى يكون له نور لكن من التجارب حقيقة الشخصية التي مررت بها ومر بها بعض الأخوة الزملاء أنهم بدؤوا كل جمعة يقرؤون هذه السورة ويرجعون إلى معانيها أو يجعلون آخر سورة إلى يوم الجمعة في المسجد أو في أحد المنازل يقرؤون تفسير صورة الكهف.

هذا يقرأ من تفسير ابن كثير وهذا يقرأ من تفسير السعدي وهذا يقرأ من تفسير ابن جرير الطبري وهذا يقرأ من تفسير آخر ثم يحضرونها هذه التفاسير ثم يأتون يوم الجمعة يتدارسون هذه السورة.

يقول والله وجدنا نورا لنا في قلوبنا الحقيقة غير مجرد الحفظ والتلاوة والقراءة يوم الجمعة ، فحري بالإنسان أن يأوي إلى هذه السورة العظيمة ان يأوي لهذا الكهف كل جمعة عبر تدبر آياتها وفهم معانيها.

سورة الكهف أيضا جاء فيها ثلاث قصص القصة الأولى هي قصة عظيمة سميت بها هذه السورة وهي قصة أصحاب الكهف عن ماذا تحدث قصة اصحاب الكهف تحدثت عن التضحية بالنفس في سبيل العقيدة هذا هو عنوان قصة سورة الكهف.

إذا اردنا أن نعرف ما هو محتواها ما هو هدف هذه القصة باختصار هو التضحية من أجل العقيدة الإسلامية ، القصة الثانية هي قصة موسى صلى الله عليه وسلم مع الخضر العبر الصالح وهذه القصة قصة ترمز أيضا للتواضع في سبيل العلم أن يأتي نبي بعث من عند الله عز وجل وأن يرتحل إلى ذلك الرجل الصالح حتى يتعلم منه بعض العلم.

فقد جاء أن موسى عليه السلام قال لا أحد أعلم مني فأوحى الله إليه أن في القرية الفلانية رجل صالح يدعى الخضر هو أعلم منك فارتحل موسى انظروا التواضع النهم في طلب العلم الذي يقرب إلى الله عز وجل والدار الآخرة فارتحل إليه موسى عليه السلام ليتعلم منه في قصة جميلة تعرفون تفاصيلها.

أما القصة الثالثة والأخيرة فهي قصة ذي القرنين وهي قصة أيضا ترمز إلى رجل بسط الله له لطانه على المعمورة رجل عظيم يملك مشارق الأرض ومغاربها يذكر الله عز وجل له قصة عظيمة في بناء السد العظيم.

لكن الله عز وجل لم يوفقه لمثل هذا إلا بمفتاح واحد ألا وهو مفتاح التقوى فهذه السورة العظيمة التي إذا قرأتها وتأملت في قصصها ومواقفها وجدت أن الله عز وجل يقرر هذا المعنى العظيم أن العبد إذا نزلت به محنة أو حلت به كربة إذا أراد العلم إذا اراد الخشية إذا أراد التوفيق إذا أراد القوة المعنوية والحسية إذا أراد المال إذا أراد البركة إذا أراد الرزق إذا أراد صلاح الولد فليس له سبيل إلى ذلك إلا بتقوى الله جل وعلى.

هاتين السورتين سورة الإسراء سورة الكهف بينهما تشابه أيضا في ذكر أحوال بعض الأمم السابقة التركيز عل جانب التقوى وأنه مفتاح لكل خير إذا أسلفت جاء من الآيات حقيقة العظيمة في سورة الإسراء قول الله عز وجل في الحث على بر الوالدين وأنه أيضا مفتاح لتقوى الله جل وعلى يقول ربنا وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه.

}وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً. {

يقول ربنا وقضى ربك أي ألزم ربك وأوجب أن لا تعبدوا إلا إياه وهذا هو التوحيد الخاص لله ألا لله الدين الخالص إن الدين عند الله الإسلام.

أن لا تعبدوا إلا إياه ثم قرن حقه سبحانه العظيم بحق مخلوقن ضعيفين من البشر عباده أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا.

أيها الأخوة هنا لفتة الله عز وجل لماذا قرن حقه بحق ذلك المخلوق الضعيف الذي هو بشر وعبد من عباده لكن لماذا يقرن حهق بحقمها سبالنه وتعالى ؟

قيل لأن العبد إذا أعطى حق المخلوق الضعيف فإنه لا محالة سيعطي حق الخالق العظيم جل وعلى لأن العبد بطلبيعته إذا أحسن إلى من أحسن إليه بأمور يسيرة يعني الوالدين أحسنوا إلى العبد أو أحسنوا إلى الإبن بإيجاده بعد الله ز وجل والوالدة بالحمل بالسهر عليه بالإنفاق عليه.

فإذا شكر العبد حق والديه فلا شك أنه سيشكر المنعم الأول الذي أوجده وأوجد والديه ، الفائدة الأخرى فائدة عظيمة وجليلة جدا لكن لن أذكرها الآن سأذكرها بعد الفاصل إن شاء الله.

---

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ألزم وأوجب أن لا تعبدوا إلا ربك جل وعلى ثم يقرن حقه بحق الوادلني ذلك المخلوقين الضعيفين.

أيها الأكارم نحن نعلم جميعا أن درجات الإسلام أو أن الدرجات التي أمر الله بها حال العبادة تنقسم إلى ثلاثة أقسام إسلام ثم إيمان ثم إحسان.

المرتبة الأولى الإحسان ثم تليها الإيمان ثم يليها الإسلام كلما ازداد العبد في هذه الدرجات أثابه الله على قدر طاعته وعلى قدر مسابقته لهذا الخير.

الله عز وجل لم يأمرك بدرجة الإحسان ولم يأمرك بدرجة الإيمان طلب منك درجة الإسلام ولكنه حثك على الترقي في هذه الرتب العالية أما في شأن الوالدين بل أمرك وطلب منك أن تأتي بأعلى الدرجات أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا.

طلب منك درجة الإحسان التي هي أعلى رتبة مع هذين المخلوقين الضعيفين ، لماذا ؟ لأنه كما أسلفت العبد با جماعة إذا أحسن لمن أوجده بهذه الدنيا فكيف إذا أوجده أو أوجد أصله وخلقه وخلق والديه وأنعم عليه بالنعم الحسية والمعنوية أنعم عليه بالحس بالسعادة بالراحة بالطاعة أن جعله مسلما أنعم عليه بأمور طبية وصحية لا يعلمها سريان هذا الدم في الجسم دقات ونبضات القلب.

أن يتنفس الهواء دون مساعدة أحد أن يقضي حاجته دون إعانة أحد كل هذه النعم إذا تذكرها العبد فإنه ينسبها إلى الخالق الأول جل وعلى ، الخالق الموجد جلى في علاه ولذا قال ربنا بعد ذلك واخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

الله عز وج ينهاك أن تكون ذليلا بل أمرك أن تكون عزيزا رفيعا معتز بدينك لا أن تشمخ بنفسك وتتكبر كلا بل طلب منك التوازن في ذلك ، لا شموخ وتكبر وأنف واستعلاء على الآخرين ولم يطلب منك الخضوع للبشر والإستكانة والضعف إنما طلب منك التواضع.

لكنه في شأن الوالدين أمرك بالخضوع والخشوع والذلة للوالدين قال الله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ليس جناح الذل من الضعف والإستكبار إنما من الرحمة لأن العبد إذا أحسن له عبد إحسانا ولو يسيرا فإنه يدين له بالفضل فكيف بلوالد كيف بالوالدة كيف من يسهر على راحتك ولو كنت يعني رجلا كبيرا في السن والله يقول لي بعض الأخوة يقول لي أصبحت طبيبا ويحدثني عنهم.

يقول أصبحت طبيبا وربما أتأخر وخرج الشيب في رأسي وعندي أولاد وبنات متزوجون وتأتي أمي إذا دخلت البيت متأخرا بعد الساعة الثانية عشرة تقول أين أنت يا ابني أنا لم أنم انتظرتك مرة أخرى لا تتأخر يقول هذا الكلام هو نفسه أنا أقوله لأبناءي أعاتبهم إذا تأخروا.

يقول انظروا للوالد انظروا للوالدة مهما كبر الإنسان يعني يبقى الوالد والوالدة يرون ذلك الإبن طفل صغيرا يحبونه ويخافون عليه ولذا قيل يظل الرجل طفلا حتى تموت أمه.

فإذا ماتت أمه شاخ فجأة أصبح هرما فجأة نسأل الله ان يمد في أعمار والدينا وإياكم على الطاعة وأن يرزقنا وإياكم برهما ، ثم يختم الله عز وجل هذه الآيات العظيمة التي يحث فيها على بر الواالدين بقوله وقل ربي ارحمهما صغيرا وهذا من تمام الحقيقة الوفاء للوالدين.

أن يدعوا الإنسان لهما في حياتهما وبعدا مماتهما ، طيب هذا في الحياة فكيف بير الإنسان والديه بعد موتهما ، لو ماتت أمه لا قدر الله أو والده وكان مقصرا أو عاصيا أو حتى ولو كان طائعا وأراد برهما بعد موتهما هل يتمكن من ذلك نعم جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن رجل قال له يا رسول الله إن أمي ماتت فكيف أبرها بعد موتها .

قال ألك خالة ؟ قال نعم قال فإن الخالة بمنزلة الأم وكان بعض السلف أو كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم وجاء عن بعض السلف أيضا أنه كما عند ابن عمر أنه كان في طريق فجاء رجل أعرابي على حمار أو على راحلة ضعيفة فنزل ابن عمر وألبس هذا الرجل الضعيف أو هذا الأعربي جبته وكساه من ما عليه فقال خادم ابن عمر يا ابن عمر رحمك الله إنهم الأعراب يرضيهم أي شيء ولو من أيسر الأشياء قال لا إن والد هذا كان ود لعمر.

يقول أبا هذا الرجل والده كان صديقا وحبيبا يحبه والدي عمر ابن الخطاب فأردت أن أبر والدي لأنه كان يحب والد هذا الإنسان وهذا الحقيقة من تمام البر والإحسان لبر الوالدين.

من ما ينصح به لبر الوالدين الدعاء لهما بعد موتهما الصدقة عنهما صلة الرحم التي لا تصول إلا بهما كالخالة كالعمة كالعم كالأقارب الذين هم قريبون من هذا الوالد أما بالنسبة للوالدة فالخالة الخال أقاربهما إخوانهما وهكذا.

أما موضوع إهداء الثواب للأموات في مسألة غير الدعاء ففيها خير واسع منها من يجوز إهداء الثواب كأن يقرأ الإنسان القرآن ويهدي ثوابه لوالده الميت أو أن يأتي بعمرة ثم يهديها لوالدته الميتة.

فالمسألة فيها خلاف واسع منهم من يرجع جواز ذلك ومنهم من لا يرجح ذلك أما الدعاء فهو باتفاق أهل العلم جائز ومن ما يصل أثره بإذن الله إلى الميت.

من الآيات حقيقة التي ستمر معنا قول الله عز وجل وآتي ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا.

هذه الآية تعطيك دلالة على مضوع التوازن الذي يدعي له القرآن دائما وتحث عليه الشريعة الإسلامية ، وهو أن الإنسان لا يقتر على نفسه ولا يكون بخيل ولا يكون مبذر يكون مبذرا إنما يتوازن وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا.

هذا التبذير فأين موضوع التقتير جاء بعدها كما قال الله {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً. }

ولا تقتلوا أولادكم هل ممكن إنسان ويأتي ويقتل فلذة كبده نعم كان هذا حال الجاهلية {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً } خشية إملاق إملاق يعني الفقر يقول الله انتبهوا لا تقتلوا أولادكم خشية أن لا تجدوا ما تطعموهم أو تكسوهم يقول ربنا بعد ذلك نحن نرزقهم وإياكم نرزقهم قدم رزقهم على رزق والديهم.

جاء معنا في سورة الأنعام ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم لماذا قدم رزق الأولاد هنا نحن نرزقهم ولإياكم وأخرها في سورة الأنعام قال نحن نرزقكم وإياهم قال أهل العلم قتل الولد ها هنا في هذه الآية المقصود به قتله خشية الفقر يعني يأتي إنسان بالشيء اليسير من المال يقول والله أريد أن اقتل الولد أو أصلا لا تلد زوجتي ولدا حتى لا أفتقر.

يقول الله عز وجل نحن نرزقهم وإلإياكم ، إذا قتلته أو جاءك هذا الولد هل أنت من ستطعمه هل أنت من ستسقيه أو تكسوه أو تنفق عليه كلا المال هو من عند الله هو الذي يأتي بهذه الزوجة ويأتي برزقها معها.

هو الذي يخلق هذا الولد ويأتي برزقه معه أنت يا من أردت أن تقتل ذلك الإبن أو أردت أن لا تنجب أو أن لا تنجبين حتى لا تفتقرون أو كيف تطعمون أو كيف تحافظون على مستقبله أنتم من رزقكم من وفقكم من ساق لكم أرزاقكم أليس الله.

إذا من تمام التوحيد وكمال العقيدة من تمام حسن الظن بالله أن لا يجعل الإنسان ذلك الأمر وارد عليه أراد أن ينظم النسل الإنجاب لا بأس بذلك لكن أن يمتنع عن الإنجاب والنسل خشية الفقر هذا من أمور الجاهلية التي لا تجوز.

جاء في آخر سورة الكهف الحث على العمل الصالح بقول الله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا عملا.

ما هي الباقيات الصالحات جاء عنه صلى الله عليه وسلم في حديثه الإسراء لم اسري به ولما قابل ابراهيم قال أقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيب التربة وأنها عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فالباقيات الصالحات هي العمل الصالح وقيل هي الأذكار الطيبة المباركة فكما جاء عنه صلى ا لله عليه وسلم أنه قال أن أقول سبحان الله الحمد لله ولا إله إلا الله واله أكبر أحب إلي من ما طلعت عليه الشمس.

فالله أسأل ألسنتنا لاهجة بذكره وأن يحي قلوبنا على طاعته والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ونلتقي وإياكم في حلقة قادمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء السادس عشر التاريخ: ٢٠١١\٨\١٦**

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على قائد الغر نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وبعد.

مشاهدينا الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب موعدنا اليوم مع الجزء السادس عشر من كتاب الله الذي يحوي آخر سورة الكهف وسورة مريم، آخر سورة الكهف يضم القصة الأخيرة من الثلاث قصص التي وردت في سورة الكهف، وهي قصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الجنة أو الرجل الذي هو صاحب الجنة، ثم قصة أيضا ذي القرنين وهي القصة الأخيرة وقصة أيضا موسى مع الخضر عليه السلام التي وردت في الحلقة الماضية.

ختام سورة الكهف، أيضا يتحدث عن قصة ذي القرنين ورحلاته الثلاث إلى الشرق والغرب والوسط، وبنائه للسد في وجه يأجوج ومأجوج، ثم بعد ذلك، تأتي ذكر بعض ملامح يوم القيامة ومشهد من مشاهدها ثم تختم السورة يعني ببعض الآيات العظيمة في تعظيم الله الواحد الأحد تعظيم كلامه {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي }الكهف١٠٩ أي لو كان البحر مداد كالحبر لكلمات الله جلّ وعلا قال الله، { لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً }الكهف١٠٩ ثم يختمها الله عزّ وجل بقوله، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ }الكهف١١٠ هنا يأتي شرطي العمل الصالح، أي لا عمل صالح يقبل عند الله إلا بشرطين، ما هما هذين الشرطين ذكرهما الله في آخر سورة الكهف بقوله، { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }الكهف١١٠.

العمل الصالح الذي على سنة أو هدي النبي صلى الله عليه وسلم لا يبتدع به الإنسان ويكون على هدي المصطفى عليه السلام.

والشرط الثاني أن يكون خالص، فليعمل عمل صالح، هذا واحد، ولا يشرك بعبادة ربه أحد، هذا إثنان الذي هو الإخلاص.

يلي سورة الكهف سورة مريم، تلك السورة التي سميت باسم إمرأة صالحة كانت هي أم المسيح عيسى صلوات الله وسلامه عليه، وهي أحد السور التي سميت باسم امرأة والسورة الأخرى كما أسلفنا في حلقة ماضية هي سورة النساء، فسورة النساء سورة مريم فيها أيضا دلالة على عظم شأن أو تقدير لشأن النساء، في ديننا الإسلامي وأنهما مقدرون وأنهما كما أسلفنا نصف المجتمع وأنهم يلدون النصف الآخر، فهي ليست مهانة بل إن من تمام إحترامها وتقديرها وصيانتها، شرع الله لها الحجاب، شرع الله عزّ وجل يعني جازاها أو رتب الأجر العظيم على بقاءها في البيت، وقرن في بيوتكن وعدم التبرج، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، فكل ذلك تعظيم لحق المرأة فلا يعني يغتر مسلم بأصوات غربية أو ناقعة تأتي لتؤكد لنا عظم حق المرأة وحقها وعظم شأنها، فديننا الإسلامي قد كفل هذا وهذا ظاهر في آيات القرآن في أحكام الشريعة وأيضا سور بعض القرآن التي سميت باسم نساء كمريم عليها السلام، ونساء أخرى ذكرن بالقرآن كأم موسى ويعني غيرها من النساء، أو النسوة الاتي ضربن أروع الأمثلة للمحافظة على هذا الدين وغير ذلك.

سورة مريم أيها الأكارم، إفتتحها الله عزّ وجل بقوله: {كهيعص }مريم١ ما معنى هذا الكلام، هذا أيها الأخوة من الحروف المقطعة التي يجب أن يقال الله تعالى أعلم بمرادها.

قال ربنا {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا }مريم٢ من تأمل في سورة مريم، سيجد أن لفظ الرحمة تعدد في هذه السورة، ذكر رحمة ربك عبده زكريا، من الآيات أيضا، قوله جل وعلا ستمر معنا الحقيقة دعونا تأتي في مواضعها، إذا تأملت في سورة مريم ستجد أيضا أن المواقف تستحق تلك الرحمة موقف يعني طلب يحيى عليه السلام الولد، كما قال ربنا يا زكريا أو دعائه {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً }مريم٤ تخيل تلك المواقف وهو يدعو ربه جل وعلا أن يهبه ذلك الولد بعد أن اشتعل رأسه شيبا، تصوير قرآني عجيب، خلق وإيجاد عيسى عليه السلام من غير أب ويعني ذلك الموقف العظيم التي عانته مريم عليها السلام موقف أيضا يستحق الرحمة، قصة موسى أو قصة إبراهيم عليه السلام مع والده والفاظ الرحمة حينما ينادي والده ويخاطبه يا أبت، أيضا ذكر رحمة الله بالمؤمنين ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

كل هذه الآيات تدلك الحقيقة على هذا المعنى العظيم من رحمة الله إلى أن يختمه الله عزّ وجل بقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفد، ونسوق المجرمين إلى جهنم ورد.

أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولد، أيضا جاء في بعض الآيات {أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً }مريم٧٨ {كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً }مريم٧٩

هذه السورة أيضا تظهر شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في تقويت روحه وهذه القصص التي تشد من أزره صلوات الله وسلامه عليه، لما ذكر فيها من بعض أحوال الأنبياء، كذلك جاء فيها ذكر أنبياء الله كموسى وهارون، كإدريس عليه السلام كإسماعيل عليه السلام، وإبراهيم أيضا عليه السلام.

أما مريم فهي ليست نبية كما ذكرنا في حلقات ماضية لأن الله عزّ وجل لم يبعث من الأنبياء والرسل نبيا من النساء، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

لأن ربنا جل وعلا يقول وما أرسلنا قبلك إلا رجالا، لم نبعث قبلك من المرسلين والأنبياء إلا رجالا، لم يبعث الله نساء من الأنبياء والرسل، ولذا جاء ذكر هؤلاء الأنبياء تسلية لقلب الحبيب صلى الله عليه وسلم حتى يثبته الله ويثبت فؤاده، كما قال ربنا في سورة هود، وكذلك نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين.

في قصّة مريم تلك القصة العجيبة وحملها لعيسى عليه السلام يقول الله، {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً }مريم١٦ {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً }مريم١٧ {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً }مريم١٨ {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً }مريم١٩ {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً }مريم٢٠ {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً }مريم٢١ {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً }مريم٢٢ {فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً }مريم٢٣ {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً }مريم٢٤ {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً }مريم٢٥ {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً }مريم٢٦

وقفتنا مع هذه القصة العجيبة في قول الله عزّ وجل فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت يا ليتني مت قبل هذا، لاحظ الآن الكرب العظيم الذي فيه مريم عليها السلام، وكنت نسيا منسيا، فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحت سريا، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، إمرأة حامل للتو ولدت ضعيفة، كيف تهز جذع نخلة، أصلا كيف ولدت من غير رجل، كل هذه الأسئلة سنستمع إلى جوابها بعد هذا الفاصل إن شاء الله.

هذه السورة العظيمة أيها المباركون سورة مريم، توصف بأنها سورة الرحمة لتعدد ذكر لفظ الرحمن جل وعلا، واسم الرحمن سبحانه وتعالى في هذه السورة.

أيضا لذكر المواقف التي الحقيقة تستحق هذه الرحمة، ولذا ربطت الرحمة أيضا باسم السورة التي هي أيضا سورة مريم.

فالله عزّ وجل قد أودع الرحمة أيضا في قلوب النساء وفي أفئدة النساء، حتى يرحموا أبناءهم حتى يرحموا ازواجهم، حتى يصبروا على مشاق الحياة ولذا كان الرجل أودع الله عزّ وجل في الرجل القوة والصلابة والشدّة والبأس الشديد والتحمل وأودع في المرأة الرحمة والسكينة والعطف والحنان إلى غير ذلك من الأوصاف، فاجتمع وصف الرحمة لهذه الصورة وأحدث تناسب رائع بين اسمها أو وصفها وبين تفاصيلها.

الموقف الذي معنا موقف مريم عليها السلام حينما ولدت من غير رجل، يعني جاءت بعيسى عليه السلام من غير رجل، كيف حدث هذا، الحقيقة أن هذا أمر يستحق السؤال ولذا خافت مريم عليها السلام واستنكرت لما قالت أنا يكون لي ولد، ولم يمسسني بشر، يعني أيضا لم أتصل برجل حتى ينتج بيننا ولد، وخافت أيضا أن يقال أو يظن بها سوء ولذلك قال قومها بعد ذلك، يا أخت هارون ما كان أبوكي امرء سوء، وما كانت أمك بغية، يعني عدم مؤاخذة لست أنت من أصحاب الفجور أو الزنا أو يعني الأخلاف الفاسدة، ما كان أبوك امرء سوء يعني ما كان ذلك من أخلاق آبائك وأجدادك، ولم تكن أمك بغية، ونادوها هنا بقولهم يا أخت هارون، هل المقصود من هارون الذي هو النبي هارون أخو موسى عليه السلام، الصواب أنه ليس كذلك، ليس أخو موسى عليه السلام، ولكن قيل أنه رجل صالح بقومها يسمى هارون فشبهوها وربطوها به، يعني يا أخت ذلك الرجل الصالح لم نعهد عنك سوء وقيل أيضا أنهم ربطوها بالنبي يعني يا أخت هارون، يا أخت الأنبياء، يعني لتبتلها ولصلاحها، وإلا والحق أن يقال والصواب الذي يقال عليه أهل العلم وهو الراجح بل جمهور أهل العلم أنها ليست نبية وإنما كانت امرأة صالحة.

طيب إذا كيف ولدت عيسى عليه السلام ولم يمسسها رجل، لا بالحلال ولا بالحرام، فكيف نتج هذا الولد، الجواب عن ذلك أن يقال أن جبريل عليه السلام كما ذكره المفسرون نفخ في جيب درعها، هذا هو الجيب، حتى حملت وتنحت إلى مكان بعيد فوضعت ذلك النبي الكريم وهو المسيح عليه السلام.

يقول ربنا وهزّي إليك بجزع النخلة، يطلب منها أو جاء الوحي أن تهزّ بجزع النخلة هي وضعت عيسى عليه السلام تحت تلك النخلة وهي في عراء، تحتاج الأكل والشرب والمعالجة والمداواة، تحتاج من يقف بجانبها، فقال لها رب العالمين في هذه الآية، عبر ما جاءها عبر الوحي، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقد عليك رطب جني، هنا فائدتان، الأولى تتعلق بقوله هزّي إليك بجذع النخلة نعرف الآن أن الحامل لو وضعت لو قيل لها ارفعي كوب ماء ربما ما استطاعت، لو قيل لها تحركي بس سمترات يسيرة، سمترات لم تستطع.

فكيف تهز جذه نخلة، ليست شجرة يسيرة إنما جذع النخلة يكون قوي راسي متين جذوره في الأرض، قال الله عزّ وجل تساقد عليك رطب جني، هي الآن تريد أن تحصل على الثمر حتى تتقوى، لكنه رب العالمين يريد أن يغرس معنى عظيم في قلوب العباد وفي قلب تلك المرأة الصالحة.

وما هو ذلك الأمر، هو فعل السبب، الله يعلم أنها لا تستطيع أن تهز جذع نخلة حتى لو كانت سليمة إنها امرأة ضعيفة، كيف تهز نخلة طيب إمرأة وضعت قبل لحظات يعني حامل ووضعت ولدت، فأيضا كيف تأمرها رب العالمين أن تهزّ ذلك الجزع ليتساقط ذلك الرطب، هذا هو درس عملي في فعل الأسباب، يقول النبي صلى الله عليه وسلم،

اعقلها وتوكل على الإنسان أن يفعل السبب ثم أن يفعل السبب يبذل الأسباب أقول يأتي إنسان ويقول أنا والله سأجلس في البيت إذا ان شاء الله الله اراد سيأتي بالرزق، نقول لاء، توكل على الله ثم افعل الأسباب، اطرق الأبواب وحاول أن تجد لك وظيفة أو رزق.

فالله عزّ وجل يقول لها فقط أنتي افعلي السبب أما كيف وكيف هذه المرأة حامل ومن سيسقط هذا الرطب، فإن ذلك بأمر الله، هذه الفائدة الأولى، الفائدة الثانية بقوله تساقط عليك رطب جني، أي طري.

اكتشف كثير من الأطباء في العصر الحديث فائدة الرطب، للحامل تحديدا وللجائع بشكل عام، فلذلك جاء من السنة أو في السنة الحث أو الندب على الإفطار على الرطب، لا على التمر فقط، بل على الرطب.

لما فيها من المكونات التي يحتاجها الجوف بعد الصيام أو بعد الجوع الشديد، وجاء تحديدا فضل أو مناسبة الرطب وأكله للحامل بعد ولادتها التي تلد في حال الولادة، أن ذلك نافع جدا، وهذا من أسرار الإعجاز القرآني الذي ذكره الله عزّ وجل في كتابه وهذه الآية تحديدا أو إكتشاف أن الرطب يفيد الحامل أو الوالد التي تلد أو أنه ذكر في القرآن جعل ذلك سبب لإسلام كثير من الناس من يعني المهتمين بالإعجاز العلمي الذين إكتشفوا أن الله عزّ وجل ذكر هذا في كتابه.

يقول ربنا جل وعلا في آخر سورة أيضا مريم، في ذكر آيات محاجات إبراهيم أو دعوة إبراهيم لأبيه، {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً }مريم٤١ {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً }مريم٤٢ {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً }مريم٤٣ وتليها آية كلها يفتتحها الله عزّ وجل بمناداة إبراهيم لأبيه بأرق الألفاظ وأجمل العبارات وهنا فائدتان، الأولى يعني حسن الخلق هو المفتاح والبوابة لإستجابة الناس لدعوتك دائما، وقولوا للناس حسنى، حتى في مع حال غير أهل الإسلام يقول ربنا للنبي صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي أحسن، وأحسن الحديث هو كلام الله جلّ وعلا، الله نزّل أحسن الحديث كتاب متشابه.

يلي كتاب الله يعني يلي المناقشة بكتاب الله سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالنبي الله عليه السلام قد أوتي جوامع الكلم فيها الحجة الدامغة وفيها الدلالة البالغة التي يقنع الله عزّ وجل من أراد به خير.

وهذا أيضا من المفاتيح العظيمة وهذا من باب حسن الخلق والتأدب واجتمع ابراهيم عليه السلام أمران، دعوة عامة أنه يدعو شخص ليس على ديانة الحنيفية.

ثم هو يدعو والده، فاجتمع له أمراه، وربما نقول أنه اجتمع له أمر ثالث وهو أنه رجل كبير سن، وشريف في قومه، فحينها يتوجب على الإنسان أن يتلطف في العبارات خصوصا إذا واجه مثل هذه الأحوال، إبراهيم عليه السلام يمتثل كلام ربنا جلّ وعلا، والله جلّ وعلا قد قال في كتابه، في الحث على بر الوالدين.

{ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ }لقمان١٥ حتى ولو كان والديك كافرين غير مسلمين، فلا تطعهما، ولكن ماذا قال بعد ذلك، { وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً }لقمان١٥

فالتلطف مع الوالدين أمر عظيم وشأن كبير وكلما وفق الله العبد لذلك أحسن الإنسان في نفسه راحة في ذلك، أحس في نفسه ببركة في تعامله مع الوالدين وتوفيق ورضى الله عن العبد.

أيضا الفائدة الثانية هي أن إبراهيم عليه السلام كان يستخدم النقاش العقلي لا العاطفي، لا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر، لا يغني عنك شيئا، يا أبتي إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك.

يا أبتي إني أخاف أن يمسك عذاب، وكان ينوء بين العاطفة وبين العقل، ولذا كان دعائه دعوته مثال للدعاة يحتذى.

من الآيات أيضا قول الله عزّ وجل في ذكر أحوال أهل النار، وذكر أوصاف النار قال سبحانه.

}وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا }مريم٧١ وارد على النار، { وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً }مريم٧١

}ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً }مريم٧٢ ربما يشكل هذا المعنى على بعض الناس، يقول وإن منكم إلا واردها ثم يقول ثم ننجي الذين اتقوا، يعني هل يدخل الناس كلهم الناس ثم ينجي الله أهل الجنة.

كلا ليس هذا المعنى، المقصود والله أعلم وإن منكم إلا واردها أي أن جميع الخلق وجميع البشر يسمرون على الصراط الذي نصب فوق النار نجانا الله وإياكم منها، أهل الإيمان ينجون وأهل الكفر والنفاق وأهل المعاصي يقعون في هذه النار وذلك الجحيم أعاذنا الله وإياكم من عذابه ووفقني وإياكم لسبل، لسلوك سبل مرضاته، اسأل الله أن يهدي قلوبنا ويصلح أعمالنا وذرياتنا وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور قلوبنا وجلاء أحزاننا وقلوبنا بهذا نكون قد انتهينا من الجزء السادس عشر أو الخامس عشر، السادس عشر عفوا، وفي الحلقة القادمة سنواصل إن شاء الله ما تبقى من الجزء السادس عشرة والجزء السابع عشر بمشيئة الله، استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء السابع عشر من القرآن..... تاريخ الحلقة : ١٧ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والتسليم معاشر الأخوة والاخوات السلام عليكم ورحمته وبركاته ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامج ربيع القلوب الذي يأتيكم للحديث عن أجزاء القرآن الكريم وحديثنا اليوم سيكون منصبا على الجز السابع عشر من كتاب الله الذي يحوي سورة الأنبياء وسورة الحج.

هذه السورة العظيمة سورة الأنبياء سميت بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام تعظيما لشأنهم وتقدير لرسالتهم ولبيان أيضا عظيم ما قدموه من أداء الرسالة وحمل الحجة والبيان لأقوامهم وما لاقوه وذكر فيه أيضا ما لاقوه من متاعب ومشاق في مجاز بلاغ الرسالة لأقوامهم.

هذه السورة سورة مكية محورها العام يعني هدفها أو مقصدها العام الحديث عن العقيدة الإسلامية وترسيخا في القلوب والأفئدة.

كذلك جاء فيها ذكر عدد من الأنبياء خصوصا أن اسمها الأنبياء فجاء فيها ذكر نوح عليه السلام ولوط عليه السلام وداؤود وسليمان وأيوب وزكريا وذنون وهو يونس عليه السلام وإسماعيل وإدريس وموسى وهارون عليه السلام.

القصة الرئيسية في هذا السورة كانت متركزة على قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قصة رائعة تدلك على هذا المعنى العظيم وهو ترسيخ العقيدة الإسلامية عبر الحجة والبيان.

وأن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه كان يوازن بين الدعوة بالعقل وأيضا بالعاطفة فكان صلوات الله عليه يعني يحث قومه على اتباع منهج الله والإيمان بالله ورسله وكان من خلال مناقشته العقلية لهم يحم ما في أذهانهم وعقولهم من ما وجدوه في ترسبات آبائهم وأجدادهم ثم أيضا يكون مع ذلك أحيانا يوازن بالعاطفة والرحمة فكان يورد عبارات فيها الشفقة فيها الرحمة كما جاء معنا في سورة مريم في مخاطبة ابراهيم لأبيه وتطلفه صلى الله عليه وسلم.

يا أبتي إني أخاف أن يمسك عذاب يا أبت لا تعبد الشيطان ، يا أبتي إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن وغيرها من الألفاظ اللطيفة.

ابتدأت هذه السورة العظيمة بالحديث عن أمر خطير وهو اقتراب الساعة يقول الله جل وعلى {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ *لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ.}

يقرر الله جل وعلى في مطلع هذه السورة العظيمة سورة الأنبياء أن كثير من الناس انشغلوا وغفلوا عن طاعة ربهم وانشغلوا بعرض الدنيا الفانية ومنهم أولئك الأقوام الذين أرسل إليهم الأنبياء فإنهم لما دنت همتهم وتمسكوا بعرض الدنيا الفاني لم يستطيعوا أن يخالفوا هواهم وأن يتقبلوا دعوة الأنبياء والإستاجبة لله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

فربنا يقول اقترب للناس حسابهم ي اقترب موعد الحساب والقيامة وقرب موعد يوم القيامة وهم في غفلة معرضون الا يدعوهم هذا القرآن ألا يدعوهم قرب قيام الساعة إلى التوبة إلى المسارعة إلى الإلتزام بالعمل الصالح يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون.

في استماع القرآن ينقسم الناس إلى قسمين قسم لا يستمع بقلبه إنما يستمع بأذنيه فقط ، فإذا سمع هذا القرآن قال إن شاء الله نتوب إن شاء الله نفعل الأعمال الصالحة والطاعات والقربات ومنهم من يسوف ويسوغ له الشيطان حتى يطول به الزمان ثم والعياذ بالله قد تختم له خاتمة السوء.

والقسم الثاني الذين أيضا هم قسم يستمع القرآن لكن موقفه موقف الإعراض والإنكار والإستنكاف والإستكبار والصد عن سبيل الله.

وهذا أيضا ظاهر في قول الله عز وجل ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لم يوافق سماع آذانهم حضور قلوبهم يعني لم يتواطئ القلب مع السماع كحال أهل الإيمان الذي إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا.

يستمعون بآذانهم ويحضرون قلوبهم إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، انظر كيف الله جمع هذين الوصفين لأهل الإيمان أما المعرضون فإنهم صنفين صنف يستمع وهو من أهل الإسلام لكنه لا يفعل الواجبات لا يترك المحرمات فيتشغل عن ذلك ويسوغ له الشيطان.

طيب ما القسم الثاني القسم الثاني كما سلفنا هو من يعرض عنه بالكلية ويكذب هذا القرآن وهؤلاء هم من ذكرهم الله جل وعلى في مطلع هذه السورة.

السورة كما أسلفنا مقصدها العظيم تقرير موضوع العقيدة وذكر أحوال الأنبياء ودعوتهم وشيء من ما لاقوه من أقوامهم يلي سورة الأنبياء سورة الحج وهذه السورة العظيمة تتحدث عن ركن عظيم هو الركن الخامس من أركان الإسلام الذي يجب على المسلم ف العام مرة واحدة.

وما زاد على ذلك فهو نفل وقد جاء الحث على التتابع بين الحج والعمرة كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام بقوله تابعوا بين الحج والعمرة يعني اذا انتهيت عمرة فيندب لك أن تأتي بالحج بعدها اذا انتهيت من الحج فأتي بعمرة لمن استطاع فيقول عليه السلام تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان أن يذهبان الفقر والذنوب.

كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام ، سورة الحج هي أيضا سورة مدنية إن لم تخني الذاكرة لكن طابعها سبحان الله طابع السور المكية فيها تقرير العقيدة فيها تقرير التوحيد فيها ذكر اليوم الآخر فيها ذكر مشاهد يوم القيامة حتى عباراتها وجوها العام وإطارها العام توحي لك أنها سورة مكية مع أنها سورة مدنية ولذا جاء فيها ذكر الحج فهو يعني أنها جاءت متأخرة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

سورة الحج هي من السور التي بدأت بقول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. }

سورتان في القرآن ابتدأتا بقول الله جل وعلى يا أيها الناس هما سورة النساء وسورة الحج التي معنا وفي هذه السورة العظيمة خطاب لعموم الناس وعموم البشرية أنكم أيها الناس جميعا يا معشر الخليطة اتقوا ربكم فإن زلزلة الساعة شيء عظيم.

وهذا من أعظم أنواع الوعظ ، حينما تريد أن تعظ إنسانا فإن له عدة وسائل وعدة مفاتيح من وسائله الوعظ الذي هو بالوعد أو الوعيد يعني أن تخوفه أن ترهبه أو أن توعده مثلا توعده بمغفرة برحمة بالجنة بالتوفيق توفيق الله أما الوعيد فالمقصود به أن تخيفه بما توعد الله به العصاة.

كأن يتوعد بالنار أو بعدم التوفيق أو بالذنوب العظيمة التي يحل شؤمها على العبد فهذا من أنواع الوعظ هذا الوعظ الذي جاء في سورة الحج هو من النوع الأول الوعظ بالوعيد اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ثم يذكر سبحانه وتعالى فيها شي من الأوصاف المذهلة التي تحدث يوم القيامة يوم تذهل كل مرضعة عن ما أرضعت.

المرضعة لماذا قال وصف الناس بأنهم سكارى وما هم بسكارى لماذا قال وصف عذابه انه شديد لم يصفه أنه عذاب أليم مثلا كل هذه الأجوبة أو هذه الأسئلة سنجيب عنها إن شاء الله بعد هذا الفاصل.

---

عدنا إليكم أيهلا الأخوة والأخوات وحديثنا موصول عن سورة الحج سورة الحج سورة مدنية كما أسلفنا هي من السور التي يعني بينها وبين سورة النساء ارتباط حيث افتتحها الله عز وجل بقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم.

فخطابها عام لعموم البشرية ، سورة الحج تحوي سجدتين السجدة الأولى في أولها تقريبا والآخرة في آخرها ، وقد جاء أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحث على سجود التلاوة أو الترغيب في سجود التلاوة حيث قال صلى الله عليه وسلم إذا سجد العبد أو إذا مر العبد بسجود التلاوة سجد ولى الشيطان وهو يصيح يا ويلي أمرة بالسجود ولم أسجد فلي النار وأمر أي هذا العبد بالسجود فسجد فله الجنة فهذا أيضا من الأمور التي حثت عليها الشريعة لكنه أيضا يشترط فيها استقبال القبلة.

يشترط فيها أيضا أن يكون المرء على طهارة لكن ليس من شروطها أيضا أو أركانها أو واجباتها أن يكبر الإنسان حالة تكبير أو أن يقول الله أكبر فله ذلكن وإن رفع أو سجد أو خفض وقال الله أكبر فله ذلك وإن لم يفعل فلا بأس فالشاهد إيضا إن هذه السجدة لها من الفضل العظيم التي بها يدحر الشيطان وبه يغاظ.

سورة الحج أيها الأكارم افتتحها الله بقوله يا أيها الناس اتتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيئ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عن ما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد من شدة العذاب أصبح الناس سكارى وتأملهم اليوم لما يحدث والعياذ بالله زلزال أو بركان أو يحدث حادث عظيم مهيب كتفجير لا قدر الله فإنك ترى الناس أشبه ما يكونوا بالسكارى فما بالك بذلك الويم العظيم الذي حكى فيه النبي صلى الله عليه وسلم واصف ذلك الموقف حينما قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله الرجال والنساء عرؤاة ينظر بعضهم إلى بعض.

فقال لها الحبيب صلى الله عليه وسلم مجيب على تساؤلها ذاك يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضه إلى بعض ، وهذا كما أسلفنا من أعظم أنواع الوعظ أن يعظ الإنسان نفسه بمواعظ الله التي فيها الوعد والوعيد.

وتذكر يوم القيامة وقيام الناس إلى ربهم وذكر أحوال المحشر والصراط وأحوال قيام الساعة فيها الحقيقة من أعظم الأسباب التي تعين العبد على اصطلاح قلبه فإن الإنسان إذا تذكر ذلك الموقف االرهيب فإنه يقدم على الاعمال الصالحة يمتنع أو يقلل قدر استطاعته وحسب قدرته من الذنوب والمعاصي.

ولذا جاء من أوصاف اليوم العظيم قوله يوم تذهل كل مرضعة عن ما أرضعة هنا سؤال هل هناك فرق بين قوله يعني حينما يقول الله عز وجل لو قال يوم تذهل كل مرضعة عن ما أرضعت أو تذهل كل مرضع عن ما أرضعت هل المعنايين واحد ؟

أم أن بينهما فرق قيل أن بينهما فرق والصواب الفرق واضح خصوصا إذا رجعت إلى لغة العرب وجدت أنهم يقوللون المرضع هي التي تمتهن موضوع الإرضاع كحليمة السعدية مثلا أو كحال كثير من نساء العرب في السابق وربما حتى في بعض الأزمنة الحالية.

يمتهنون هذه المهنة أي أنهم يرضعون وذلك لعدة أسباب إما ضعف المرأة التي تلد أو لعدم وجود حليب في صدرها أيضا ربما يكون من الأسباب وجود أحيانا بعض التوائم مثلا فتنشغل الأم عن إرضاع أحدهما عن الآخر.

أو لوجود حالة من الفقر عند الوالدة او لضعف أو لمرض أو نحو ذلك أو غيره من الأسباب.

فالمرضع هي التي تمتهن الرضاعة أما المرضعة هي التي تكون حال الإرضاع يعني وصف لحال الإرضاع فلك ان تتخيل الموقف وتلك المرضع ليست فقط قد أمسكت بذلك المولود أو ذلك الطفل إنما ألقمته ثديها فهي مرضعة هي الله عز وجل يصف حالها وهي ترضع ذلك الطفل.

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عن ما أرضعت وهي ترضعه وتقوم الساعة فإنها تنزع فمه من ثديها من شدة ذلك الهول والمرضع بطبيعة الحال وكذلك الأم فيها من الرحة ما يجعلها لا تقدم على هذا الفعل.

ولكن عذاب الله شديد ، حين يذهل كل إنسان نفسه جاء أيضا في وصف يوم القيامة قول الله جل وعلى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى تحسب ويحسب الرائي لهم أنهم قد أصابهم السكر وأنهم قد شربوا الخمر أو أنه حدث لهم أمر معين إلا أن ذلك كله من سبب قيام الساعة وأهوالها.

من أيضا الآيات التي ستمر معنا في سورة الحج خصوصة أنها سورة تقرر موضوع العقيدة وتؤكد عليه قول ربنا جل وعلى وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .

يقول بشر المخبتين ثم يذكر بعد ذلك أوصافهم ما هي أوصافهم {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. }

ثم يقرر ربنا جل وعلى أن من أعظم معاني الإيمان هو توحيد الله جل وعلى وتعظيم أوامره وشعائره فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ليس الإيمان مجرد الأعمال بالجوارح وليس الإيمان مجرد أن يكون يعني إيمانا داخليا في القلب كلا.

بل الاإيمان أن يجمع بين هذا وهذا هو ما وقر في القلب أو صدقته الجوارح أو صدقته الأعمال ، ولذا يقول ربنا جل وعلى {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ. }

من يعظم هذه المناسك في الحج من يعظم شعائر الله كنحر الهدي كالسعي بين الصفا والمروة كالصلاة كقراءة القرآن كالزكاة كغيرها من الواجبات إذا عظمها الإنسان وجد لذتها.

أنا أعطيك مثالا واحدا فقط جربه اليوم في تعقمك للصلاة إذا عظمة شأن الصلاة تطهرت لها ثم اتيتها مبكرا ثم أتيتها في الصف الأول ثم حرصت ان تكون يمين الإمام ثم أتيت وأديت السنة الراتبة سواء كانت قبلية او فعلية أو سنة تحية المسجد ثم قرأت شيء من القرآن أو دعوت بين الأذانين ثم جلست تستغفر الله ستشعر بعد ذلك.

يعني حينما يوفقك الله وتدرك تكبيرة الإحرام كاملة أن للصلاة طعم آخر وهذا كله بالتهيئ وذلك كان دافعه الحقيقة هو ماذا ؟

هو تعظيم هذه الشعيرة وإذا صدق ربنا جل وعلى ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ولذا يشعر الإنسان في قلبه بطعم هذا الدين الحقيقي لا كالذي يؤدي الفرائض والعبادات والواجبات يعني عبادة هامشية عبادة يعني فارغة من الداخل ليس لها روح ليس لها حقيقة ليس لها طعم لكنه إذا عظم ذلك وجده في نفسه.

من الآيات التي ستمر معنى في سورة الأنبياء قول الله جل وعلى ولسليمان الريح عاصفة من ما سخره الله عز وجل لنبيه سليمان سخر له الريح تجي به في أي مكان.

طيب قال ولسليمان عاصفة تجري به أو تجري بأمره في سورة ص قال سخرنا له الريح تجري بأمره رخاء هل في فرق بين معنى رخاء و معنى عاصفة.

العاصفة أي أنها سريعة سخرنا له ريح سريعة ومعنا قوله رخاء فإنها ريح طيبة لينة ، طيب هل في فرق بين المعنايين كلا المعنايين متفقان.

الأول أن هذه الريح سريعة عاصفة ولكنها أيضا في نفس الوقت رخاء أي لينة طيبة وكانت تجري به عليه السلام في السماء وقد أتاه الله عز وجل الملك العظيم وسيأتي أيضا ذكر قصته في سورة النمل.

بهذا أيها الأخوة والأخوات نكون قد أنهينا أو أتينا على بعض الوقفات في الجزء السابع عشر من كتاب الله عز وجل أسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لمرضاته وأن يهدينا سبل النجاة والمغفرة والرحمة والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثامن عشر تاريخ الحلقة : ١٨ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبيه محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم معاشر الأخوة والأخوات سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب الجزء الثامن عشر هو محور حديثنا اليوم هذا الجزء يحوي سورة المؤمنون سورة النور وشيء من سورة الفرقان.

سورة المؤمنون سورة عظيمة اسمها يدل على محتواها هي سورة مكية تعالج أصول الإيمان تصل أحوال أهل الإيمان يضرب الله عز وجل فيها أمثلة على أحوال من آمن وأحوال من صد عن هذا الإيمان.

كذلك يذكر ربنا جل وعلى فيها نماذج وصور من الأساليب التي دعى به الأنبياء لتحقيق هذا الإيمان قصة نوح عليه السلام قصة موسى عليه السلام كانتا قصتان يعني ذكرتا في هذه السورة العظيمة وهي سورة المؤمنون

كانت يعني مشاهدها واضحة في ذكر وسائل تحقيق هذا الإيمان ووسائل طاعة الرحمن جل وعلى ، القصة تذكر بعض المواقف التي عاناها أولئك الانبياء الكرام مع أقوام تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم تثبيت لفؤاده أيضا لأخذ العظة والعبرة سواء من النبي الكريم أو من صحابته أو من جاء من بعده.

أولئلك الأقوام ابتلوا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلم جاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه يأتي النبي يوم القيامة وليس معه إلا النفر والنفران ويأتي النبي وليس معه إلا الرجل والرجلان.

لا يعني ذلك ضعف ادائهم في رسالتهم ضعفا قدر الله إخلاصهم عليهم الصلاة والسلام ، إنما المقصود بذلك أن يبتلوا فالله عز وحل يبتلي أهل الإيمان ويبتلي أهل العصيان فابتلائه سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين ، قسم يبتلي به العصاة ويبتلي به الكفار لعقابهم ولجزاء ما فعلوه من صد عن سبيل الله أو من صد عن حقه سبحانه وتعالى.

أما القسم الثاني فهو الإبتلاء الذي يبتلى به أهل الإيمان ، طيب لماذا يبتلى أهل الإيمان لرفع درجاتهم لتحميصهم لأخ العبرة أيضا منهم فنبينا عله الصلاة والسلالم كما هو معلوم قد ابتتلي عليه السلام بل وسحر صلى الله عليه وآله وسلم.

ربما يأتي إنسان يقول يعني معقول صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على أذكار أليس الله جل وعلى قال أليس الله بكاف عبده إذا لماذا يحدث لهم مثل ذلك نعم أقول الله عز وجل حافظ نبيه عليه الصلاة والسلام وحافظ أنبياءه ولكن رب العالمين جل وعلى يريد ان يكون أولئك الأقوام اولئك الأنبياء الكرام أولئك الصالحون مثال لأخذ العظة والعبرة وأنهم بشر يحل بهم ما يحل بالناس عموما وكذلك أيضا هدف ثالث وهو لرفع درجاتهم فإن العبد إذا ابتلي فصبر فإن جزاءه جزاء عظيم كم قال ربنا إنما يوف الصابرون أجرهم بغير حساب.

وإذا رأى أهل البلاء يوم القيامة ما أعد لأهل البلاء من عظيم الأجر فإنهم يودون أن لو قرضوا بالمقاريض كما لو جاء في الأثر فهذه السورة العظيمة سورة المؤمنون تدللك على يعني حال أهل الإيمان وأواصافهم.

اثنان تدلك على وسائل الانبياء في الدعوة لتحقيق هذا الإيمان ثم تذكر شيئا من الإبتلائات التي ابتلي بها أولئك الأنبياء ، سورة المؤمنون تختم بآيات عن مشاهد يوم القيامة وحاول أولئك الذين صدوا عن سبيل الله ولم يؤمنوا بأنبياء الله وإنما خالفوها واستكبروا واستنكفوا عن تقبلها يجازيه الله عز وجل بالعذاب الأليم.

يقول ربنا حاكيا عنهم بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ *فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قالوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ. }

آيات عظيمة آيات تأخذ بالألباب وتأسر القلوب والعقول آيا تلا يملك أهل الإيمان إذا سمعوها أو تليت عليهم أو قرأوها إلا أن تنزل دموعهم وأن تخشع قلوبهم وأن يتبعوا ذلك بالعمل الصالح والبعد عن سائر الأعمال التي تبعدهم عن الله جل وعلى وتسخطه سبحانه.

هذه الآيات العظيمة تصور لك حال من صد عن الرسالة ولم يتقبل دعوة الأنبياء من سمع آيات القرآن وسنة سيد الأنام من نصح ووعظ ووجه وذكر ولكنه صرف الله قلبه عن ذلك ولم يرتدع ولم يرعوي لأوامر الله ولم يستجب لنداءات الله التي يقول فيها يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول.

هذه الأوصاف هذه الحال في مشهد يوم القيامة وأهل النار هي نعم لكل من خالف سبيل الله لكل من يشاهد الآن وهو قد استكبر واستنكف وصد عن سبيل الله أما حال من أطاع الله ورسوله فلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار لهم المغفرة لهم الغرف العالية لهم الرضا في الدنيا والآخرة.

يلي سورة المؤمنون أيها المباركون سورة النور وهذه السورة العظيمة تعطيك دلالة من اسمها تعطيك اسمها دلالة على مضوعها فهي النور هي التي جاء فيها قول الله عز وجل الله نور السماوات والأرض.

هذه السورة العظيمة فيها آيات من استمسك واستعضم بها فإنه حاصل لا محالة على النور العظيم في الدنيا والآخرة هذا النور الذي تشرق به الحياة الأسرية الحياة المجتمعية .

سورة عظيمة سورة جاء مضوعها العام وإطارها العام الآداب الشرعية التي يتحصن بها بيت المسلم وتتحصن بها الأسرة المسلم جاء فيها ذكر الأسباب الوقائية والتعفف للطهارة الآداب التي يحصل فيها صلاح المجتمعات أخلاقيا.

ولذا افتتحها الله عز وجل مباشرة بدون مقدمات بدون نداء سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون.

الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم مائة جلدة ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله لماذا يا ربي جعلت هذه الحدود العظيمة لذلك المنكر والفاحشئة الكبيرة لأن بها عدم صلاح الأفراد والمجتمعات إذا دبت هذه الأمراض في المجتمع حل عليه الظلام وإذا دبت هذه الأمراض في المجتمع نكس على عقبيه ورجع إلى الوراء وأصبح مجتمعا منحطا يكسوه الظلام الكآبة الخوف الرعب المشاكل الإجتماعية والأخلاقية والأمنية والنفسية والأسرية وحتى المالية والإقتصادية والشرعية كل ذلك بسبب فقدان هذا النور العظيم الذي يدعوا رب العالمين في هذه الصورة.

والإحتفاظ بالآداب الشرعية ، سورة النور سورة ذكر الله فيها أحكام هذه الأخلاق العظيمة ، ذكر فيها قصة الإفك التي دعى فيها المنافقون كذا وزورا على عرض أم المؤمنين عائشة ذكر فيها الكثير من الآداب والأخلاق الإسلامية ما هي هذه الآداب دعونا نتابعها بعد هذا الفاصل القصير.

---

أيها المباركون سورة النور سورة عظيمة ذكر الله تعالى فيها الآداب والأخلاق الإسلامية التي بها يتحصن المجتمع وبها تنزل الطهارة والألفة والمحبة والمودة ويكون فيها مجتمعا صالحا.

ولذا ذكر فيها قصة عظيمة تدلل على هذا المعنى وهي قصة حادثة الإفك التي افترى فيها المنافقون كذب وزورا على زوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها إذا كانت ر ضي الله تعالى عنها مع النبي في سفر فتأخرت لحاجة فنامت رضوان الله تعالى عليها فتحركت القافلة ولم تعلم أن عائشة لم تكن في الهودج على البعير فلما استيقظت رضي الله تعالى عنها وجدت أن القافلة قد سارت وتركتها فلم تصنع شيئا بل خافت وقلقت وكانت في أرض فلاء وفي ظلام دامس فنامت رضي الله تعالى عنه إلا أن جاءها صفوان ابن معطل ويعني لما رآها عرفها وكان قد رآها قبل الحجاب.

فلما رأها عرفها أنه هي عائشة رضي الله تعالى عنها ، فاسترجع وقال إن لله وإنا إليه راجعون انظر الأدب وانظر استعظام المصيبة ان ترى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير محجبة أن ترى في هذا الموقف الصعب فاسترجع فلما استرجاعه استيقظت رضوان الله تعالى عليها.

وهذا أيضا من أدبه فلم يشأ أن يناديها باسمها أو لم يشأ أيضا أن يروعها فلو نادها أو فعل أمرا ما أوا ناداها بأي وسيلة ربما ازداد خوفها فكان هذا من تعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلامه عليه وتعظيمهم أيضا لأزواجه الطاهرات أم المؤمنين.

فما كان من صفوان رضي الله عنه إلا أن أركب عائشة وأدار بوجهها عنه حتى ركبت ثم استطاع اللحاق بالقافلة.

فعلموا بعدها أن عائشة لم تكن في الهوج حينما ارتحلت القافلة ، استغل هذا الموقف المنافقون عليهم من الله ما يستحقون وأشاعوا إشاعة أن عائشة رضي الله عنها تأخرت بمقصد أو لقصد مع صفوان وأنه حدث بينهما ما حدث فاستاء نبي الله عليه السلام ثم لما رجع للمدينة طال الحديث شهرا كاملا لم ينزل القرآن بشيء في هذا امرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تذهب أبيها وكان الجميع غير مصدق لهذه الفرية لكن نبي الله عليه السلام كان ينتظر نزول القرآن ليبرأ ساحة عائشة رضي الله تعالى عنها.

قصة طويلة ملخصها أنه نزل القرآن بعد ذلك ليبرأ عائشة رضي الله تعالى عنها من ما افترى عليها أولئك المنافقون طيب الشاهد هنا لماذا تأخر نزول القرآن او لماذا حصل هذا البلاء لعائشة مع أن الله عز وجل قادر أن يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم نبيه.

هذا يجرن للحديث الذي تحدثنا عنه قبل حلقات وهو أن البلاء قد ينزل بأهل الإيمان وقد ينزل بغيرهم ، فينزل بغيرهم عقاب لهم امتحان لهم وينزل بأهل الإيمان لرفعة درجاتهم وليكونوا عبرة لمن بعدهم فإنه قد أصاب النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الإبتلائات حتى يكون ذلك تسلية لمن جاء من بعده.

فإذا قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ابتلي نبي الله اتهم في عرضه نبي الله أصيب في سحر نبي الله كسرت رباعيته أو شج في رأسه نبي الله كان فقيرا كل هذا يسلي العبد.

فنبيه الله عليه السلام نزل به هذا البلاء إمتحان له ورفعة لدرجاته وكان فيه الحقيقة من الفوائد تبرأة عائشة من الله جل وعلى في قرآن ينزل ويتلى إلى يوم الدين في تبرئة ساحتها رضوان الله تعالى عليها.

أيضا من ذلك عظم الجزاء على عظم البلاء فذلك بلاء عظيم أن تنتهك أو أن تتهم في عرضها رضوان الله عليها أم المؤمنين وهي الطاهرة المطهرة وهي الحصان الرزان وهي زوج النبي صلى الله عليه وآله سلم وابنة الصديق رضي الله عنه فلا شك أن ذلك الأأمر كان مصيبة عظيمة لكنه على عظم البلاء يكون عظم الجزاء.

أيضا من الفوئد الحقيقة التي ذكرها الله عز وجل في هذه السورة قوله عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لماذا قدم الزانية على الزانية لماذا لم يقل الزاني والزانية فاجلدوا مع أن الزانية أحيانا ربما يكون هو المبادر وقد يكون من المرأة لكن قال أهل العلم هنا فائدة أن الزنى في حق المرأة أشنع وأبغض.

الزنى في حق المرأة أشنع وأبغض وهو في حقها أمر سوء لا ينفك عنها بعد ذلك إلى ما شاء الله وهو في حق الرجل كذلك لكنه في حق المرأة أشد بشاعة.

طيب في سورة المائدة قال ربنا السارق والسارقة فقدم السارق على السارقة مع أن كلاهما سارقين لماذا قدم لفظ المذكر بالسارق قاتلوا لأن الرجل غالبا يكون أجرأ على السرقة.

لن الرجل غالبا يكون غالبا على السرقة وهو الحقيقة أقدر يعني يستطيع أن يسرق فلذا بدأ الله عز وجل به ، من الآيات العظيمة التي تحافظ على هذا النور في المجتمعات قول الله عز وجل { قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم. }

لماذا قدم غض البصر على حفظ الفرج قالوا لأن النظر بريد الزنا يعني النظر سهم مسموم من سهام أبليس فإن ابليس عليه من الله ما يستحق يحاول دائما أن يستغل النظرة المحرمة لتكون سبيل للفاحشة ولذا حذر ربنا من الوقوع في الزنى لا بذات التحريم من الزنا يعني لم يقل لا تزنوا إنما حرم ربنا جل وعلى مجرد الخطوات والإقتراب من المنكر فقال سبحانه ولا تقربوا الزنا.

فإذا كان قرب يعني أسباب السلوك التي تؤدي إلى الزنا محرمة فما بالك بالزنا فإنه أشد حرمة وأعظم منكر أيضا من الفوائد التي ستمر معنا قول الله جل وعلى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة.

طيب ألسنا نعلم أن الحكم في الزاني المحصن يعني المتزوج أنه يرجم حتى يموت لماذا قال ربنا اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة.

الجواب أن ما ذكرناه صحيح أن الثيب يقتل لكن الجلد في هذه الآية الزانية والزانية فاجلدوا كل واحد منهما المقصد بهما ماذا ؟

البكرين يعني الرجل البكر والمرأة البكر الذين لم يسبق لهما الزواج أما الثيب الذي سبق له الزواج سواء كان رجلا أو امرأة ويعني وقع والعياذ بالله بالزنا فحده الرجم حتى الموت وهذا اختيار الشيخ ابن سعدي وفيها يعني هذا الفعل الحقير فيه من البشاعة ما فيه.

ثم لأجل هذا رتب الله عز وجل العقاب أن يكون من جنس الفعل ، فإذا كان هذه المعصية شنيعة فإن جزائها وعقابها هخو لا يقل عن شناعتها فإن الثيب ومن سبق له الزواج فإن جزاءه وعاقبته وحده أن يرجم حتى يموت.

جاء في قصة حادثة الإفك قول الله جل وعلى بعد أن ذكر أحداث هذه القصة قال سبحانه لا تحسبوه شرا لكم ، لا تحسبوا حادثة الإفك اتهام عرض النبي صلى الله عليه وسلم أنه شر.

يا رب اتهام زوجة النبي في عرضها تكدير صدر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتهم في عرضه أليس هذا من الشر قال الله لا بل هو خير لكم.

طيب أين هذا الشر وأين هذا الخير ، قال أهل العلم لا يقدر الله عز وجل شيئا شرا محضا ولا يقدر شيئا خيرا محضا إذا قدر شر على العبد فإن له نسبة من الخير وإذا قدر سبحانه وتعالى نعمة او خير للعبد فإن في نسبة من الشر لكنها يعني نسبة وتناسب ، لا تحسبوه شر لكم عسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرا لكم.

وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم لكن ما هو هذا الخير الذي قال الله عز وجل واصف إياه في الآية بل هو خير لكم قلنا سابقا أن هذا كان من الإبتلاء فيه رفعة لعائشة رضي الله عنها فيها تبرأة من الله جل وعلى فيها نزل القرآن يتلى إلى يوم القيامة كل من قرأ هذا الكلام يؤجر إلى يوم القيامة بحسنات عديدة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألف لام ميم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف.

فمجرد قرائتك قراءة قصة حادثة الإفك أنت مأجور وفيها تطهير لعائشة رضي الله عنها أيضا وأيضا من الخير الذي في هذه الحادث كشف أولئك المنافقين الانتقام من المفترين موعظة للمؤمنين تبينا الآداب الإسلامية يعني في الإستئذان وغيرها كما جاء في آخر الصورة العظيمة.

على عجل دعونا نذكر شيء من الآداب التي ركز الله تعالى عنها في هذه الصورة حتى لا يحصل بها فساد الأخلاق لا يحصل بها الزنى لا يحصل بها النظر الحرام لا يحصل بها المعاكسات كل هذه الأمور مفتاحها أمر واحد ألا وهو الإستئذان.

ويركز الله عز وجل عليه في هذه الصورة في عدة آيات ، يقول ربنا جل وعلى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ثم يقول في آية أخرى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوا.

ويقول ربنا جل وعلى وإذا بلغ ا لأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ، أي إذا بلغ الطفل الحلم فلا يدخل على والديه إلى أن يستأذن وهذا من أحكام وآداب والشرعية التي يعلمها الله عز وجل لأهل الإيمان ويقول ربنا جل وعلى أيضا يا أيها الذين آمنوا لا تخلوا بيوت غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها.

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حديث بما معناه أن الرجل إذا عاد من سفر فلا يطرقن أهله ليلا يعني رجل لا يعرف متى يعود فكانوا في السابق لا أجهزة إتصال ولا هواتف فربما جاء مباشرة ودخل على أهله فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك لماذا مع أنه بيته وهم أهله قال الحكمة في ذلك حتى لا يرى من أهله ما يكره ربما تكون غير متهيئة ربما لا ترضا أن تكون على حال يراه فيها فربما لم تعجبه على ذلك أو ربما حصل أمر يسئوهما.

ولذا ركز الله جل وعلى على موضوع الإستئذان من أنه من أعظم لأنه من أعظم الأسباب الي تعصم الإنسان عن الوقوع في الزلل.

وإذا كان الله عز وجل يطلب بالإستئذان كيف بمن لا يستأذن ويخترق تلك المواقع الإلكترونية وينظر إلى الصور الإباحية ويدخل مواقع الشات الفاسدة التي للأسف تقسم دين الإنسان وتفتك به فالله الله أن نصلح نياتنا وأن نتقي الله في هذه الآداب حتى يحل علينا النور ونهتدي بهدي القرآن اسأل الله أن يحفظنا وإياكم ألتقي وإياكم على خير وأنتم إن شاء الله في خير وعافية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء التاسع عشر من القرآن تاريخ الحلقة : ١٩ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله ، وأصلي وأسلّم على نبينا المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

معاشر الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مرحباً بكم إلى لقاءٍ جديد من برنامجكم " ربيع القلوب " ، ومحور حديثنا اليوم عن الجز التاسع عشر من كتاب الله آخر الفرقان ، سورة النمل ، سورة الشعراء هي محور حديثنا وهي محتوى هذا الجزء التاسع عشر.

افتتح الله عز وجل هذه السورة أو هذا الجزء التاسع عشر بقوله : {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا } ، أي أولئك المكذبّون الذين صدّوا عن سبيل الله {لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا. }

هذا كله باختصار من باب التعجيز للأنبياء وللرسل { لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا } ، وأولئك يطلبون شقاق القمر ، وأولئك يطلبون إخراج ناقةٍ من الصخرة ، و أولئك يطلبون إنزال مائدة من السماء.

قال الله عز وجل مبيّناً شناعة وفداحة صنيعهم { لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً } ، فبعد ذلك بعد عدم قبولهم للحق واستنكافهم عن قبول الخير ، قال الله عز وجل : { لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً. }

تذكّر يا محمد عندما يأتيهم عذاب الله ، قال : {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَآئِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً } ، هم يطلبون إنزال الملائكة إليهم أو عليهم قال الله عز وجل سيرون الملائكة أعياناً وبياناً أو سيرون أخذهم اخذ الملائكة لهم ولكن بالعذاب والنكال الشديد لأنهم إنما فعلوا ذلك وطلبوه استكباراً وتعجيزاً للأنبياء عليهم السلام.

ويدلل على هذا المعنى الآية التي ستمر معنا في سورة النمل وهو قو الله عز وجل حاكٍ عن أولئك الكفّار واستنكافهم واستكبارهم وكشف مخططاتهم ، قال سبحانه وتعالى : {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. }

وجحدوا بها ظاهرياً ، واستيقنتها أنفسهم باطنياً ظلماً وعلواً ، قال لله : { فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. }

سورة الفرقان ربما تحدّثنا عنها في الحلقة الماضية أو عن أولها هي سورة مكية موضوعها العام إيصال رسالة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إيناسه في محنته ، الوقوف معه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيت فؤاده وقلبه.

كأن رسالتها تقول يا محمد ترى ما حل بك وما نزل بك وما يصيبك وما يحل بك مع قومك ليس جديداً ليس غريباً إنما قد سبقك أنبياءٌ ورسل عانوا ربما مثل ما عانيت وربما أمضوا سيناً أكثر مما أمضيت كنوح عليه السلام الذي مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعو قومه ولم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به إلا قليل كما قال الله { وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ }، فاصبر يا محمد.

ثم تذكر في هذه السورة العظيمة تتناول الآيات المعركة الأزلية التي إلى قيام الساعة وهي معركة بين الحق والباطل يذكر الله عز وجل فيها بعض الأنبياء ، يذكر فيها بعض الرسل ، يذكر فيها أقوامهم وكيف أيضاً واجهوهم بالصد والاستكبار عن قبول الحق.

الله عز وجل إذا ذكر قضية أيها الإخوة هنا فائدة يدلل عليها بموقف أو بدليل أو بحادثة معينة ، يقول ربنا جل وعلا بعدما ما ذكر حال من صدّ عن سبيل الله وأنهم يوم القيامة يكونوا في وبال شديد وفي عذابٍ عظيم وأنهم لا بشرى لهم يوم القيامة { لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً } {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً. }

قال الله عز وجل بعد ذلك : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً{٢٧} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً{٢٨} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً{٢٩}. }

هذا الموقف موقفٌ مبكي ، موقف محزن ، هذا الموقف كثيراً للأسف ما يحصل { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} يصف الله عز وجل الموقف يوم القيامة أو حال سكرات الموت بل دعونا يعني هو هذا القسم ينقسم إلى قسمين أو هذه الآية أو هذا الموقف له وجهين : وجه حال سكرات الموت ، و وجهٌ يوم القيامة.

سيكون حال سكرات الموت كما قال الله عز وجل في ختام الآية : { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً } ، قال ابن القيّم : يؤذّه يؤذ الشيطان بنو آدم أذّن إلى المعصية فإذا حانت سكرة الموت ذهب وتخلّى عنهم فهذا معنى قوله سبحانه : { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً. }

كما قال الله : {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } ، {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ . }

يحكى في بني إسرائيل عن رجل عابد كان في صومعة فأراد قومٌ إخوانه أن يسافروا من تلك البلدة وكان لديهم أخت فخشوا عليها ان تبقى لوحدها فقالوا لا حامي لها بعد الله إلا هذا الرجل العابد.

فذهبوا إلى هذا الرجل العابد فقالوا : هل تحرس أختنا ؟.

قال : لا مستحيل أنا لا أخرج من هذه الصومعة.

قالوا : فقط نريد ان تأتي لها بطعام وتحرسها أو إذا احتاجت شيئاً تقف معها.

تنازل قبل تلك الدعوة أو ذلك الطلب ..... بعد أيام كان يأتي إليها بالطعام ولا ينظر إليها ولا يدخل إلى البيت بل يقف على الباب.

مرةً ثم مرة انظر الإنسان العابد لكن ليس لديه علم فالمرة الأخرى قال يعني لماذا لا أكلّمها وأطرح عليها مسألةً أسألها عن حالها هل تحتاج شيئاً ما ، فخطى الخطوة الثانية وبدأ يحادث هذه الفتاة.

المرة الثالثة قال له الشيطان : لماذا لا تنظر إليها فإن ذلك ربما يكون ادعى لهدوء نفسيتها فخطى الخطوة الثالثة وبدأ ينظر إليها ، المرة الرابعة لمس يدها ، المرة الخامسة صافحها ، المرة السادسة بدأ يدخل البيت بدأ يعني يتواصل في الحديث ، إلى أن والعياذ بالله أزّه الشيطان للوقوع معها في الفاحشة.

لما وقعت الفاحشة جاءه الشيطان والشيطان يواصل لاتتبعوا خطوات الشيطان ، فقال له بعد ذلك أنت الآن فعلت الحرام وأنت عابد فماذا ستفعل ربما تقتل ربما يكتشف أمرك ، أنا لك ناصح أمين ماذا تفعل ؟.

قال : أشر علي.

قال : اقتلها وإذا جاء إخوانها فقل لهم أنها ماتت ودفنتها.

فذهب وقتل هذه الفتاة ثم دفنها ، انظر والعياذ بالله زنى ، فاحشة ، مكر ، خديعة ، خيانة ، كذب ، قتل ..... لما دفنها عاد إخوانها بعد ذلك أين أختنا ؟.

قال : والله مرضت وكذا وماتت وأنا دفنتها.

قالوا : جزاك الله خيراً وما قصرّت.

أخذوه وشكروه بعد أيام ربما رؤوا رؤية أن أختهم في المكان الفلاني ، جاءهم الشيطان وقال لهم إن العابد قد قتل أختكم ودفنها في المكان الفلاني إذا لم تصدقوني اذهبوا وشاهدوا بأنفسكم.

ذهبوا إلى ذلك المكان فتحوا تلك الحفرة وجدوا أختهم مقتولةً ، ذهبوا ليقتلوا ذلك العابد في صومعته لأنه خان وكذب.

فلما أتوا به أخذوه وذهبوا بالحاكم فحكم عليه بالقصاص والقتل ، لما جاء وقت القصاص ماذا كان هو دور الشيطان ؟ ، هل جاء وقال له سامحنا ترى نحن أخطأنا في حقك وترى يعني الموضوع ما كان قصدي أنا كنت والله أمزح معك ؟.

قال لا ، لما جاءه قال هل تريد ان أنجيّك في هذه المحنة ؟.

قال : نعم أنت الذي أوقعتني فيها والآن يعني حاول أن تنجيني ، وغاب عنه كل الغياب عون الله جل وعلا والتوكل عليه ، بل غاب عنه المفتاح العظيم وهو مفتاح التوبة السبيل الأعظم إلى رب العالمين جل وعلا.

فلما جاءه في تلك اللحظة قال له : هل تريد أن أنجيّك ؟.

قال : نعم.

قال : اسجد لي وسوف أنجيّك.

مباشرةً أخذ ذلك العابد الضعيف الجاهل بالسجود لذلك الشيطان الرجيم ولم يعلم أنها السجدة الكفرية الأخيرة ، من هنا يسجد و السياف من فوقه يقتله ويجذّ رأسه.

فختم له بماذا ؟ ، بالكفر بالكفــر { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً. }

تعالوا يا إخوة تعالوا يا أخوات اسألوا كل من وقعوا في زنى أو لواط أو فاحشة أو سرقة أو في شرب خمور أو في مخدرات .... مستحيل أن يقول لك أني أتيت لها دفعةً واحدةً أولها سيجارة ، أولها مكالمة ، أولها مهاتفة ، أولها رقم أعطاني إياه ، أولها منظر خليع شاهدته ، أولها صورة ، أولها كذا ..... ثم بعد ذلك أزّ الشيطان ذلك العبد بعد ان أرداه قتيلاً أو أوقعه في وحل المعصية.

فهذه هي الفائدة الأولى العظيمة من هذه الآية وهي قول الله : { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً. }

فإذا فهم العبد هذا المغزى اتخذ الشطيان عدواً ولم يتخذه صديقاً ، لأن رب العالمين يقول : {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } .

فائدة عظيمة أخرى ، ولكن بعد الفاصل.

)فاصل إعلاني. (

---

في هذه السورة العظيمة سورة الفرقان يحكي الله عز وجل موقفاً عظيماً كنا تحدثنا عنه قبل الفاصل وهو موقف إذلال الصاحب لصاحبه يضرب الله مثالاً لأولئك الأقوام الذين صدّوا عن سبيل الله ليس لأنهم لم يقتنعوا ، ليس لأن ذلك الإيمان لم يدخل ويخالط شغاف قلوبهم ... كلا ، بل كان الدافع لصدّهم عن سبيل الله ولعدم استجابتهم لأوامر الله هو الصاحب.

ولذا يقول ربنا : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } ، سمّى كل إنسانٍ لا يستجيب لأوامر الله بالظالم ، طيب ظالم لمن ؟ ، قالوا لأنه ظالمٌ لنفسه ظالمٌ لنفسه عن قبول هذا الحق.

والإنسان بطبيعته فطره الله عز وجل على الخير وعلى الدين وعلى قبول الحق فهو الذي قال سبحانه : { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } ، يعني لا يستطيع أحد أن يغيّر فطرة الله التي جعلها في نفس ذلك العبد فهو بطبيعته يحب الخير وقد جُبِل على ذلك لكن بعض الناس يصدّه الشيطان شيطان الإنس والجن ، شيطان الإنس يسوّل وشيطان الجن يعين وهذا ينفّذ.

فوصفه الله عز وجل بأنه ظالم ، قال : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } أنت بالمناسبة إذا رأيت إنساناً يتحسر على فوات شيء خسر ، رسب ، توفي له مثلاً يعني صديق أمام عينيه أو خسر مساهمةً معينة مالية أو أي شيء من أمور الدنيا تجده يعض على أصبعه يقول هكذا فاتني هذا الأمر.

لكن فوات الدين من أعظم المصائب ، اليوم لا يوجد رجوع لا يوجد ، لا يوجد نقوص ، لا يوجد حل آخر ، لا يوجد دور ثاني ، لا يوجد رجعة {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا } ، {رَبِّ ارْجِعُونِ } {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ. }

لأنه يعلم استقر في ذهني اليوم أن القيامة قامت وأنه لا رجوع ليعدّل ما فات وليعدّل ما فسد ... كلّا ، فلذا لا يعض على إصبع ولا على إصبعين ولا ثلاثة ولا على يد واحدة بل يعض على كلتا يديه.

}وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي } انظر يوم القيامة أهل الندامة أهل الخسارة أهل الباطل أهل المعاصي كل حالهم ندامة وخسارة ، قال الله عنهم : { وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ. }

كل حالهم خسار وفوات وندامة وملامة لبعضهم البعض لكن ذلك لا ينفعهم كل ذلك لا ينفعهم بل يزيدهم ماذا ؟ ، يزيدهم خسراناً ويزيدهم ضلالاً و يزيدهم ألماً وحسرة.

قال الله عز وجل حاكياً عن ذلك الصاحب الذي استجاب لصاحبه فضل عن سبيل الله : { يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً } أي أنه ما عض كلتا اليدين كاملتين إلا لأنه فاته أمرٌ عظيم ، ما هو ذلك الأمر ؟ ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً } {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً. }

قال الله عز وجل واصفاً ذلك العبد يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ، لم يقل ليتني لم أتخذ محمد أو عبد الله أو فلان أو فلانة بل سمّاه بصيغة التجهيل حتى يكون عاماً لأي إنسان يضل صاحبه.

هذه الآية بالمناسبة نزلت في عقبة ابن أبي معيط ذلك الرجل الذي كان يعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيءٍ من التوازن وبشيء من العدل فأراد أن يدعو النبي عليه الصلاة والسلام ليطعم طعاماً في بيته يعني يريد أن يعزم النبي صلى الله عليه وسلم في بيته.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : إني لا آتيك أو لا أكل من طعامك حتى تنطق بالشهادتين.

وهذا أيضاً ملمح تربوي ودعوي أن بعض الناس يعني ربما يكون عاصياً فيحب بعض الصالحين أو يحب شيخاً أو داعيةً أو غير ذلك أو يحب قريباً فيه من الخير و الصلاح فيقول له أريدك أن تذهب معي ، أريد أن نسافر ، أريد أن نذهب إلى الرحلة الفلانية.

يقول أبشر فقط بشرط مثلاً نحفظ شيئاً من القرآن ، بشرط أنك خلال هذه الأيام أراك دائماً مواظب في المسجد.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأتي ويجيب دعوة عقبة ابن أبي معيط إلا حتى ينطق بالشهادتين ، فهذا الرجل عربي وشهم وعنده من الشهامة شهامة العرب فقال : أشهد أن لا اله إلا الله وأنك محمد رسول الله.

ما دام أن محمد الرجل الكريم يدخل إلى بيتي خلاص وأنا أنطق بالشهادتين.

فعلم أبي بن خلف ذلك العدو اللدود للدين ولنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء يعاتب عقبة يقول من أجل أن يأكل محمد طعامك تأتي وتقول أشهد ان لا اله إلا الله ؟ ، يعني أنت صدأت بهذا وخالفت دينك ودين آباءك

فقال : لا والله ما صدأت وأنا ما فعلت هذا إلا من اجل ان يأكل محمد طعامي ، تدري والله إني لا أرضى بدينه.

فقال لا أرضى عليك وأنت صاحبي تريدني ان أغضب عليك يا عقبة ، يقول أبي بن خلف ؟ .

قال : لا والله يا أبي بن خلف أنا لا أرضى أن تغضب علي أو أن يأتي في خاطرك شيء علي.

فقال : إذا أردتني يا عقبة أن أرضى عنك ، انظر المكر والخديعة لا أرضى حتى تذهب لمحمد صلى الله عليه وسلم يعني لهذا الرجل الذي اسمه محمد وتبصق على وجهه وتطأ على قفاه ، انظر إلى الذلة انظر نكران الجميل هذا الرجل الذي كنتم تسمّونه الصادق الأمين لأنكم خالفتم ما أتى به تريد أن تفعل معه ذلك.

فذهب عقبة بن نافع وهو الشيطان الإنسي وفعل بالنبي صلى الله عليه وسلم ما أراده أبي بن خلف ، فبصق على وجهه الشريف صلى لله عليه وسلم و وطأ على قفاه.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا عقبة والله لا ألقاك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف ، فأسر عقبة يوم بدر وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب أن يجذّ رأسه.

كل ذلك لم يحدث الرجل خلاص كان مقبل على الخير من الذي دفعه للصدّ عن سبيل الله ؟ ، من الذي دفعه إلى الارتداد عن دين الله عز وجل أو حتى على الاستجابة لذلك الأمر التافه ؟ ، هو الصاحب ، ولذلك كما قيل الصاحب ساحب إما أن يسحبك إلى الخير أو يسحبك إلى الشر.

يلي سورة الفرقان سورة الشعراء هي سورة مكية عالجت أصول الدين وذكرت قصص كثير من الأنبياء وحالهم مع دعوة أقوامهم ، السورة ابتدأها الله بالتأكيد على عظم القرآن الكريم الذي أنزله هدايةً للبشر.

قائلاً في بدايتها سبحانه : طسم{١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ{٢. }

وجاء في آخرها : وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٩٢} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ{١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ{١٩٤. }

فرب العالمين كأنه يؤكد في هذه السورة العظيمة وقد بدأ سورة الشعراء بالحديث عن عظمة القرآن وفي آخرها بالحديث أيضاً عن عظمة هذا القرآن كأن الرسالة التي يريد إيصالها سبحانه وتعالى من هذه السورة أن أولئك الأقوام لما خالفوا ما جاء في هذا القرآن فانه حل بهم العقاب الشديد والنكال العظيم ولما استجاب أقوام لأوامر الله ولكتاب الله وسمعوا وأنصتوا وتحرّكت قلوبهم ودمعت عيونهم وخشعت قولهم فان ذلك أورثهم إيمانا نالوا به الدرجات العلا في الجنة.

يختم الله عز وجل قوله بسورة الشعراء بقوله : { وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } ، بعض الناس يظن أن كل الشعر هو من الغواية ولذلك كلما رأى شاعر قال أنتم أيها الغاوون كلّا.

المقصود الشعراء الذين هم أهل الباطل أو أنهم الذين يعارضون القرآن ويخالفون أوامره ، لكن الشعراء الذين يحافظون على أوامر الله ويجتنبون نواهيه يعني يكون شعرهم عفيفاً طيباً في معالي الأمور والأخلاق والدين فهؤلاء يؤجرون أما ان يكون هناك الإنسان كل همه الشعر فهذا أمر لا ينبغي.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً " لكن الشعر العفيف الطيب هذا أمرٌ أيضاً ممدوح ويثنى عليه.

ثم يأتي بعد ذلك سورة النمل التي سميّت بتلك المعجزة وهي الحشرة التي كانت حريصةً على قومها داعيةً.

ذكر فيها أيضاً قصة الهدد الداعية الذي وحّد الله عز وجل وجاء إلى سليمان عليه السلام ينبئه عن بلقيس ملكة اليمن التي وجدها تعبد إلهاً غير الله وتعبد الشمس فجاء إلى نبي الله سليمان يشكوه ويشكو إليه تلك المرأة.

وقصتها عجيبة لعلنا نرجئها أيضاً ان شاء الله إلى الحلقة القادمة يحكم أن سورة النمل جزءها أيضاً الأخير في الجزء القادم الجزء العشرون فنسأل الله عز وجل ان يرزقنا وإياكم علماً نافعاً وعملاً صالحاً وأن يفقّهنا وإياكم في كتابه.

ألقاكم وأنتم ان شاء الله على خير وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء العشرون تاريخ الحلقة : ٢٠ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه وعبده وعلى آله وصحبه أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب وحديثنا عن الجزء العشرين من كتاب الله الذي يحوي آخر سورة النمل وسورة القصص وغالب سورة العنكبوت هذا الجزء افتتحه الله عز وجل بقصة لوط عليه السلام وما نال قومه من العذاب بسبب عرضهم عن سبيل الله فيها أيضا ذكر قصة لوط وشيء من تفاصيلها الشنيعة التي يعني واجهوا بها نبي الله لوط عليه السلام وما حل بهم من العذاب من ما فعلوه.

مر معنا أن جزاء الزاني والزانية الثيب الرجم حتى الموت وأوردنا سؤال لماذا جاء هذا الجزاء أو الحد الذي ربما يكون قاسيا وقلنا قبل ذلك أن ذلك من جنس جزاء ذات المعصية.

مثلا إذا سرق فإنه يقطع يه ولأن ذلك يتعلق بحقوق العباد أما موضوع الزنا فإنه كذلك يتعلق بحقوق العباد وفي تعدد الأعراض وفيه إفساد للأخلاق وفيه أيضا تشويه للنسل أو تشتيت للنسل وهذا امر له حظه في الشريعة ولذا جاء عقاب قوم لوط من جزاء ما فعلوه.

لشناعة ما فعلوه من مخالفتهم للفطرة فجاء عذاب الله عز وجل شنيعا عظيما عليهم ولذا جاء أن جبريل عليه السلام رفع قرية قوم لوط بطرف جناحه إلى أن سمعت الملائكة صوت صياح ديكهم ونباح كلابهم أنهم كانوا أقرب ما يكونون إلا أعلى السماء ثم هوا بهم جبريل عليه السلام وقص لله عز وجل عقابهم قائلا وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ممضود.

يعني سجيل أوقد عليه حتى في النار يحرق كل واحد منهم جزاء ما فعلوه مخالفة عن الفطرة ويعني عصيانهم للواحد الأحد جل وعلى.

أيضا يذكر الله جل وعلى هذه السورة العظيمة سورة النمل في ختامها مشاهد من أحوال يوم القيامة وأن في ذلك عبرة لأولئك المدعوين الذين دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن يعتبروا وليتعظوا وكنا ذكرنا في حلقة سابقة أن أعظم أنواع الوعظ الوعظ بالوعد والوعيد يعني أن يأتي الإنسان بالمبشرات وبالمخوفات والمحذرات وكان هذا هو منهج الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم الذي استلهمه من منهج القرآن.

ويجمع بين الوعد والوعيد ، تلاحظ أحيانا على بعض الوعاظ أو بعض الدعاة أو بعض الأخوة والأخوات في ما بينهم أنهم يغلبون جانب أحيانا الوعيد يعني يأتي إنسان دائما يتحدث عن القبر عن سوء الخاتمة عن النار وأهوالها عن عذاب القبر عن التخويف بالله والخوف من الله عز وجل.

ويأتي ربما آخر ويغلب جانب الوعد فيتحدث كثيرا عن الجنة عن رحمة الله عن مغفرته عن سعة الله عن مغفرته هذا القرآن يعطيك المعيار الشرعي الذي فيه التوازن كما قال ربنا عن نفسه نبأ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم.

والوعد والوعيد والخوف والرجاء هما جناحي طائر لو سقط واختل أحد الجناحين لما استطاع الإنسان أن يعيش ولذا كثير من الأخوة وربما يعني تشاهدون هذا الذين يمن الله عز وجل عليهم بالهداية يتحول الشيطان من إضلالهم يعني بعد أن كان يضلهم بجانب الشهوات يبدا اإضلالهم ووسوسته عليهم عبر بوابة الشهوات.

فيأتي إليهم ويقول أو يغلب عنده جدانب مثلا الحديث عن الموت القبر النار فأجد كثيرا منهم ولمست هذا عند بعض الدعاة الذين يقابلون أولئك الشباب المهتدين أنهم يصبحون منعزلين عن المجتمع.

يعني يعلوهم الخوف التردد عن مقابلة الناس عدم اطمع والفئلل في هذه الحياة وعدم إقبالهم على الآخرة لأنه يشعر أنه سيموت بعضهم لا ينام جيدا وهذا كله من مخالفة المنهج القرآني والمنهج النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام.

على صاحبه باختصار أن يلتزم منهج التوازن فيغلب جانب الوعد ولا يغلب جانب الوعيد لا يغلب جانب الخوف ولا يغلب جانب الرجاء ويكون متوازن بين ذلك وهذا ظاهر في آيات القرآن ، آيات تتحدث عن القيامة أحوال أهل النار ثم يأتي بعدها قول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم بالنار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون.

وهذا من تمام عدله جل وعلى ، افتتح الله عز وجل سورة النمل بالحديث عن القرآن وختمها بالحديث عن القرآن طيب هذا على ماذا يدلك هذا يعطيك سر من أسرار هذا الكتاب العظيم أن كل كا جاء في القرآن أنه يدعوا للتمسك به والتدبر وفهم ما جاء به.

رب العالمين جل وعلى فهو يقول سبحانه في أول سورة النمل { طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ{١} هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. }

ثم بعد ما ذكر حال من صد عن سبيل الله لم يستجب أوامر الله من خالف أوامر الرسول صلى الله ع لهي وسلم ماذا قال بعد ذلك ؟

اللهل عز وجل يؤكد على المعنى العظيم الإستمساك بالقرآن وأن الدعوة بالقرآن هي من أعظم وسائل الدعوة إلى الله يقول ربنا عن نبيه صلى الله عليه وسلم ونبي الله يحكي ما جاء به يقول {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ *وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ.}

يقول صلى الله عليه وسلم إنما كان من أعظم ما أمرني الله به أن توحدوا رب العالمين جل وعلى وأن أتلوا عليكم هذا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه.

يقول الإمام ابن حجر من أعظم أبواب الدعوة إلى الله إسماع الناس كلام الله مجرد فقط إسماع الناس القرآن تلاوته عليهم في الصلاة وهو أعظم ما يبلغ به القرآن بالأشرطة في المساجد في غيرها هو من أعظم أبواب الدعوة إلى الله.

بدأها بالقرآن والتأكيد على جانب القرآن وختمه بالتأكيد على أهمية القرآن إذا ما موضوع السورة هذه السورة العظيمة سورة النمل تأكد على هذا المعنى الإستجابة إلى أوامر ا لله التي جاءت في هذا القرآن العظيم وأن من خالف أوامر الله لم يستجب لأنبياء الله ماذا حل به حل به العقاب الشديد والعذاب الأليم وخسف بأولئك الأرض وأولئك أغرقوا وأولئك هبة عليهم ريح صرصر عاتية لماذا ؟

لأنهم لم يوفقوا لقبول هذا القرآن ، هنا رسالة أيها الأخوة البنات اللاتي يحفظن القرآن في مدارس التحفيظ البنات اللاتي يقرأن القرآن ويداومن عليه ، الشباب والناشئة الذين وفقهم الله للإلتحاق بحلق ومدارس تحفيظ القرآن هذا القرآن هو النجاة هذا القرآن هو معيار الحياة.

وصفه الله انه الروح والإنسان بلا روح ليس إنسان إنما هو جثة هامدة وكذلك أوحينا إليك روح من امرنا ، الجسد الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.

إذا أنت بغير القرآن ميت وربما تكون ميت جزئيا إذا كنت تحفظ القرآن ولا تعمل به ، لم تذق طعمه لم تتلذذ بأسراره لم تتعرف على حكمه وآياته فالله الله معاشر الأحبة والأخوات أن نلتزم هدي القرآن وأن نتلوه آناء الليل والنهار أن نفتش في أسراره أن نفهم معانيه والله بعد ذلك سيشعر الإنسان بحياة غير الحياة الرتيبة الحياة المملة والتي والله أصبح يشعر به كثير من المسلمين اليوم.

الطفش الهم القلق النفسي الأمراض النفسية التعب الهموم الغموم من استمسك بهذا القرآن فإنه لا يضل بعد ذلك أما من أعرض عن هذا القرآن فحاله كما قال ا لله من أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكة ، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا.

أسأل الله ان يجعل القرآن بيع قلوبنا نواصل بعد هذا ا فاصل القصير ما تبقى من سورة القصص والعنكبوت.

---

أيها الأكارم يلي سورة النمل سورة القصص وهي سورة يعني ذكر الله عز وجل فيها بعض القصص ولكن القصة الرئيسية فيها كانت لموسى عليه السلام.

نحن ذكرنا سابقا أن قصة موسى شغلت يعني نسبة كبيرة من قصص الأنبياء ومن القرآن العظيم وذلك لتنوع أحداثها والمواقف العظيمة التي حدثت بل لطولها.

كثير من الأنبياء بعث لقومه وهو يعني بالغ الأربعين كحال النبي صلى الله عليه وسلم أو جاوزها بقليل بعضهم بعث وهو كبير سن ، موسى عليه السلام منذ النشأة منذ أن كان في المهد منذ أن كان طفلا والله عز وجل يقص علينا قصته وأحداث نشأته بعد أن كان صغيرا ثم ذهب وألقته والدته في اليم كما ذكر في هذه السورة.

ثم قصة طلب زوجة فرعون أن ترعى ذلك الطفل الرضيع ثم قتله للقبطي ثم هربه من فرعون ثم قصة بعثته عليه السلام ثم قصته مع المرأتين اللتان تذودان عند البئر قصته صلى الله عليه وسلم بالوادي المقدس طوى ثم معركة الحق والباطل بينه وبين فرعون فهي قصة عجيبة يعني جاءت شغلت نسبة كبيرة في قصة أو في سورة القصص كذلك في سورة الأعراف كذلك في سورة طه.

كانت قصة موسى عليه السلام ظاهرة في هذه السور ووردت كما سلفنا في ثلاثين موضعا من القرآن ، سورة القصص تتحدث عن محورين أساسيين.

الأول هي قصة الصراع بين عباد الرحمن وعباد الشيطان وتركز على فكرة ترسيخ معنى الصراع الدائم إلى قيام الساعة بين الحق وبين الباطل.

يدلل الله على هذا المعنى بقصتين قصة موسى عليه السلام وقصة قارون ، الأول قصة ممثلة بالطغيان ع الحاكم والسلطان وتجبر الطغيان والملك وادعاء الربوبية قال أنا ربكم الأعلى والقصة الثانية قصة قارون تلك القصة التي ترمز للطاغية أو ترمز للإستعلاء بالثروة والمال والطغيان وأن الإنسان يطغى بماله كما قال الله.

كلا إن الإنسان ليطغى ، متى يا رب يطغى الإنسان وهو فقير وهو ميسور الحال ؟

لا قال أن رأه استغنى ، إذا من الله على العبد بالمال أو المنصب أو الجاه فإن كثير من الناس وللأسف لا يستغل هذه النعمة الإستغلال الأمثل الإستغلال الصحيح.

بمعنى آخر إذا وهبه الله نعمة فإنه لا يشكرها ولا يقدرها حق قدرها إنما للأسف يسول الشيطان للبعض باستخدامها في الشر في المعصية في الطغيان في سلب أموال الناس وغير ذلك.

وهذه القصة كانت ظاهرة أو احداثها ظاهرة في قصة قارون ، بعد قصة قارون التي جاء أو ذكرت في آخر سورة القصص يأتي معنى سورة العنكبوت هذه السورة العظيمة سورة مكية موضوعها الأعظم تتحدث عن أمور العقيدة وتحدثت كما تحدثت سورة الشعراء والنمل والأنبياء وشيء من سورة الحج عن أحوال الأنبياء وكذا لكن هذه السورة ركزت على موضوع الإبتلاء.

فموضوعها يركز على موضوع الإبتلاء يعني تأتي بالقصص لكن من وجه الإبتلاء ومن الوسائل التي تعينك أخي الكريم وأختي الكريمة على فهم مراد السورة وموضوعها الأساسي مطالعة أولها وآخرها يعني تنظر إلى افتتاحية السورة وتنظر إلى خاتمتها.

بماذا افتتح سورة العنكبوت بقول الله جل وعلى{ الم{١} أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ{٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. }

وقال بعدها بآيات ولا يعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ، طيب بماذا اختتمت سورة العنكبوت اختتمت بقول الله جل وعلى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين.

وهذه اللام في قوله لمع هي لام المعية أي أن الله مع المحسنين ، إذا تأملت في سورة العنكبوت في إفتتاحيتها في خاتمتها وجدت أن الله عز وجل يؤكد على هذا المعنى معنى الإبتلاء وأنه سنة ماضية إلى قيام الساعة.

يبتلي الله عز وجل أهل الإيمان ويبتلي الأنبياء ليربط على قلوبهم ويجعل فيهم العبرة ليرفع درجاتهم ليكونوا مثال حي للدعاة من بعدهم والانبياء والعلماء.

الله يقول في بدايتها أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، يذكر حال الفتنة وأنها نازلة بالعبد أو بالمؤمن للأسباب التي ذكرنا ثم يذكر في خاتمتها المفتاح الذي يعين العبد على الصبر على هذه الإبتلاءات فيقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهذا المفتاح هو مفتاح المجاهدة.

والمجاهدة التي تقرن بالصبر وتقرن بحسن الظن بالله عز وجل وتقرن بحسن التوكل عليه سبحانه وتعالى فإن العبد لا محالة ينجوا بعد ذلك من ذلك الإبتلاء.

المؤمن إذا قرأ هذه السورة وجد أنها تؤكد معنى الصبر والإحتساب وأن أعظم ما يعين العبد على تحمل هذه الإبتلاءات هو الإيمان.

طيب نحن نعرف أن هذا يعين العبد على تحمل الصبر والمشاق لكنه سبحانه وتعالى ذكر في سورة العنكبوت أمثلة وذكر مفتاح عظيما يعين العبد على تحمل هذه الإبتلاءات.

إذا نزل بالعبد محنة فإنه يطيش عقله إذا نزلت به فتنة فإن العالم يعرف الفتنة إذا أقبلت ولكن العامة لا يعرفون الفتنة إلا إذا أدبرت لأن من وفقه الله للعلم خصوصا العلم بالله والعلم بكتاب الله ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يكون قدر الإمكان محصن ضد هذه الفتن والإبتلاءات والمحن.

يا أخوة وأنا أتحدث الآن معكم يأتي على بالي هذا الموضوع فأقول نحن كثير ما نتحدث كلاما نظريا على موضوع الإبتلاء كثير من الناس يقول نحن سنتعلم هذا الصبر وهذا يعني تحمل هذه الإبتلاءات فإذا نزل بي إن شاء الله سوف أصبر الموضوع ليس كذلك الموضوع إنما هو إيمان ينزل بالقلب ويخالط القلب وبه يستعد الإنسان إلى لو حدث هذا الأمر وهذا الكرب فإنه يكون مستعدا.

بمعنى آخر لا ينفع أن يأتي الإنسان إذا نزل به البلاء أن يتعلم أحكام الصبر على البلاء كلا إنما هو إيمان يخالط القلب فيجعل الله تعالى حال نزول البلاء والمصيبة تسلية للعبد لأنه كان مرتبطا بالله والذين اهتدوا زادهم هدى.

إن تنصروا الله يعني في أنفسكم ينصركم على عدوكم ينصركم على بلائكم ينصركم على أي عرض من عوارض الدنيا وهذا واضح جلي في هذه السورة.

وإذا تأملت فيها وجدت تعداد ذكر القرآن اتلوا ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة ، انظر قراءة القرآن الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن.

المجادلة تكون بالقرآن وبالسنة وبالعلم الشرعي وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون.

بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم قل إنما الآيات عند الله أولا يكفيهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فمن تأمل معاني هذا القرآن العظيم وفقه الله للصبر على البلاء وللنجاة من أسباب الفتن.

أسأل الله وإياكم أن ينجينا من الفتن وأن يعصمنا من ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبيه ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الواحد العشرون تاريخ الحلقة : ٢١ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد للحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على إمام المتقين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة واتم التسليم معاشر الأخوة والأخوات أرحب بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب.

وحديثنا اليوم عن الجزء الحادي والعشرين من كتاب الله الجزء الحادي والعشرين يضم بقيت سورة العنكبوت وسورة الروم ولقمان والسجدة وشيء من سورة الأحزاب.

تحدثنا في الحلقة الماضية عن سورة العنكبوت وعن مقصدها العظيم في ذكر أحوال الإبتلائات مع الأنبياء وآلية الصبر على ذلك ومفتاح الصبر على البلاء ونجاة من الفتن أنه بالإيمان بالله عز وجل و أن من أعظم وسائل تحقيق ذلك الإيمان هو كتاب الله وتدبره والعمل به.

ولذا جاء في وسطها ذكر الحديث عن القرآن مركزا اتلوا ما أوحي إليك من الكتاب وكذلك أوحينا إليك ، وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ومن جادل أن يجادل بالقرآن وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطوه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم.

فكل هذه الآيات جاءت لتدلل على وسيلة عظيمة لتحقيق الإيمان ألا وهو كتاب الرحمن جل وعلى ، طيب بعد سورة العنكبوت ماذا تأتينا.

تأتينا سورة الروم وهذه السورة سميت بأولئك الأقوام الذين يعني كانوا يعدون الروم والفرس من أقوى القوى العسكرية في ذلك الوقت.

وقد جاء الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم بغلبة الروم للفرس فقال سبحانه وتتعالى في مطلعها بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {الم{١} غُلِبَتِ الرُّومُ{٢} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ{٣} فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ{٤} بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.}

هذه السورة وهذه القصة التي في مطلع السورة تتحدث عن معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ربما يتسائل البعض هل هذا من علم الغيب يعني هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب في أن الروم سينتصرون أو سيغلبون الفرس ؟

كلا هذا ليس من علم الغيب بل هو من ما أوحى الله تعالى إليه وكما قال الله تعالى عن نبيه إن هو إلا وحي يوحى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فهذا ليس من علم الغيب الذي يدعي البعض للنبي صلى الله عليه وآله سلم.

يقول الله عز وجل غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعض غلبهم سيغلبون في بضع سنين ثم قال ويومئذ يفرح المؤمنون سبحان الله المعركة بين جهتين كافرتين بين الفرس والروم لماذا يفرح المؤمنون مع أنهم ليسوا هم المنتصرين الجواب على هذا بأمرين أن المؤمنون يفرحون لسببين اثنين.

الأول تحقيق وعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنا لما أقول لك أنا إن شاء الله أشعر أن هذا الإبن بعد سنوات سيكن طبيبا أو أنه سيكون عالما فلما يتحقق ذلك تفرح أنت ولو لم يكن لكن علاقة بذلك الصغير أو ذلك الإنسان.

فلما تراه قد تحقق فتسر وتفرح فهم فرحوا لأن وعد الله ورسوله قد تحقق ، الأمر الثاني الذي لأجله فرح المؤمنون أن الروم هم أهل كتاب وأن الفرس قوم مجوس يعبدون النار فلا شك أن أهل الكتاب أقرب إلى أهل الإيمان من المجوس الذين يعدون الشمس أو غيرهم من الوثنين.

ويومئذ يفرح المؤمنون ، عن أي شيء تتحدث سورة الروم ، سورة الروم أيها الأخوة تتحدث عن ذكر أحوال بعض الناس الذين ارتبطت هممهم بالحياة الدنيا ولذا أ صبحت هممهم دنيئة وتعلقهم بزخرفها ولذاتها وملذاتها ويعني ما ظهر لهم ولذا قال الله عز وجل يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهنا لنا وقفة.

قوله سبحانه وتعالى يعلمن ظاهرا من الحياة الدنيا ، طيب يعني يا ربي إذا ما يعلمون دعنا نقول لا يعلمون سرها وباطنها أو هل للدنيا باطن وظاهر نعم.

هم يعلمون ظاهرها يعلمون أسعار الأسهم يعلمون كيف يحصلون على أموالهم يعلمون كيف يتحصلون على أمور دنياهم بشكل عام أما أمور الآخرة التي هي المقصد الحقيقي من إيجادهم في هذه الدنيا وعبادة الله عز وجل فإنها تخفى عليهم ولذا يخفى على الكثير أن هذه الدنيا دار ممر لا دار مقر.

فهم يعلمون ظاهر ا من الحياة الدنيا ويتنافسون فيها ويغيب عنهم المعنى الخفي الباطن الذي هو المعنى الحقيقي أن هذه الدنيا دار ممر لا دار مقر.

من ايضا الآيات العظيمة في سورة الروم قوله جل وعلى وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ، يقول ربنا جل وعلى واصف حالة بني آدم أنهم إذا أصابهم الخير فرحوا وظنوا أن ذلك من تلقاء أنفسهم وإذا نزل بهم الضر أو نزل بهم كرب وعبر عنه سبحانه وتعالى بالسيئة بسبب ذنوبهم بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون.

وهذا ظاهر كثير في آيات القرآن خذ على سبيل المثال قول الله جل وعلى كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، وقوله جل وعلى وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون.

ويدلل على هذا المعنى قول الله {فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } ، طيب إكرام ونعيم كيف يكون إبتلاء نعم لأن الله يقول ونبلوكم بالشر والخير فتنة.

حتى الخير بالصحة والسعادة والمال والنجاح هي فتنة وبلاء ، {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } كيف قدر عليه رزقه يعني ضيق عليه رزقه كما قال الله ومن قدر عليه رزقه أي ضيق عليه رزقه.

فيقول ربي أهانن ، كلا أي كلا ليس كذلك ومن الآيات أيضا قول الله {فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. }

فسورة الروم أيضا جاء فيها هذا المعنى واضحا أن كثير من الناس يتعلق بأمور الدنيا ويرى الأمور على ظاهرها ، أيها الأكارم أهل الإيمان إذا نزلت بأحدهم كربة أو مصيبة أو نزلت بهم من عوارض الدنيا فإنهم لا ينظرون لها نظرا مجردا يعني لا ينظرون هذا بلاء هذا توفي ابنه هذا حدث له حادث سيارة أن ذلك مصيبة وأنه شر محض إنما ينظرون لها بتوازن أين هذا التوازن خذه من نبيك صلى الله عليه وسلم.

لما توفي ابنه ابراهيم عليه السلام ماذا صنع ؟

بكى صلى الله عليه وسلم ودمعت عينه وقال إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون يعني إن الإنسان بطبيعته يحزن وتدمع عينه وربما يتأثر فؤاده لكنه لا يتعدى ذلك إلى الجزع والتسخط على أوامر الله وأقداره.

فهم لا ينظرون لهذا نظرا مجردا بل هم يقولون لرحمة الله وعسى أن تكرهوا شيء وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيء وهو شر لكم ولا ينظرون إلى الدنيا على أن كلها خير ولا على أنها كلها شر إنما يأخذونها على أنها يتمتع فيها المتاع المعتدل المتوازن ويجعلوها زاد إلى الآخرة.

الكثير من الفوائد بانتظارنا بعد هذا الفاصل.

---

أيها الأحباب سورة الروم تليها سورة لقمان هل لقمان نبي بالمناسبة ؟

كثير من الناس يظن أن لقمان عليه السلام نبي يظنوا أن مريم عليها السلام أو سارة عليها السلام أو ام موسى عليهم السلام أنبياء وذكرنا أن الله عز وجل كما هو القول الراجح الذي يرجحه أهل العلم أن الله لم يبعث نبي من النساء إنما كان أنبياءه ورسله من الرجال كما قال سبحانه وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم لكن هل لقمان أو الخضر من الأنبياء.

الصواب أنهما ليسا نبيين ولقمان عليه السلام يعد رجلا صالحا رجلا حكيما سمى الله عز وجل سورة كاملة باسمه لسبب واحد وذلك السبب هو لعظيم الفوائد والحكم التي أوردها عليه السلام.

ابتدأ الله عز وجل سورة لقمان بقوله { الم{١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. }

هنا لنا وقفة مع هذه الآية القصيرة قوله جل وعلى تلك آيات الكتاب الحكيم بما أن السورة تتحدث عن العقيدة ومقصدها الأعظم إثبات العقيدة لله عز وجل ووحدانيته سبحانه وصرف العبادة له جل وعلى وذكر بعض المواقف أو الآداب التي جاءت من هذا الرجل الحكيم.

فالله عز وجل يسبق هذه الآداب بالتنبيه على أن أحكم الحاكمين هو الله جل و على وأنه سبحانه وتعالى قد جاء في كل آياته العظة والعبرة وجمالية أو أعظم جمالية الحكمة.

فمفردات الحكمة كلها تجدها في هذا الكتاب العظيم ، تليها ما يأتي في سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم يليها ما يأتي عن الحكماء أو عن عقلاء الناس وأصحاب العقول الراجحة فهو يدلل سبحانه في بداية مطلع هذه السورة على أن الحكمة البالغة هي لله جل وعلى وأن كتابه هو الذي يحوي تلك الأحكام العظيمة.

قال سبحانه وتعالى تلك آيات الكتاب الحكيم لماذا لم يقل تلك آيات الكتاب العظيم أو المبين ، تلك آيات الكتاب المبين ، قال أهل العلم لتناسب لفظ الحكيم أو تناسب مسمى الحكيم ، اسم الحكيم لله جل وعلى مع الحكم التي ستورد في هذه السورة.

يقول الله عز وجل على لسان لقمان لابنه وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني هنا فائدتان الأولى حرص الوالد على ولده فلو تأملنا لوجدنا أن كثير من الناس أو جزء كبير حقيقة من الناس ليس له علاقة بابنه أو بابنته فهو لا يتحدث معهم إلا في أمور الدين وربما لا يتحدث البتة من أعظم ما يوفق الله به الوالد أو الوالدة أو ولي الأمر أن يتحدث وأن يكون مع ابنه أو ابنته وأن يكون بينهما كما يقال خط ساخن أن تمد بينهما الجسور للحديث عن أمورهم الخاصة مشاكلهم.

لقمان يأتي ويعظ ابنه لأهمية التواصل بين الأب والإبن ، قال لابنه وهو يعظه فليس كل ما يدور بين الأب والإبن والمربي والطالب هو عبارة عن أوامر أو تنفيذ متطلبات أو طلبات كلا تأتي الموعظة تأتي النصيحة يأتي المدح والثناء وهذا ظاهر في كتاب الله وفي سنة رسول الله في تعامله مع أصحابه ومن يعني تعاملوا معه بل ويقرره علماء التربية اليوم أن أهمية التوازن في إلقاء المعلومة حتى في النصيحة ما بين الإبتسامة ما بين الحديث يعني الذي يكون فيه شيء من الوعظ أو النصيحة أو أحيانا التشديد.

وأيضا لا يغفل جانب الرحمة جانب التشريع جانب الحث على المثابرة وغير ذلك فهذه الفائدة الثانية ويعظه ، الفائدة الثالثة استنبط من قوله لابنه يا بني وهذا فيه استلطاف واستعطاف يا بني يعني هو ممكن يقول اسمع فلان لا تفعل كذا أو افعل كذا لكن منادات الإبن باسمه أو بتكنيته وقد جاء هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يسمي الصغار يا أبا عمير ما فعل النغير يعني ما فعل طائرك الصير الذي مات.

فكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم هذه الأداب الرفيعة والحقيقة أنها تكسب الشاب تكسب الطفل الصغير أيضا ثقة بنفسه ومحبة للآخرين وتجعله أيضا يتقبل النصيحة من الطرف الآخر.

انظر أعظم موعظة الآن سيبدأ بها { لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } لو وقفنا مع هذه الأحكام وهذه الوصايا العشر والله لن ننتهي لكنه بدا بأعظم وصية بدأه بأهمية التوحيد والتحذير من الشرك ربما يسمع هذا الكلام الآن شخص يسكن في بيت كله من أهل القرآن وليس لديه من الشركيات ليس لديه طواف بالقبور ليس لديهم توسل بالأنبياء ليس لديهم من هذه الأمور الشركية البتة.

فيقول هذه نحن إذا الحمد لله تجاوزناها كلا من أعظم ما يدعوا الإنسان به إلى ربه توحيد الله وتعظيمه في القلوب فتعظيم الله عز وجل نوع من أنواع التوحيد ، تعويد النفس على دعاء الله على التضرع لله على التوكل على الله جل وعلى على تفويض الأمر له سبحانه وتعالى.

على جعل التعلق بالناس وبالمخلوقين على أنه سبب لكن أن يأتي إنسان ويصرف كل طاقته وهمه إلى بشر من البشر فإن لم يقف معي فلان فلن أتوقف وإن لم يساعدني فلان ويتوسط لي فلن أحصل على هذه الرتبة أو أقبل في هذه الجامعة أو لن يحصل لي هذا الرزق.

أليس هذا من ما يخدش جناب التوحيد ، أليس من دعاء ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الأصنام يعني وذريتي أن نعبد الأصنام مع أنه صلى الله عليه وسلم من بنى البيت والكعبة وأقامها عليه السلام.

يعني إنسان هذا شعوره ويبني جناب التوحيد ويحميه وهو خليل الله كيف يذهب ذهنه إلى موضوع شرك وموضع عبادة أصنام لأن الإنسان لا يخشى على نفسه وكان من حكم عدم تعليق صور ذوات الروح والمجسمات حتى لا يستجر الشيطان الإنسان لعبادتها.

يا أخي أنا معقول أعبد صنم هذه الصورة حكى الله عز وجل في قصة نوح أولئك الأقوام الصالحين الذين لما ماتوا عظموهم أقوامهم وعبدوهم وقالوا لا تذرون ود ولا سواع ولا يغوث ويعوقهم وقد أضلوا كثيرا.

فهو يؤكد عليه يا جماعة هذا المعنى وهو يا بني لا تشرك بالله ، اليوم التشبه بالغرب التشبه ببعض المنافقين الإعجاب المتناهي بالحضارة الغربية الزائفة التي ليست مبنية على أصول شرعية هذا أيضا لا شك أنه من ما يخدش الإعتزاز بالهوية الإسلامية.

أما أن يعجب الإنسان بما عند الغرب من ما هو أصلا موجود في شريعتنا أو من ما يندب إليه في أخلاقنا الإسلامية ولكن للأسف تخلى عنه أهل الإسلام فلا مانع أو أن يعجب بحضرتهم على الوقت أو بإلتزامهم بالآداب أو بالإلتزامهم بحال السير أو بغير ذلك فله ذلك لكن أن لا يصل حد الإعجاب المبالغ فيه الذي به ربما احتقر إسلامه ودينه.

يقول بعد ذلك أوصاه بوصية عظيمة وهي بر الوالدين ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهن يعني ضعف على ضعف وفصاله أي فطامه على عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير انظر كيف يقرن حقه بحقهما سبحانه وتعالى.

هذه السورة العظيمة الحقيقة حري بالأم بالوالد بالوادة بالمربين أن يقرأوا تفسيرها ولو تفسير ميسر على أبنائهما وأن يقرأوها هم أولا ثم يريدوها بأسلوبهما.

يلي سورة لقمان سورة السجدة وهي أيضا سورة عظيمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في فجر الجمعة لما فيها من بدأ الخلق وتذكير العباد بميعادهم ونشورهم ثم يليها سورة أيضا الأحزاب سنجلئ الأحزاب لحديثنا في الجزء الثاني والعشرين.

إسأل الله جل وعلى أن يجعل ما استمعناه وقلناه حجة لنا لا علينا والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثاني والعشرين التاريخ: ٢٠١١\٨\٢٢**

السلام عليكم و رحمة الله وبركاته أيها الإخوة والأخوات مرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب، والذي يأتيكم على هذه القناة المباركة، وحديثنا اليوم سيكون عن الجزء الثاني والعشرين من كتاب الله،الجزء الثاني والعشرون يحوي آخر سورة الأحزاب وسورة سبأ وسورة فاطر، وقسم أيضا أو جزء من سورة يس، سورة الأحزاب هي سورة مدينة تناولت الجانب التشريعي للأمة يعني ذكر الله عزّ وجل فيها ثلاث أمور أو كان هدف السورة ذكر ثلاثة أمور، الأمر الأول، ذكر التوجيهات و الآداب الإسلامية، أما الهدف الثاني فكان الأحكام والتوجيهات التشريعية، أي الأحكام التي نزل فيها نص إما بالتحليل أو بالتحريم أو بالندب، الهدف الثالث كان يركز على الأحكام أو الحديث عن غزوتي الأحزاب أو بني قريضة، تلك المعركتين، التين خاضها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأولى مع الأحزاب الذين تحزبوا من المشركين وبعض اليهود لقتاله صلى الله عليه وسلم والمعركة الثانية التي هي معركة بني قريضة وهي فئة أو قبيلة من قبائل اليهود التي كانت في المدينة.

إذا موضوع السورة كان يتلخص بثلاثة أمور، الحديث الأول كما ذكرنا التوجيهات والآداب الإسلامية، لو أتينا إلى هذه السورة سورة الأحزاب لوجدنا أن هذا الهدف كان واضح في التأكيد على الآداب الإسلامية والتوجيهات الشرعية، خذ على سبيل المثال قول الله جلّ وعلا في أمر نبيه عليه السلام، بتقوى الله وهذا أيضا ظاهر بين في بداية السورة، يقول ربنا جلّ وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً }الأحزاب١ وفيها أيضا شيء من الآداب الإسلامية وهو من أعظم ما يوفق الله تعالى للعبد وهو حسن الظن بالله والتوكيل عليه، فيقول ربنا آمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالتوكل عليه، {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً }الأحزاب٣ جاء أيضا من معاني أو الآداب الشرعية والأحكام والتوجيهات التي جاءت في هذه السورة، حكم التبني وهذا أيضا جاء في قول الله عزّ وجل {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ }الأحزاب٤ هنا أيضا حكم آخر وهو حكم الظهار، أما حكم التبني فجاء في قوله سبحانه { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ }الأحزاب٤ {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ }الأحزاب٥ هذا شيء من الآداب الإسلامية التي جاءت في هذه السورة العظيمة أما القسم الثاني فكان مركز على الأحكام والتوجيهات الشرعية، ما هي الأحكام والتوجيهات التي جاءت في هذه السورة في سورة الأحزاب، خذ على سبيل المثال، آيات فرض الحجاب، آيات الإستئذان، جائت آيات الحجاب في عدّة آيات من آيات هذه السورة العظيمة منها قول ربنا جلّ وعلا، {يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً }الأحزاب٣٢ {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }الأحزاب٣٣ وجاء أيضا قوله سبحانه وتعالى، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }الأحزاب٥٩

أما الحديث عن القسم الثالث الذي تركزت عليه السورة، فهو الحديث عن غزوة الأحزاب وبني قريضة وهذا كان ظاهر في أول السورة بقول الله جلّ وعلا، يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريح وجنود لم تروها وكان الله بما تعملون بصير، إذ جاء من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجز وتظنون بالله الظنون.

هذا الوصف العظيم كان وصف دقيق بليغ لحال أولائك المؤمنين أو أولائك المؤمنون بمعركة وغزوة الأحزاب، من الآيات التي جاءت في ذكر أو جاءت في معرض سورة الأحزاب وتحديدا في هذا الجزء أو الجزء الذي قبله، الحث على إتباع هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتركيز على هذا المعنى بقول الله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }الأحزاب٢١ وهذا يعطيك إشارة إلى أن كثير من هذه الآداب الإسلامية والتوجيهات الشرعية والأحكام التشريعية التي نزلت من عند الله جلّ وعلا، كآيات فرض الحجاب أو الأمر بالإستئذان عند الدخول على بيت المسلمين أو حتى الدخول على بيوت بيت الإنسان نفسه أو على أهله كانت هذه من المعاني العظيمة التي جاء الإسلام بتحقيقها وجاءت الشريعة بالحث عليها، لكن بعضها لم يكن مألوف عند أولائك القوم، لم يكن مألوف عند صحابة رسول الله عليه السلام، فهذه الأمور تحتاج اولا من العبد تمام اليقين، ليعلم أنه أمر من عند الله فيستجيب له.

الثاني يحتاج منه أيضا التسليم والإستجابة {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ }الأحزاب٣٦ إذا نزل الأمر أو جاء سواء كان أمر واجب بأمر واجب أو بترك محرم فلا يملك العبد المؤمن حينها إلا التسليم والإستجابة التامة لأوامر الله جلّ وعلا.

آيات فرض الحجاب كانت أيضا تكون ثقيلة على ضعاف النفوس، لكنها كانت سهلة يسيرة على صحابة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، بل جاء ما هو أعظم من موضوع الحجاب للنساء، جاء موضوع تحريم الخمر والميسر مع أنها كانت يعني من الأشياء المعتادة عند العرب، لكنها عندما كما ذكر الرواي عندما نزل إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجز من عمل الشيطان فإجتنبوه، لعلكم تفلحون، قال فأراق كل واحد منهم ما كان عندهم من كؤوس الخمر حتى جرت بها سكك المدينة، فالله أكبر يعني مسارعة ومسابقة وإستجابة تامة لأوامر الله ولذا يحث الله عزّ وجل على هذا المعنى العظيم بقوله، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

إن رسولكم عليه السلام لما جاءته أوامر الله إنصاع إليها تمام الإنصياع وإنقاد إليها وإستسلم لها، أليس هذا من معاني الإسلام، إذا سألنا ما هو الإسلام، يعني ما تعريف الإسلام، فإنه إستسلام لله والإنقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، فهذا هو معنى الإسلام أن يسلم العبد نفسه لله ولأوامر جل وعلا.

من ما أيضا يلي سورة الأحزاب سورة سبأ وهي سورة مكية وهي أحد السور التي إبتدأت أو إبتدأت بالقول بالحمد لله عزّ وجل، بالحمد لله جلّ وعلا.

عند يعني لو تأملت لوجدت سورة الفاتحة الأنعام الكهف سبأ فاطر، هي خمس سور إفتتحها الله عزّ وجل بالحمد لله، أو بالحمد لله، هذه السورة العظيمة سورة سبأ تحدثت عن قضية هامة وعظيمة هي إنكار المشركين للقيامة وللآخرة وللبعث والنشور، وتناولت هذه السورة قصة عظيمة هي قصة نبيين من أنبياء الله عزّ وجل وهم داوود وسليمان عليهما لسلام وما سخره الله عزّ وجل من الريح وفي قصة عجيبة أيضا لسليمان عليه السلام مع ملكة اليمن، كل هذا أيضا وتفاصيله سنستمع إليه ونقرأه بإذن الله ونقرأ آياته بعد هذا الفاصل.

أيها الأكارم، سورة الأحزاب أيضا تناولت بعض شبهات المشركين حول رسالة نبي الله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء فيها الرد والقاطع واليقين الجازم لبيان صدق الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وكان في هذه الآية وفي هذه السورة آيات ظاهرة ناقشت العقلية لبيان بطلان ما كان عليه ذلك المشركون، ثم ختمت هذه السورة، سورة سبأ بالحديث عن مشاهد من مشاهد يوم القيامة وعذاب أولائك الأقوام الذين لم يستجيبوا لرسالة أنبيائهم.

سورة سبأ سميت على قوم سبأ لذكر قصّتهم في هذه السورة، وهم قوم باليمن منّ الله عزّ وجل عليهم بجنتين عظيمتين لكنهم لم يعني يشكروا هذه النعمة فأعرضوا عنها فذكر الله عزّ وجل أنه أحل بهم عذاب شديد وهو من أنواع العذاب وهو إرسال سيل ووصفه بالعرم، {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ }سبأ١٦ فجازاهم الله عزّ وجل بما كفروا كما قال: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ }سبأ١٧

من الآيات العظيمة التي ستمر معنا في سورة سبأ قول الله عزّ وجل فلما قضينا عليه الموت، ما دل على موته إلا دابة الأرض تأكل من سأته، والمقصود بقوله سبحانه وتعالى تأكل من سأته، أي تأكل من عصاته، وكان هذا من معجزات الله عزّ وجل التي أراد بها يعني عدم معرفة الجن بالغيب وعدم علمهم بالغيب، من الآيات أيضا قول الله عزّ وجل {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }سبأ٢٠ وهذا أيضا يعطيك دلالة على أن كثير من المسلمين وكثير من البشر أطاعوا إبليس الرجيم واتبعوا خطواته والله عزّ وجل أمرنا بإتخاذ إبليس عدو، فقال سبحانه كما في سورة فاطر، إن الشيطان لكم عدو فإتخذه عدو، لكن إبليس الرجيم لما صدّق ظنه على أولائك البشر صدقوه واتبعوا سبيله، مع علم بعضهم يعلم أن ذلك الشيطان إنما يأزه للمعاصي والفجور لكنها حينما تغيب الحقيقة عن القلب، أو مواطأت القلب لما في الذهن أو العقل، فإن العبد وللأسف يخوض معركة عظيمة مع إبليس الرجيم وربما إستطاع له ولكثير من أوامره، إلا من عصمه الله جل وعلا.

يلي سورة سبأ سورة فاطر، التي إفتتحها الله عزّ وجل أيضا بالحمد له سبحانه وتعاله بقوله، {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }فاطر١ هذه السورة العظيمة سورة فاطر، تحدثت عن نشأة الخلق وعن إبداع الخالق جل وعلا في صنيع خلقه في عباده ومخلوقاته، أيضا جاء فيها ذكر البراهين العظيمة على إقامة، على البعث والنشور، وكل هذه الآيات أيها الإخوة خصوصا أنها سورة مكية تتميز بالذكر يعني البعث والنشور، ذكر اليوم الآخر، ذكر قصص الأنبياء، ذكر آيات الوعظ وآيات الوعد والوعيد، تلاحظون هذا متركز وهو من خصائص السور المكية.

فهي أيضا هذه السورة تندرج أيضا تحت السور المكية ولذا جاءت فيها هذه المعاني أو هذه الرسائل ظاهرة بينة، كلها تريد تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والرد على شبه أولائك المشركون ومن أعظم ما يرد به رب العالمين جل وعلا هو مناقشتهم في بدء الخلق، كيف خلق الله عزّ وجل المخلوقات، كيف خلق بنو آدم، إبداعه سبحانه وتعالى في صنيعه في مخلوقاته في الأرض في المساء في الهواء في النبات في السحاب في غيره أو غيرها من المخلوقات، في هذه السورة العظيمة أيضا جاء ذكرها في ثلاثة أصناف، قال ربنا جلّ وعلا واصف أولائك الأصناف الثلاثة: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }فاطر٣٢ يقول ربنا أن كثير من الناس هم أحد أصناف ثلاثة، الصنف الأول هم الظالمون لأنفسهم وهذا للأسف حال كثير من الناس بدليل القرآن كما قال ربنا، وقليل من عبادي الشكور، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وكثير من الناس وللأسف قد ظلم نفسه بمقارفة الذنوب، بعصيان رب العباد جلّ وعلا لذا قال ربنا إن الله لا يظلم الناس شيء، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، يظلمون أنفسهم بإرتكاب هذه المحظورات وتلك المعاصي والموبقات، فلذا وصفهم الله بإرتكاب أعظم الظلم وهو ظلم النفسو الصنف الثالث أو الثاني هم المقتصدون فمنهم ظالم لنفسه ومنهم متقصد، المقتصد هو الإنسان الذي ربما يقتصد على الواجبات، ربما يحصل له أحيانا بعض القصور، لكنه ليس من الناس الذين يعني من أهل المبادرة بأهل الطاعة والمسابقة وليس من العصاة تماما لكنهم قوم وسط بين ذلك.

أما الصنف الثالث فهم السابقون للخيرات، ومنهم سابق للخيرات بإذن الله، السابق للخيرات هو يمتثل قول الله، سارعوا إلى مغفرة من ربكم وسارعوا إلى مغفرة من ربكم سابقوا إلى مغفرة من ربكم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فإستبقوا الخيرات، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن كل هذه المعاني تنطبق على السابق بالخيرات الذي يبادر لفعل الواجبات وترك المحرمات وفعل المندوبات والمستحبات من نوافل الأعمال ولذا تراه دائما مبارد إلى فعل تلك الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عزّ وجل يفعل الواجبات لأنها أحب شيء إفترضه الله عزّ وجل وهي من أعظم ما يتقرب به العبد أن هي تلك الواجبات، أما النوافل فإنها من وسائل حصول المحبة من الله جلّ وعلا، من أسباب حصول المحبة للعبد من الله جلّ وعلا، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.

قال سبحانه في الحديث القدسي فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولإن إستعاذني لأعيذنه، فالله اسأله أن يجعلني وإياكم من السابقين للخيرات، في سورة الأحزاب أيها الإخوة ربما يرد أو ترد آية أو يشكل فهمها على بعض الناس وهي قول الله { وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ }الأحزاب٥٠ لماذا لم يقل لله و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك، يا محمد أو لك، قال أهل العلم أن جواب في ذلك حتى لا يتوهم أمه يجوز للمرأة أن تهب نفسها لعموم الناس، لكن ذلك خاص للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك خصه به رب العالمين وذكر هذه اللغظ بقوله إن وهبت نفسها للنبي حتى لا يتوهم غيره أنه يجوز له ذلك.

من الفوائد أيضا قول الله عزّ وجل يا أيها النبي في أول السورة، يا أيها النبي إتق الله، هل يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم هل هو عاص حاشاه عليه الصلاة والسلام حتى يقال له إتق الله.

هذا من الأمر بزيادة التقوى كما قال ربنا يا أيها الذين آمنوا آمنوا، والذين إهتدوا زادهم هدى.

فالله عزّ وجل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالترقي في درجات التقوى وهذا خطاب له ولمن بعده.

لماذا قال لله يا أيها النبي وفي آية أخرى، يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك، طيب في سورة هود يقول الله، قلنا يا نوح إهبط بسلام وفي هود أو في أيضا في سورة الأعراف يقول الله، يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، وفي الصافات يقول لإبراهيم عليه السلام، يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا، لماذا ينادي الأنبياء بأسمائهم ولا ينادي الحبيب محمد بإسمه إنما يكنّيه، إنما يصفه بالنبي والرسول، يا أيها الرسول، يا أيها النبي، هذا تفخيم لشأن المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، تعظيم لمقامه، إشارة لأنه سيد الأولين والآخرين وإمام الأنبياء والمتقين.

فيه الأمر بالتأدب أو الحث على التأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالموفق من وفقه الله لمثل هذا.

بهذا أيها الإخوة نكون قد مررنا سريعا على ما في هذا الجزء الثاني والعشرين من كتاب الله، بقيت الجزء هي سورة يس، سنرجعها للحديث أو للحديث في الحلقة القادمة، أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خلاصة الحلقة: يبين الشيخ ما جاء من آيات وعبر في الجزء الثاني والعشرين من سورة الأحزاب وسبأ وغيرها من السور، كما يرجئ الحديث عن سورة يس للحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثالث والعشرين من القرآن...أواخر سورة يس وسورة الصافات وسورة ص وشيء من سورة الزمر( تاريخ الحلقة : ٢٢ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، معاشر الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لقاء جديد يجمعنا بكم في برنامجكم ربيع القلوب ، ومحور حديثنا عن الجزء الثالث والعشرين من كتاب الله ، هذا الجزء الذي يحوي أواخر سورة يس وسورة الصافات وسورة ص وشيء من سورة الزمر.

سورة يس افتتحها الله عز وجل بأيضاً حرف من الحروف المقطّعة وهو قوله سبحانه وتعالى : {يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{ ٢} ، مثل قوله سبحانه : {ص } ، {حم } ، {الم } ، {كهيعص.... }

والجواب على تفسير هذه المعاني أو الحروف المقطّعة أن الله أعلم بمرادها جل وعلا ، قال بعضه أن هذا اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينادى به ولكن الصواب أن يقال أن هذه الحروف حروف مقطعّة الله تعالى أعلم بمرادها.

سورة يس هي من السور المكية تناولت ثلاثة مواضيع رئيسية : هي الإيمان بالبعث والنشور ، قصة أهل القرية التي بعث الله لها رجلاً صالحاً لدعوتهم ، والمحور الثالث الأدلة والبراهين على وحدانية الله جل وعلا ولذا هذه السورة العظيمة سورةٌ جاء في فضلها بعض الآثار أن قراءتها على من حضرت وفاته أمرٌ مندوب له ويستشفع بها عند الله جل وعلا.

فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اقرؤوا يس على موتاكم " ، واختار سماحة الشيخ محمد ابن العثيمين أن المقصود بالقراءة ليس القراءة بعد وفاة الميت إنما من حضرته الوفاة فان فيها تخفيفاً ورجاءً وتعظيماً لشأن الواحد الأحد لعل من قرئت عليه أن يختم له بخير.

هذه السورة العظيمة قال الله جل وعلا في مطلعها بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

}يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{٣} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{٤} تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ{٥} لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ {٦} لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ{٧} إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ{٨} وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ. {

يقسم الله جل وعلا بالقرآن الكريم {يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{٣} ، وهذا من إثبات نبوة الحبيب صلى الله عليه وسلم بعدما اعترض له أولئك الكفّار والمشركون تكذيباً واستهزاءً وسخريةً ، فالله عز وجل يبرّئ ساحته ويقول : { إِنَّكَ } ، يا محمد { لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{٣} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{٤}. {

في مطلع هذه السورة يقول ربنا : {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ } ، بماذا تذكرّكم هذه الآية ؟.

إنها تعيدنا إلى الوراء تذكّرنا بحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهجرته من مكة حيث أناب عليً لينام في فراشه وخرج أمام كفّار قريش وهم عند عتبة منزله ثم خرج وقد جعل الله عز وجل غشاءً على أعين أولئك المشركين فمر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية وقد حث على رأس كل احدٍ منهم تراباً دليلاً على مهانتهم وضعف بضاعتهم وعظيم خسارتهم لأنهم حاربوا الله ورسوله حاربوا تلك الرسالة العظيمة.

بعض الناس للأسف ربما لا يكون صاداً عن سبيل الله بكلام بكفر والعياذ الله أو بشركٍ أو نفاق لكنه ربما صدّ عن سبيل الله وهو مسلم لكن يصدّ عن سبيل الله بلسانه ، تجد البعض أحياناً يمنع ابنه من الالتحاق مثلاً بحلقات تحفيظ القرآن ، تجده يمتنع عن رفقته للصالحين عن رفقة ابنه للصالحين ، ربما أيضاً الوالدة أحياناً تمنع الابنة عن مثلاً التفقه في الدين أو تمنعها من الالتزام بأوامر الله.

نعم نحن نمنعها من التزمت أو من التشدد الذي هو مبالغ فيه الذي هو الغلو ، ولكن أيضاً يجب أن نمنعها أو نمنع هذا الشاب ونمنع أنفسنا من أيضاً الجفاء وهو التقصير ، إنما المطلوب هو الالتزام والاستقامة على منهج الله " قل آمنت بالله ثم استقم " ، {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ. }

فربما يصد إنسان أحياناً عن سبيل الله عز وجل فأولئك فيهم شبه من أولئك الذين استكبروا عن قبول الرسالة ، وليس الإنسان ربما أحياناً أيها الإخوة والأخوات لا يصد عن ذلك أو يمنع ابناً له أو ابنة له بأنه لا يحب الدين أو بأنه يكره المتصفين بهذا الدين كلا...

لكن ربما تغيب عنه معلومة أو يكون قد وصله فهمٌ مغلوط مثلاً يعني الالتزام أو الاستقامة أو شيء من ذلك فعليه أن يصحح هذا ولا ينسب الأخطاء والسلبيات والتقصير لذات الدين إنما هو ان وقع خطأ من الناس أو ممن تمسك بالدين فذاك يعني راجعٌ إليهم أو لأفرادهم وأعيانهم لا إلى ذات الدين.

سورة يس أيضاً وردت فيها قصة عظيمة قصة مثال رائع في الدعوة إلى الله وهي قصة ذلك الرجل الداعية المؤمن الذي اسمه حبيب النجار رجلٌ جاء من أقصى المدينة كما قال الله : {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى.}

انظر جاء من آخر المدينة وجاء وهو متعب وجاء لا يريد جزاءً ولا شكوراً إنما يريد أن يدعو قومه لطاعة الواحد الأحد { قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } {اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ } {وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. }

ماذا فعل قومه بعد ذلك ؟ ، هل أطاعوه ؟ ، يعني هل استجابوا ؟ ، هل قالوا والله نريد ان نفكّر ؟ ، لا مباشرة انظر الحرمان ، انظر الخذلان أتوا إليه مباشرة وقتلوه.

فلما دخل الجنة يعني مات ودخل الجنة ، ماذا قال ؟ ، يعني هذا يدلك على صدق الطوية وصلاح السريرة إذا وفّق الداعية و وفّق العبد للحصول على هذه النعمة العظيمة وصلاح نيته فيما يريد فانه يأتيه جزاءه سواءً حصل مقصوده أو لم يحصل يعني سواءً استجاب الناس أو لم يستجيبوا.

يقول ابن عباس في لطيفةٍ عن هذه الآية لما ذكر الله عز وجل قوله عن ذلك العبد المؤمن في الجنة لما مات ودخل الجنة أو لما قتل ودخل الجنة ، قال : {إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ } {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ } {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ. }

يقول ابن عباس عندما قرأ هذه الآية ، قال : وعظ قومه أو نصح قومه حياً وميتاً ، يقول لهم وهو في الجنة يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ، وهذا من تمام الصدق والإصلاح والإحسان للنية ، فان العبد كما أسلفت يجازيه الله عز وجل على مجرد دعوته ان أحسن قصده وسواءً حصل مقصوده من استجابة قومه أو من نصحه ، وان لم تحصل فيعني أجره ثابت عند الله.

يلي سورة يس سورة الصافات وهي سورة عظيمة وصفها الله عز وجل أو سمّاها بالصافات وهم الملائكة الصافّون تسبيحاً لله عز وجل كما جاء في ذكر هذه السورة في قول الله عز وجل : {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ } {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ. }

في دلالة على وصف أولئك الملائكة الذين يعني وصفهم الله بأنهم صافون لعبادة الله عز وجل يسبّحون الله بالليل والنهار لا يفترون.

هذه السورة تحدّثت عن الملائكة ، تحدّثت عن الجن وتعرضهم ورجمهم بالشهب والثاقبة ، أيضاً تؤكد على العقيدة الإيمانية ، ترسّخ معنى البعث والنشور ، تذكر قصةً للمؤمن والكافر والحوار الذي دار بينهما في الدنيا وما حصل من لإضلال لذلك الصاحب كله بسبب صاحبه وما ذكر له بعد أن لاقاه أو التقيا بعد أن دخل ذلك الرجل الصالح الجنة ورأى صاحبه الذي كاد أن يضله في النار ، ماذا دار بينهما ؟ ، ماذا قال له ؟.....

كل هذا سنستمع له ان شاء الله بعد هذا الفاصل ؟.

)فاصل إعلاني. (

---

أيها الأكارم الصاحب ساحب كما يقولون وكثيرٌ من الناس ربما أضله الشيطان الإنسي بإعانة من الشيطان الجني أو العكس ، فيقص الله جل وعلا علينا قصة رجل كاد صاحبه أن يضله فلم يستجب لدعواته فمات الاثنين فدخل أحدهما الجنة ورأى صاحبه في النار ، فدار بينهما حديثٌ يعني يأخذ بالألباب ويأسر العقول والقلوب.

هذه الآيات العظيمة التي يوصلها الله عز وجل كرسائل لأولئك الأقوام الذين لم يفهموا مراد الله من إنزال كتابه وإرسال رسله ، الذين لم يستجيبوا لأوامر الله جل وعلا ورسوله عليه الصلاة والسلام.

فيقص الله عز وجل هذه القصة حتى يعتبر الناس ويتعظوا ، اسمع ماذا قال ربك ..... {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ } ، يقول قبلها أي في الجنة : { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ{٥٠} قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ{٥١} يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ{٥٢} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ{٥٣} قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ{٥٤} فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ{٥٥} قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ{٥٦} وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ{٥٧} أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ{٥٨} إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ { ٥٩. }

هذه قصة رائعة تدلك على توفيق الله عز وجل لبعض عباده حينما يلتزموا الصحبة الصالحة ، حينما يصاحبوا إخواناً لهم في الله وكذلك الفتيات أو النساء عامةً حينما يصاحبن أخواتن لهن في الله أولئك أقوام اجتمعوا على حب الله والنصح لله ولرسوله ، ولذا كاد هذا الرجل ان يستجيب لصاحبه الذي وسوس له بالمعصية وبالخسران.

فقال : { قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ } يعني لم يبقى شيء إلا شيئاً يسيراً وكدت أن أستجيب لك لكن الله بفضله ومنته ورحمته اصطفاني ولم أستجب لك واستجبت لأوامره والتحقت بصحبةٍ صالحةٍ تعينني على الخير.

ويدلك قوله جل وعلا : { وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } أن العبد إذا وفّق للصحبة الصالحة وفق للصاحب الطيب أن ذلك من أعظم النعم التي تدله على الخير.

يلي طبعاً هذه الآيات ذكر قصص بعض الأنبياء كقصة نوح عليه السلام أو ذكر نوحٍ في دعوته لقومه ، لكن القصة التي تليها هي القصة الأطول وهي القصة التي لم ترد إلا في هذه السورة وهي قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل الذبيح ، وقصتهما قصةٌ عجيبة تدلك على موضوع الاستجابة لأوامر الله والانقياد له جل وعلا.

فالله عز وجل كما تعلمون قد ابتلى إبراهيم عليه السلام بعدم الإنجاب فجاءه إسماعيل بعد طول انتظار وكان أتاه على كبر ، وبعد تلك الأحوال والسنوات التي كان ينتظر فيها إبراهيم عليه السلام أراد الله عز وجل أن يخلّي قلبه إلا من محبته يعني ما أراد سبحانه وتعالى من خليله إبراهيم عليه السلام أن يكون أحدٌ يعني في قلبه سوا رب العالمين جل وعلا.

وأراد بعد ذلك أن يخليه من أعراض الدنيا أو من زينتها أو من زخرفها سواءً كان من أموال أو أولاد أو تجارات أو غير ذلك ، فأراد أن يبتلي إبراهيم عليه السلام ليرفع درجته فأراه رؤية في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل.

جاء إبراهيم عليه السلام لابنه وقد قص عليه الرؤية { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } ، يعني لم يقل له والله تعال أريد أن أذبحك ، ماذا تشير علي أنت يا إسماعيل ؟ ، ماذا ترى ؟.

وهنا تظهر أثر التربية الصالحة والنبتة الطيبة حينما ربّي إسماعيل على ما ربّى رب العالمين عليه إبراهيم عليه السلام فانه لم يحدث منه إلا الاستجابة التامة والانقياد الخالص لأمر الله { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ. }

وأيضاً جاء فيها يعني صدقه وهذا يتضّح حتى من مفردة إسماعيل عليه السلام ، { قَالَ يَا أَبَتِ } ، انظر يلاطفه بأجمل العبارات { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ } ، فانه أمر من عند الله { سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } وهذا من الاستعانة.

لما وافق صدق إبراهيم وصدق إسماعيل وأرادوا تنفيذ ذلك الأمر من عند الله عز وجل ، قال الله : { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } أي جعله أرضاً ليذبحه عليه السلام ، { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ } ناداه الله { قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا } ، نحن لا نريدك أن تذبح ابنك لأن هذا ليس من الشرائع ولم يأتي به أحدٌ من قبلك لكن أردنا امتحانك يا إبراهيم ، { قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{١٠٥} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ{١٠٦} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. }

لما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل أنزل الله عز وجل مكانه كبشاً ففداه أراد أن يذبح ابنه إسماعيل استجابةً أمر الله فأنزل الله ذلك الكبش فذبحه امتحانٌ من الله عز وجل لذلك الخليل الذي جاء بالتوحيد حتى كما ذكرنا يصفّي ويخلّي قلبه وينقيّه من كل شوائب الدنيا حتى لا يتعلق بولدٍ أو مالٍ أو وظيفةٍ أو منصبٍ أو جاه ، ولكن ذلك يكون من الأسباب والمفاتيح التي تعين الإنسان على بلوغ الآخرة أي لا مانع الإنسان يتزود من الدنيا لكن أن يتخذها دار ممر لا دار مقر.

تختم هذه السورة العظيمة ببيان نصرة الله لأنبيائه كلوط عليه السلام ، ويونس عليه السلام ، موسى وهارون ، إلياس عليه السلام ، كل هذا أيضاً يكون حقيقة كان ظاهراً في آخر سورة الصافات.

ولذل قال في ختامها جل وعلا : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ{١٧١} إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ{١٧٢} وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ{ ١٧٣. }

طيب إذاً انتهت سورة الصافات تأتينا سورة ص وهي أيضاً من السور التي سميّت بالحروف المقطّعة وافتتحها الله عز وجل بقوله : { ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ{١} ، أي ذي الشرف العظيم ، {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ{ ٢. }

لو لاحظنا في سورة ص افتتحها الله بالقسم بالقرآن { وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْر } ، في سورة يس {يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{٢} ، السور التالية التي تلي سورة ص هي سورة الزمر ثم ليلها غافر أيضاً افتتحها الله عز وجل بهذا المعنى وبهذا القسم القسم بكتابه ، كذلك جاء هذا أيضاً في الشورى ، في الزخرف ، في الدخان ، في الأحقاف ، في الجاثية التأكيد على هذا المعنى العظيم لأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كانت من هذا القرآن.

فهو يقول أنتم لا تعودوا ما يأتيكم به محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو من عند الله والدليل أن الله عز وجل يقسم بهذا القرآن ويقول اسمعوا واقرؤوا هذا القرآن بعقولكم لا بعواطفكم.

سورة ص جاء فيها ذكر الحديث عن التسلية أو التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي قريبة في المعاني وفي الأهداف من سورة الصافات ففيها بيان دلائل القدرة على وحدانية الله عز وجل ، إظهار بديع صنع الواحد الأحد في مخلوقاته ، أيضاً ذكر فيها سبحانه وتعالى أوصاف أهل الجنة و أوصاف أهل النار ، ثم ختمها بذكر قصة آدم عليه السلام.

من المعاني الحقيقة التي ربما يشكل فهم بعضها على الناس ما جاء في سورة يس في قول الله عز وجل : { أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ{٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ{٦٣} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ{٦٤} طَلْعُهَا } أي ثمرها { كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ{٦٥. }

المعروف في القرآن أن الله عز وجل لا يضرب مثلاً إلا بما يعرفه الناس أو على الأقل تعرفه العرب أو يشبهه بشيء يعرف ، فكيف شبّه رؤوس الشياطين مع أن الناس لا تعرف رؤوس الشياطين ؟ ، جاء في معناه عدة أقوال يعني أقربها أن الله شنّع صورة الشيطان في الذهن ، يعني كثير من الناس إذا قلت له هذا شيطان فانه يستبشع صورته فشبّه هذه الشجرة بما استقر في أذهان الناس من هذه الشناعة.

يعني ... ربما نكون قد مررنا على جزءٍ مما في هذا الجزء من الفوائد وبعض الآيات والوقفات ، أسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الفقه في كتابه وأن يعيننا وإياكم على فهمه وتدبره ، نواصل في الحلقة القادمة ما تبقى من الجزء ان شاء الله الرابع والعشرين.

أستودعكم الله وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الرابع و العشرين من القرآن..... تاريخ الحلقة : ٢٤ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله وحده وأصلي وأسلم على نبيه وعبده وعلى آله وصحبه مشاهدينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب.

بين يدينا اليوم الجزء الرابع والعشرين من كتاب الله الذي يحوي آخر سورة الزمر وسورة غافر وسورة فصلت تقريبا عدا آخر وجه من سورة فصلت.

سورة الزمر يعني سماها الله عز وجل بهذا الاسم كناية عن وصف من يدخل الجنة أو النار زمرا وهم الصافون خلف بعضهم البعض أو الجماعات التي تدخل الجنة أو تدخل النار كما جاء هذا في آخرها في قول الله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا.

وجاء عن ذكر الكفار والعصاة وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ، هذه سورة مكية تتحدث عن غالب ما يتحدث عنه السور المكية إلا أن سورة الزمر تتحدث أو هدفها الرئيسي ومقصدها العام الحديث عن تقرير التوحيد ولذا جاء في أغلب آياتها تقرير هذا المعنى.

ويكاد حقيقة يكون هو المحور الرئيسي من سورة الزمر ، الله عز وجل افتتح هذه السورة أيضا بالتأكيد على المعجزة الخالدة وهي كتابه جل وعلى قائلا سبحانه {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ. }

فهو سبحانه وتعالى يؤكد على هذا المعنى ويقسم بالكتاب وكنا في الحلقة الماضية أيضا ذكرنا أن الله عز وجل أكد على هذا الكتاب العظيم وعظيم أهميته وشرفه سواء كان ذلك في سورة ص أو في سورة ياسين أو في سورة غافر الزمر الشورى فصلت الدخان الجاثية الزخرف كل هذه ا لسور حتى بعدها جاء ذكرها في سورة ق يعني التأكيد على القسم أو القسم بكتاب الله عز وجل لما فيه من الدلالة العظيمة لأن القرآن العظيم هو رسالة الله لخلقه فيه جاء ذكر التوحيد وذكر البعث والنشور وذكر الأحكام وذكر القصص التي من استمسك بها في هذا القرآن العظيم.

أقصد استمسك بمعانيه العظيم فإنه ينجوا ولذلك جاء الحث على الإستمساك بكتاب الله في قول الله فاستمسك بالذي أوحي إليك وهي صيغة مبالغة ليست من التمسك بل من الإستمساك فاستمسك بما أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.

هذه السورة العظيمة سورة الزمر يذكر الله عز وجل فيها البراهين الدالة على عظمته أيضا وهذا حقيقة ظاهر في أغلب السور التي ممرنا عليها مؤخرا خصوصا السور المكية.

يذكر ربنا أيضا نفختان في هذه السورة ما هما هاتان النفختان جاءتا في ذكر مشهد يوم القيامة والبعث والنشور وردت في آخر السورة في قول الله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.

هاتان النفختان هما النفخة الأولى نفخة الصعق التي ينفخ بها ملك الموت فيصعب جميع من على هذه البسيطة فيموتون جميعا ثم ينفخ نفخة أخرى وهي نفخة القيام للبعث والنشور.

من ما ختم الله عز وجل به أيضا سورة الزمر الثناء على ذاته العلية جل وعلى وتعظيمه وإثبات هيبته في قلوب العباد وخصوصا أولئك المشركون ، يقول ربنا {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } أي محيطين بعرش الرحمن جل وعلى.

من ما يلي سورة الزمر أيضا سورة غافر والتي جاء فيها ذكر الطمع في مغفرة الله عز وجل ووصفه سبحناه وتعالى أنه غافر الذنوب ساتر العيوب قابل التوب شديد العقاب جل وعلى.

افتتحها الله عز وجل أيضا بحرفين مقطعين وهو قوله جل وعلى حم وأيضا هذا من ما جاء ذكره في حلقات سابقة أن الله عز وجل أعلم بمراد هذه الحروف.

طيب عن أي شيء تتحدث سورة غافر أيضا تتحدث كما تحدثت سورة الزمر والصافات وغيرها من ا لسور المكية عن تقرير أمور العقيدة في القلوب وذكرها في عدة مواقف وقصص وآيات حتى تتشربها القلوب وتتمسك بها النفوس.

أيضا جاء فيها الإشادة بأسماء الله وصفاته الحسنى ، وهذا أيضا من مفاتيح تعظيم الواحد الأحد كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة.

ما معنى أحصاها هل حفظها فقط ؟

كلا بل حفظها وعمل بمقتضاها يعني حفظ اسم الرحمن حفظ اسم العليم الخبير فإنه بعد ذلك يأتي العبد ويعظم علم الله جل وعلى ويمتنع عن المعاصي ويحذر من الموبقات وكل ما يسخط الله جل وعلى لأن ربه عليم خبير يستقر في ذهنه حين الحركة حين ا لذهاب والإياب حين العطاء حين الإمتحان حين القضاء في سائر أموره أن الله عليم خبير.

فهذا أيضا من مفاتيح تعليم ا لواحد الأحد وهو معرفة أسماء الله وصفاته ، ولذا جاء في سورة غافر ذكر عدد من الأسماء والصفات وتعظيمها في القلوب.

أيضا جاء فيها ذكر مصارع الأقوام الغابرة كفرعون الذي أغرقه الله عز وجل وغيره من القصص التي جاء ذكرها فيها هذه السورة.

أيضا جاء في سورة غافر قصة لأول مرة تذكر هي تأتي ضمن مع قصة موسى وفرعون لكن هذا التفصيل لم يرد إلى في سورة غافر من يستطيع أن يتعلم على هذا لو فتحتم الوجه الرابع من سورة غافر لوجدتم هذا ظاهرا أمام أعينكم.

تلك القصة هي قصة الرجل المؤمن الذي كان يكتم إيمانه ، الحقيقة أن هذه القصة قصة أشبه ما يكون بميثاق الدعاة وسيلة وما كان يفعله ذلك الرجل الصالح هو مقياس لجميع الدعاة فالله جل وعلى ذكر في معرض قصته أنه كان يصرح أحيانا بالدعوة وبالأذكار وبالموعظة الحسنة أنه كان أحيانا يصدع بالحق وأحيانا يتلطف ويحذر من أولئك أحيانا يأتي بعباراة فيها من التهديد والوعيد وأحيانا من العبارات التي فيها شيء من اللطافة.

فهو الحقيقة يعطيك دلالة ومنه واضح لما يجب أن يكون عليه الدعاة خصوصا ان هذا الرجل الداعية كان يواجه من ادعى الربوبية يواجه فرعون عليه من الله ما يستحق.

ثم يلي بعد ذلك ذكر غرق فرعون كما أسلفنا ونجاة هذا الرجل الصالح ، أيضا تعرضت هذه السورة للآيات الكونية وضربت أمثالا بالأعمى والبصير وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئ قليلا ما تذكرون.

فتدلك هذه الآيات على معنى عظيم وهو المناقشة العقلية الحكيمة الهادئة التي تتغلغل في عقول من فتح الله بصائرهم لقوبل الحق.

يلي سورة غافر سورة فصلت وافتتحها الله بحرفين مقطعين وجاء فيها تعظيم كتاب الله تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآن عربيا لقوم يعلمون.

أيضا جاء فيها ذكر بعض ما حل بالأقوام السالفة كقوم عاد وقوم ثمود وما نزل بهم بالعذاب الأليم والعذاب الشديد جاء فيها أيضا ذكر العداء لكتاب الله من أولئك الكفار لأنهم يعلمون أنه هو النور المبين أنه هو الروح أنه مقياس حياة البشرية جمعاء.

فرب العالمين يقول حاكيا عن حال أولئك الكفار وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون فجائهم الجواب من عند الله فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولننزلهم أسوء الذين كانوا يعملون.

وهذا يظهر الآن في الطعن في كتاب الله عز وجل أو التشكيك في صدق الله عز وجل أو اتهام هذا القرآن أنه مختلق أو أنه محرف ولكنه سبحانه وتعالى نفى ذلك عن كتابه حينما قال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

دعونا نقف أحبابي مع فاصل قصير ثم نواصل.

---

أيها الأكارام جاء بعد ذلك في سورة فصلت ذكر أحوال أهل الإيمان حاكيا رب العالمين حالهم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا هذا ن أمران عظيمان الأول هو تعظيم الله عز وجل في القلوب وهو الإيمان فإن العبد إذا آمن ثم أتبع الإيمان الإستقامة فإنه يكون بذلك متبعا لأوامر الله عز وجل يعيش في هذه الدنيا سعيدا يختم له بخير ينزل في المنازل العالية في جنات النعيم لأنه حقق مراد الله.

فلا يمكن للعبد أن يكون مسلما كما أراد رب العالمين إلا بتحقيق هذين الأمرين وهما تمام الإيمان ثم الإستقامة على أوامر الرحمن جل وعلى.

ثم بعد ذلك يثني رب العالمين على حال الدعاة ويأمرهم بالصبر والإحتساب يقول رب العالمين {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً }يعني لا أحسن ممن دعا إلى الله وعمل صالحا.

}وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ *وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. {

وهذا أيضا درس للدعاة أن لا يتخذوا الأمور حال دعوتهم أمور شخصية أو أن تكون أمور ذاتية أو تكون حظوظ النفس ظاهرة كلا ادفع باللتي هي أحسن كل من شتمك أو سبك أو اتهمك في عرضك لأنك داعية فلا تلقي لذلك بالا واعلم أنك في وظيفة الأنبياء والمرسلين.

فاحتسب الأجر وادفع باللتي هي أحسن طيب إذا فعل ذلك هل تنقص قيمة الإنسان هل تنزل كرامته قال الله كلا فإذا ا لذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم كأنه صديق قريب محب ودود وذلك لأن الطيب يغلب ولأن الحسنة مقدمة ولأن النفوس بطبيعتها تحب الإحسان والله تعالى يقول قولوا للناس حسنى.

وكما قال الشاعر أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان فهذا أيضا من المعاني العظيمة التي ذكرها الله في كتابه كتوجيه للدعاة والعاملين في هذا الميدان ، قال الله هذا ليس بالسهل ليس كل أحد يستطيع أن يحصل عليه لكن من وفقهم الله لذلك ووفقهم لعبادة عظيمة فإنهم تتحصلون على هذا ، فما هي هذه ا لعبادة .

قال ربنا وما يلقاها أي لا يلقى الصبر والدفع باللتي هي أحسن ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، وسبحان الله يدلك هذا على ان من وفق للحلم والاناة أنه وفق لحظ عظيم كما وصفه الله عز وجل ولذا يقول الحبيب صلوا تالله وسلامه عليه لأشج ابن عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله.

الحلم والأنام والداعية مطالب بترسيخ هذا المعنى وإن كان غضوبا أو عجولا أو لا يتحمل مثل هذه الأمور فعليه أن يروض نفسه لأنه يسلك سليك المؤمنين سبيل الأنبياء والرسل والعلماء هم ورثة الأنبياء.

من سلك هذا الدرب فليحتمل وليصبر على الناس ، قال بعدها رب العالمين {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. }

هذه الآية مرتبطة أيضا بما قبلها فإن الشيطان له حظ من الإفساد بين الناس ومن إفساد إخلاص الدعاة ووإفساد نياتهم وأعمالهم كل ذلك بسبب وسوسة الشيطان فالله عز وجل يعني يقرر لك المشكلة ويعطيك أسبابها.

يعني يقرر المشكلة وأسبابها وعلاجها ، المشكلة هي عدم الصبر ومقابلة الجمهور الذي يكون فيه إنسان يتعدى على الداعية أو يتلفظ عليه فرب العالمين يذكر أن هذه يقرر هذه المشكلة ويوضحها وأنها حاصلة في الغالب.

ثم كما حصل النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء وبعد ذلك يأتي لذكر السبب وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فإستعذ بالله إن الشيطان له حظ والنفس له حظ ثم يأتي ذكر العلاج.

ادفع باللتي هي أحسن فإستعذ بالله إنه سميع عليم وما يلقاها إلا الذين صبروا بالصبر وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم فهذا كله أيضا من توفيق الله عز وجل أن يهب العبد الحلم وسعة البال خصوصا لمن هو في سلك الدعوة إلى الله عز وجل.

في سورة غافر مر معنا قول الله جل وعلى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ما معنى هاتين الإماتتين أو هاتين الإحيائين ، جاء فيها أيضا كثير من الأقوال لكن أقربها أن الإحياء الأول حينما قالورا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين.

الإماتة الأولى حينما كان الإنسان نطفة فكان يعتبر ميت اما الموت الثاني فهي حينما مات الإنسان الموتى الكبرى التي بها ينقطع عن الدنيا.

أما الإحياء الأول هو حينما خلقه الله من نطفة فكان جنينا في بطن أمه تى كبرى وشب فهذا هو الإحياء الأول أما الإحياء الثاني فهو بعد النفخ في الصور والقيام لله رب العالمين.

جاء في سورة الزمر قول الله جل وعلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، قال الإمام الزمخشري أفاد قوله جل وعلى يستمعون القول فيتبعون أحسنه قال أن المؤمنين ينبغي لهم أن يكونوا نقادين في الدين فلا يأخذهم كل شيء يسمعونه إنما يميزون بين الحق والباطل وبين الحسن والأحسن والفاضل والمفضول.

فإذا سمعوا من كلام الله عز وجل أمرا أو نهيا فإنهم يبادرون إلى تطبيقه وتنفيذه لأن هذا هو أفضل الحديث كما وصفه الله جل وعلى وإذا سمعوا كلام فيه موعظة فإنهم يميزون كما أسلفنا بين الفاضل والمفضول بين الحق بين الباطل بين الحسن والاحسن.

من ما جاء في سورة الزمر أيضا ذكر الإماتة في قول الله جل وعلى {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. }

قوله جل وعلى قالوا الله يتوفى اللإنفس حين موتها هذا هو الموتى الكبرى ، ما المقصود بالموتى الكبرى هي الوفاة فراق هذه الدنيا الرحيل من دار الدنيا ، حينما يموت الإنسان فهذا يسمى الموتة الكبرى أما الموت الصغرى فهي ما تكون في الدنيا حال النوم.

فإذا نام العبد فإن روح البعد ترتفع إلى الله عز وجل فهي تشبه روح حال الوفاة الكبرى لكنها موتة صغرى ونوم صغرى ولذا جء رفع الحرج عن النائم ورفع التكليف عنه لأنه أشبه ما يكون أيضا بالميت.

قال الله والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت أي إذا ارتفعت هذين الروحين أحدهما مات موتة كبرى فيمسك التي قضى عليها الموت.

يعني يمسك هذه الروح عنده جل وعلى فلا تعود ويرسل الاخرى أي يترك الأخرى وتعود إلى ذلك الجسد فيصحوا الإنسان سبحان الله من النوم ولا يستشعر هذه النعمة العظيمة أن روحه ارتفعت ثم عادت إليه وردها الله عز وجل ليشكره ليعبده حتى لا يعصيه بهذه النعمة ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.

وهذا أيضا فيه إشارة إلى أن عمر الإنسان محدود فعليه أن يتقي الله في هذه النفس التي بين جنبيه وأن يحسن ضيافتها بطاعة الله جل وعلى.

بهذا نكون قد أنهينا الجزء الرابع والعشرون وإن شاء الله في الحلقة القادمة نواصل ما تبقى من بعض الفوائد من الجزء الخامس والعشرين أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل ما قرأناه واستمعنى إليه وتعلمناه حجة لنا ولا علينا أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الخامس و العشرين من القرآن..... تاريخ الحلقة : ٢٥ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد على آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم مشاهدينا الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب وبين يدينا اليوم الجزء الخامس والعشرين الذي يحوي آخر سورة فصلت وسورة الشورى والزخرف والدخان والجاثية.

سور هذا الجزء سور مكية تتحدث عن أغلب ما تتحدث عنه السور المكية إلا أن سورة من هذه السورة ربما تتميز عن أختها بشيء من ذكر بعض التفصيلات أو يرد بها بعض الأهداف أو المقاصد الغير موجودة في سور أخرى.

سورة الشورى سميت بذلك الأدب الإسلامي العظيم وهو مبدأ الشورى الذي حث الله عز وجل عليه ووصف به أهل الإيمان بقوله وأمرهم شورى بينهم.

وكان هذا الادب يعني منا ما يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بل كان يعلمه ويمتثله عليه الصلاة والسلام بل كان يعلمه ويمتثله أيضا عليه الصلاة والسلام وهذا ظاهرا أيضا في حفر الخندق مثلا ظاهرا في بعض الأمور الدنيوية كالنخل ظاهرا في بعض المغازي التي ان يستمع فيها إلى آراء الناس أو الصحابة كما حدث في معركة أحد حينما أخذ برأي الشباب وغير ذلك.

افتتحها الله عز وجل بقوله حمم وهو من الحروف المقطعة التي الله أعلم بمرادها ولكن أيضا جاء بعض الحروف المقطعة الزائدة في مطلع هذه السورة في قول الله حم عين سين قاف كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ، له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم.

منه تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم.

فجاء في مطلع هذه السورة العظيمة أيضا تأكيد على عظم شأن كتاب الله جل وعلى والإستمساك به وأهمية أخذ العظة والعبرة من ما جاء فيه.

وإذا ربطت هذا بما جاء في هذه السورة العظيمة أو في أولها وربطه مع آخره تبين لك التأكيد على هذه المعاني الضمنية داخل هذه السورة ، فالله افتتحها بتعظيم كتابه كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ثم اختتمها بقوله جل وعلى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ.}

فهو سبحانه وتعالى يصف هذا الكتاب العظيم بأنه الروح فحيات الجسد هي بالروح وحياة القلب بالقرآن كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والجسد الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب فالإنسان بلا هذا القرآن وبدون فهم معانيه وتمثل آياته وتطبيقها الحقيقة أنه أشبه ما يكون بالجثة الهامدة التي لا يشعر الإنسان أنه حي إنما هو حي فقط بجسده لا بروحه.

هذه السورة العظيمة سورة الشورى أيضا تحدث الله فيها عن أهمية الإستجابة لأوامر الله ذكر فيها أحوال بعض المشركين ونسبتهم وإدعاءهم نسبة الولد إلى الله جل وعلى ذكر بها بعض شرائع الأنبياء كموسى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى وأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.

فشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الإسلامية جاءت متممة لهذه ا لشرائع في عبادة الله وحده ، ولذا قال ربنا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا أيضام ن المعاني العظيمة التي جاء القرآن بتأكيدها بعد الشرائع السابقة.

أيضا جاء في هذه السورة ذكر دلائل الإيمان في هذا العالم في مخلوقات الله في آياته الكونية ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ثم قال بعدها وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

فهذا أيضا من المناقشة العقلية التي تحدثنا عنها كثيرا أنها واردة أو ترد كثيرا في آيات السور المكية فإن الله عز وجل يخاطب عقول المشركين وأيضا يخاطبهم احيانا بالعاطفة أو بالتهديد أو التخويف بالوعد أو الوعيد.

يلي سورة الشورى سورة الزخرف سماها الله عز وجل بالزخرف لذكر وصف الدنيا بأنها زخرف زائل كما قال ربنا جل وعلى ولوا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقف أي أسقف من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبوتهم أبوابا وسرر عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا.

فالله عز وجل يقرر في هذه الآية أيضا وفي هذه السورة المعنى الحقيقي للدنيا فالله جل وعلى يصف كثيرا من البشر كما جاء في سورة الروم {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } يعلمون ظاهرا يعني في بيعها وشراءها وأحكامها وكيف يشاركون فيها وكيف يعيشون ولكنهم تغيب عنهم الحكمة الباطنة الخفية للدنيا وهي أنها دار ممر لا دار مقر.

انها مزرعة للأخرة فالله عز وجل يؤكد في هذه السورة هذا املعنى العظيم وفيها رسالة لأولئك المشركون وحتى في أهل الإيمان أن الدنيا فانية وظل زائل فلا تركونا إليها وإنما تتخذوها وسيلة للتزود للآخرة.

من المعاني التي عرضت لها سورة الزخرف إثبات قدرة الله جل وعلى ووحدانيته في آيات عدة وهذا ظاهر في عدد من الآيات منها أيضا إراد بعض القصص التي تدلل على ا لتوحيد ومعنى العقيدة التي تركز عليه السور المكية.

كان هذا أيضا ظاهرا في سورة أو في قصة ابراهيم عليه السلام مع قومه قال الله عنه إذ قال ابراهيم لقومه إنني براء من ما تعبدون يعني يا جماعة ليس من السهل الإنسان أن يواجه أهله ووالده أو أقاربه بأمر يعني تخالفه فطرهم أو تخالفه نفوسهم او عادتاهم.

ولكن منطق التوحيد كان أقوى ورسالة الله عز وجل التي أرسلها لنبيه ابراهيم عليه السلام كانت يعني من أوجب واجباتها إبلاغ رسالة التوحيد فلذا قال إنني براء من ما تعبدون إلا الذي فطرني أي أوجدني وخلقني من العدم فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقب أي في ذريته وفي قومهم لعلهم يرجعون كان يكررها كثيرا ويعيدها المرة تلو المرة.

طيب هل استجابوا هل قبلوا تلك الدعوة إنما كان حالهم كحال مشركي قريش حينما قص الله حال مشركي قريش بصدهم عن سبيل الله والبحث الحقيقة عن المخارج وعن الأعذار الواهية لعدم الإستجابة فيحكي الله عز وجل حالهم في الصد والإستكبار وعدم قبول ا لحق بقوله.

}وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ } ما عندهم وسيلة ثانية أو شيء يردون به هذه الدعوة إلا أن يتهموا ا لنبي صلى الله عليه وسلم أنه ساحر أو كاهن أو مجنون أو غير ذلك.

}وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } والمراد هنا بالقريتين مكة والطائف ما وجد الله عز وجل إلا أنت يا محمد لا يوجد واحد أشرف منك يزل عليه سواء في مكة أو في الطائف.

طيب أنتم تقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل وسابقة أو لاحقة لولا نزل علينا الملائكة يعني لماذا لم يبعث الله نبيه من الملائكة فيدلك هذا على التشتت وضعف المحجة والحجة وفساد الرأي وفساد ما يعرضونه من الحجج ولذا قال الله عز وجل راد عليهم نحن الذين نقسم هذه النعمة نحن الذين نختار أنبياءنا وأصفيائنا.

}أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ } لاحظ قسم الرسالة والهداية بالرحمة ، أهم يقسمون رحمة ربك والعلم والنور والسنة كلها من الرحمة كما جاء في آيات الله جل وعلى كما ذكره أيضا الخضر وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما فهذا من رحمة الله أن خص نبيه يعني الأأمي بهذه النغمة العظيمة.

أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضهم درجات ليتخذ بعضهم بعض سخرية لو كل الناس أمراء ما أحد خدمهم لو كل الناس فقراء ما أحد ساسهم لو كل الناس مسئولين لما أحد استطاع أن يخدم ذل المسئول.

لو كل الناس مثلا يعني أصحاب مليارات وملايين لما خدما أحد الآخر لما وجد أحد من يدفع إليه زكاته وهكذا فهذا كله من توزيع الهبات وقسمة الله جل وعلى.

بعض المعاني المشكلة التي قد ترد في سورة الزخرف والدخان والجاثية وبعد الفوائد والأسرار سنستعرضها بعد فاصل قصير.

---

أحبابي سورة الدخان وسورة الجاثية أيضا جاء فيها نفس المقاصد التي تحدث الله عز وجل عنها في سورة فصلت والشورى والزخرف وكذلك أيضا يعني تستمر هذه المقاصد في سورة الدخان وسورة الجاثية.

لو لاحظنا في سورة الشورى سورة الزخرف سورة غافر سورة الزمر سورة فصلت في سورة الدخان في سورة الجاثية الأحقاف أن كل هذه السورة تركزت على ترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوب العباد ذكر أحوال يوم القيامة وغالب السور التي ذكرتها في الجزء الذي نحن فيه والذي قبله والذي يليه كانت ظاهرة بينة.

لأنه من وسائل الدعوة إلى الله الترهيب الذي يخاف به الإنسان عذاب الله جل وعلى وأليم عقابه وكذلك الوعد الذي يعد الله عز وجل فيه أنبياءه ورسله وأصفياءه وخيرة خلقه بمغفرته ورضوانه.

أيضا تجد في هذه السور يتركز الحديث عن القرآن فأغلب السور افتتحها الله عز وجل بالقسم بالقرآن وبيان فضله وعظيم التمسك به أو عظيم فضل التمسك به وهذا يدلك على أن كتاب الله عز وجل كله ما بين دفتيه يرسخ هذه المعاني العظيمة.

لكن سبحان الله لماذا البعض الآن لا يشعر بأثر التوحيد بأثر الإستاجابة لله بأثر ترسيخ العقيدة في قلبه لأنه يا جماعة كثير منا بدأ يقرأ القرآن كجرد يقول لا تهذوا هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل يعني التمر الرديئ تنثروه هكذا أو تق{أه كما تقرأ الصحف أو المجلات.

لا تنثروه نثر الدقل ولكن قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب وابن عمر يقول يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همك آخر السورة كيف يخشع قلبك وأنت كل همك كم ختمت برمضان كم ختم بعد رمضان إلى أين وصلت كلا إنما كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي صحابته الكرام ان يتدبروا هذا القرآن ويقفوا عند عجائبه ويحركوا به القلوب ولذا تكاملت الشخصية لديهم التوحيد العقيدة حسن الظن بالله عز وجل تدبر القرآن وجود المعاني الإسلامية الفاضلة والأخلاق العالية.

الإستجابة لله عز وجل تعظيم أوامر الله الخوف من عقابه جل وعلى المعاني ا لإسلامية كما ذكرت من الأمانة من الخلق العظيم من الصبر من الإحتساب من حسن الظن بالله كل هذا من المعاني التي يقررها القرآن.

إذا لماذا يا أخوة ويا أخوات لا يلمس البعض أثر هذا ا لقرآن في قلبه لأنه كما ذكرت إذا جعل الإنسان همه فقط آخر السورة أو أن يقرأ او كم يختم وكم تنجز فلن يستطيع أن يوفق لما وفق إليه عباد الله الأصفياء.

من ما تميزت به سورة الدخان وبالمناسبة هي سميت الدخان لأنه جاء فيه ذكر الدخان الذي هو من علامات قرب الساعة ، أيضا افتتحها الله عز وجل بالتأكيد على أن هذا القرآن نزل في ليلة مباركة وهي ليلة القدر إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين.

وأيضا كما جاء في سورة القدر إن أنزلناه في ليلة القدر والصواب يعني جاء في تفسير هذه الآية عدة معاني قال بعضهم أن المقصود أن أول آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم كانت في ليلة القدر ثم بعد ذلك تتابع نزول القرآن.

يلي سورة الدخان سورة الجاثية وهي تصف مشهد مريب ومخيف لأولئك العصاة وهم يجثون بركبهم يوم القيامة من هول ما يرون ومن شدة ما يطالعون من أهوال يوم القيامة وكل ذلك لأنهم غابت عنهم الحكمة من إيجادهم.

كانوا يتساهلون في ذكر أحوال يوم القيامة ويظنونه من القصص والحكايات ويسمعونه بآذانهم ولا يخالط ذلك قلوبهم ، تجلس أحيانا مع بعض اناس وتذكره بالله واليوم الآخر فلا يستجيب لا يتأثر لا تظهر عليه أثر التأثر.

قابلت أحدهم بعد ما من الله عليه بالهداية يقول يا شيخ نت أسمع يوم القيامة او الجنة أو النار والله اشعر أنها مسلسل أشعر أنها مثل الرسول المتحركة شيء يعني لا أدري يحصل لا يحصل وهذا من وسوسة الشيطان وتسويله ومن خذلانه الحقيقة.

وإلا لو كان الإنسان يصدق إنسان معينا وجاء وقال انتبه لا تدخل هذه مساهمة أو لا تذهب مع هذا الطريق أو لا تأكل هذا الأكل فإنك ربما تموت أو تخسر أو كذا أو كذا.

فإن كلام حالة تصدقه بل لو جاءك بأسلوب أحيانا ربما يكون سيء وقال والله لو فعلت هذا أو انتبه لو أكلت من هذا الأكل لأضربنك لأفعلن بك كذا وكذا مع أنك لا تعرفه لأنه يريد أن ينبهك ويوقظك أنك لا تفعل هذا الشيء لأنه قد يضرك وهو أمر دنيوي فإنك تستجيب ولا تغضب عليه ولا تأخذ في خاطرك.

لكن لو جاء إنسان وقال بلطافة لو سمحت يا اخي نحن لا نشاهدك بالمسجد أنت مقصر في الأمر الفلاني أنت فعلت كذا تجد أحيانا يواجهه بالغضب أو بردة فعل لا تناسب وهذا من تسويل الشيطان فالله عز وجل يؤكد هذا المعنى العظيم وهو مشهد القيامة وتصويره الذي يزلزل القلوب ويرعب الأفئدة لتعمل لا لتنكسر وتكون متوقفة على العمل الصالح أن الإنسان يخاف لأ إنما يبث الله عز وجل هذه الآيات وهذه العبر لبيان عظيم قدره جل وعلى وما أعده للمشركين والكفار والعصاة من بين آدم.

طيب مر معنا أو سيمر معكم إذا قرأتم هذا الجزء قول الله عز وجل عن المشركين عندما لم يستجيبوا لأولياء الله ورسله وآيات الله قوله سبحانه وتعالى.

}وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ *مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } وهذا أيضا فيه إشارة إلى التدبر والله عز وجل يدعوا فيه إلى التدبر في الآيات الكونية.

يا أخوة التدبر على نوعين تدبر في الآيات الشرعية وتدبر في الآيات الكونية ، الآيات الشرعية هي آيات القرآن العظيم أما الآيات الكونية فهي مخلوقات الله السماء الأرض الجبال وغيرها.

من ما جاء في هذه الآيات أو ربما يشكل فهمه على بعض الناس قول الله جل وعلى {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ. }

هل تبكي السماء والأرض ؟

هل يعقل ان تبكي السماء والأرض إذا لما قال الله بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ، هنا ثلاثة معاني المعنى الأول الذي اختاره الحسن رحمه الله أن المعنى فما بكى عليهم أهل السماء والأرض.

أن تقول مثلا أين كنت كنت والله عند القرية الفلانية أنت تقصد عند أهل القرية الفلانية ، فالله يقول فما بكت عليهم السماء والأرض أي ما بكى عليهم أهل السماء والأرض أما المعنى الثاني لو كانت السماوات والأرض تبكيان فإنهما لن تبكيان على أولئك العصاة المجرمون وعلى عذاب الله لهم لأنهم لا يستحقون البكاء.

أما المعنى الثالث أن السماء والأرض لم تبكي عليهم كما تبكي مواطن المؤمن إذا مات فكما معلوم كما جاء في الأثر أن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه ومصعد عمله وهذا أيضا من المعاني التي تحفز العبد للعمل الصالح أنه يشهد له مواطن صلاته مواطن عبادته يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها.

وهذا القول الثالث هو أيضا اختيار الإمام ابن عباس ترجمان القرآن وسعيد ابن جبير ، هذا ما تيسر إيراده عن الجزء الخامس والعشرين ثم يليه الجزء السادس والعشرين وسيكون موعدنا معه بإذن الله في الحلقة القادمة أسأل الله أن نلتقي وإياكم على خير وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء السادس و العشرين من القرآن تاريخ الحلقة : ٢٦ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على إمام المتقين نبينا محمد عليه وآله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، معاشر الاخوة والأخوات مرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب الذي يأتيكم على هذه القناة المباركة وموعدكم اليوم مع الجزء السادس والعشرين من كتاب الله الجزء الذي يحوي سورة الأحقاف وسورة محمد سورة الفتح سورة الحجرات سورة قاف وشيء من سورة الذاريات.

هذا الجزء حقيقة جزء عظيم يتألف من عدد من السور التي تحوي ذكرى مشاهد يوم القيامة ذكر بعض أنبياء الله برسله وما حصل بينهم وبين أقوامهم من تكذيب أقوامهم لهم .

وما حل الله وما أنزل الله على أولئك الأقوام المكذبين من ألين العقاب وشديد العذاب ، أول السور التي مرت معنا هي سورة الأحقاف هذه السورة التي سميت على ديار عاد عليه السلام نسبة لهم الأحقاف بالمناسيب الشيء الكبير المرتفع لو رأيت رمالا عظيمة فتقول هذه أحقاف لو رأيت حتى يطلق على الموج العظيم أحقاف.

أحقاف موج وهكذا من أيضا الأمور التي ستمر معنا في هذه السورة العظيمة أمر ملفت وهو ذكر القرآن العظيم كحال السور التي ذكرها كالجاثية الدخان فصلت غافر الزمر الشورى كلها من السور حقيقة التي كانت تفتح بالتأكيد على عظيم شان القرآن العظيم وذلك أن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم من جنس ما اشتهر عند أولئك المشركون فقد كانوا اشتهروا بالخطابة والفصاحة والشعر والبلاغة.

فجاءت معزة النبي صلى الله عليه وسلم من جنس ما اشتهر بينهم ، وإذا لم يستطيعوا أن يكذبوه وإنما كذبوه ظاهريا وكلنهم اقتنعوا بذلك باطنيا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعدوا.

ولذا أطلقوا عليه تهم جزافا أنه ساحر وكاهن ومجنون وغير ذلك ، فالله عز وجل يؤكد في هذه السور معجزة خالدة وهي القرآن الذي كذبه اولئك الكفار والمشركون وغيره وإنما هو من عند الله وإنما ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من عند ربه فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه السلام.

فلذا أكد الله عز وجل في مطالع هذه السور على هذا الأمر العظيم ونبذ جميع الشبه التي كان يبثها المشركون حول هذا القرآن ، تحدثت سورة الأحقاف أيضا عن شبه المشركين سواء عن القرآن الكريم أو النبي صلى الله عليه وسلم أو ما كان أيضا يعتقدونه في آلهتهم من العبادة وغير ذلك.

هذه السورة أيضا جاء فيها قصة عظيمة تؤكد على أمر قرنه الله بحقه ألا وهو بر الوالدين يقول فيه لرب العالمين جل وعلى {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. }

يحكي اله عز وجل فيها قصة بر ذلك الرجل الصالح أو الصنف الاول من الناس الذين يوقفهم الله لبر والديهم ، يقول وبلغ أربعين سنة حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة في هذا دلالة أيضا على سن الرشد و هو سن الأربعين أو ما قبلها بقليل أو بعدها بقليل باختلاف بين أهل العلم بذلك وأن ذلك أيضا كان يعني فيه إشارة على أن الإنسان بطبيعته وهو صغير وهو شاب ربما لا يدين بالفضل التام لوالديه يعني يتناسى فضلهما أو يقصر في حقهما لكنه إذا بلغ هذا السن فإنه بالغا يكون بارا بوالديه أنه يصل إلى سن الرشد وتمام العقل غالبا ويمتد به العمر ويكون غالبا لديه أولاد فيشعر بعظيم أهمية البر إذا احتاج بر أبناءه به فإنه يحن أيضا على والديه.

فيقول ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا ، ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأنا أعمل صالحا ترضاه أيضا لا ينساهما بالدعاء في مواطن الإجابة وغير ذلك بل على سائر أحواله وهذا كما ذكر أيضا الله عز وجل في هذه السورة العظيمة.

يأتي بعد ذلك الصنف الثاني الذين بخسوا حق والديهم ولم يؤدوا أمر الله عز وجل كما افترضه عليهم يصف حالهم سبحانه وتعالى في تلك المواقف أو في تلك القصة اللطيفة أو القصة الأليمة التي فيها من الحزن لو تصورتها أمام عينيك لوجدتها من الناس.

يقول ربنا {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ. }

وهذا أيضا مشهد مؤلم للاسف يتكرر في مجتمعات المسلمين اليوم ومن باب أولى في المجتمعات الكافرة الغير مؤمنة أولئك الشباب أو المراهقون الذين يعصون والديهم ولا يستجيبون لأوامر الله في الأمر بطاعتهم وخفض الجناح والذلة لهم والدعاء لهم وبرهم.

أيها الأخوة دعونا نؤكد على معنى واحد بر الوالدين لا يعني تأدية الحقوق فرق أن تؤدي الفرق الواجب وبن أن تحسن إليهم ، الله يقول أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا .

يعني أمرك بأعلى المراتب في العبادة لم يأمرك بالإحسان لم يأمرك بالإيمان طلب منك الإسلام وشوقك وأعانك على الوصول إلى رتب عالية كرتبة الإيمان ثم الإحسان لكنه في شأن المخلوقين العظيمين وهم الوالدين أمرك بأعلى رتبة وهي الإحسان وأن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا.

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ، فالمطلوب هو الإحسان الذي هو فوق مرحلة أداء الواجب يعني بعض الناس يظن أنه بار بوالديه إذا قال له والده اذهب افعل كذا أو ائتني بكذا او لا تفعل كذا يظن أنه بار بوالديه ، هذا جزء أو نوع من أنواع البر لكن البر التام هو الذي يسبق بر الوالدين.

كما كان بعض السلف الصالح وحال بعض المعاصرين يكون قريب من والده يفعل بوالدته كذلك يفعل الأشياء النتي يحبونها قبل طلبهما منه مثلا يحبون الذهاب إلى المكان الفلاني الطعام الفلاني يحب أن يأتي ابنهم بشكل دائم ومستمر مرتين في اليوم يحبون أن يأتي الإبن أن يذهب معهم إلى مناسبات فيبادر الإبن أو البنت إلى فعل ذلك الأمر من باب الإحسان من باب التقرب إلى الواحد الديان.

أما أن يسول الشيطان للإنسان ويأخذه في طريق آخر من نوال العبادات أو غيرها من الأعمال المندوبات والمءتحبات حتى يصرفه عن ذلك الأمر العظيم فإن هذا ولا شك من تلبيس إبليس على المرء ومن إشغاله على المفضول والفاضل.

تجد البعض ربما يسهب أحيانا في الذهاب للدعوة إلى الله أو قراءة الكتب العلمية او حتى في حفظ ا لقرآن أو في نوافل العبادات ثم يقصر في حق والديه لكن هذا لا شك أنه بدافع الحب الخيري أو بدافع البحث عن الأجر والعمل الصالح لكن على الإنسان أن يوازن بين الفاضل والمفضول ان يهتم بالأهم فالمهم.

من السور أو الآيات التي ستمر معنا في سورة الأحقاف ذكر قصة نفر الجن الذين كان عددهم بين السبعة والتسعة كما جاء عن ابن عباس وجاء تسعة عن زر ابن حبيش رضي الله عنه أن عددهم كان بين السبعة و التسعة فقد كانوا نفرا نزلوا الوادي فسمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرتل الق٤رآن بصوته ويحبره بذلك الصوت الجميل ماذا دار في هذه القصة ماذا حدث كيف عادوا وبماذا عادوا سنتعرف إليه بعد هذا الفاصل إن شاء الله.

---

من القصص التي وردت في هذه السورة قصة النفر الذين نزلوا الوادي نفر الجن الذين نزلوا الوادي فاستمعوا إلى قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيها إشارة عظيمة ودلالة كبيرة جدا ان الله عز وجل يسوق بعض الناس أو يسوق الهداية لبعض الناس سوقا والذين اهتدوا زادهم هدى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فالله عز وجل يحرم بعض الناس عن ذكره وشكره وحسن عبادته عن العمل الصالح عن الذكر العبادة عن الصبحة الصالحة عن الهداية.

فالله عز وجل في هذه الآية يشير إشارة لطيفة وعميقة إلى رحمته ببعض عباده وأنه يدلهم إلى الهداية ويسيوقها إليهم ، يقول ربنا {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ } لما جائوا وسمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن بصوته العذب الجميل الرائع الخاشع تنادوا في ما بينهم وبدا بعضهم يهمس في أذن بعض أنصتوا اسكتوا كل واحد يسكت الآخر.

}فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا } طيب هؤلاء الجن لم يكونوا على يدين الإسلام ما الذي دعاهم إلى اسكات بعضهم بعضا لسماع ما كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ، اسمع { فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ.{

لاحظ من شدة تأثير القرآن عليهم أنهم لم يغادروا المكان لم يتحدثوا إلا بعد فراغ النبي عليه السلام من قراءته فلنا قضي أي فضيت تلك التلاوة الرائعة ماذا فعلوا ؟

هل قالوا لأ إنه كاذب إنه ساحر هل بداوا وعادوا غلى حديثهم وأحاديثهم الجانبية أو سمرهم أو أكلهم أو طعامهم لأ قال الله ولو إلى قومهم ، يعني رجعوا ماذا يفعلون بعد رجوعهم كيف كان حالهم ولو إلى قومهم منذرين.

}قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. {

هنا

إشارتين أيها الأخوة والاخوات في قول الله عز وجل إن سمعنا كتابا ، أيها المباركون سماع القرآن واستماعه من أفضل وأنجع أنواعه التدبر التي تفتح قلب العبد.

بل هو من مفاتيح التدبر أن يستمع الإنسان بحضور قلبه وفرق بين السماع والإستماع السماع هو الذي ليس معه حوضر القلب أثي لا يتواطئ فيه القلب والسمع والإستماع أعلى رتبة يتطلب الإنصات وحضور القلب وتواطئ القلب و السماع.

كما قال ربنا وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له اي اسمعوا بآذانكم وأحضروا قلوبكم ولذا دائما رب العالمين يثني على أهل الإيمان وأن سبب تدبرهم وخشوعهم وان إتعاظهم بآيات الله كما سيأتي معنا بسورة قاف التي يأتي بها الوعيد ا لشديد الوعد العظيم قال في ختامها إن في ذلك لذكرى أي موعظة لمن له قلب او ألقى السمع وهو شهيد أو هو حاضر أي استمع بأذنه وأحضر قلبه وقلبه شاهد حاضر يتأمل في هذه الآيات يخاطب بهخا نفسه يعظ بها ذاته يرددها يعيدها ولذا فإن خاصية الإستماع تعين العبد على مثل هذا لنه يتفرغ من الشواغر ليس كحال الاذي يقرأ القرآن غيبا.

ليس كحال الذي يقرأ في المصحف أحيانا ينشغل ع أن في قراءة المصحف أجرا عظيما او في القراءة عن طريق المصحف أجرا عظيما لكن الإستماع أحيانا هو بوابة لأن الإنسان عن أخذ المصحف أو عن المكث او البقاء لقراءة القرآن وهذا ظاهر حقيقة تجد بعض الناس يتكاسل عن البقاء وأخذ المصحف وقراءة القرآن لكنه في الاستماع القرآن دائما يكون أسهل عليه وأيسر عليه سواء بالأجهزة الإلكترونية الأجهزة الحديثة بالآي بود بأجهزة السماعات الخفيفة هذه.

عبر الأجهزة المحمول الإتصالات وهي متوفرة فيها خاصية الإستماع لا تحرم نفسك إستماع القرآن على كل أحوالك حتى ولو حال النوم يعني قبيل النوم ، فهذا أيضا فيه دلالة على تأثير الإستماع على أولئك النفر كانوا غير مسلمين كفار فجأة يتغيرون يتحولون يستمرون ولو إلى قومهم مدبرين.

يعني حتى أصبحوا دعاة وفقهم الله لهذا الشرف العظيم بسبب هداية القرآن الكريم.

يلي سورة الأحقاف سورة محمد السورة العظيمة التي سميت باسم النبي محمد عليه السلام تشريفا وتريما وإجلالا لمقامه وجنابه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم السورة العظيمة هذه فيها آيات عظيمة مهيبة آيات السيف آيات القتال ولذا سميت سورة محمد عليه السلام بسورة القتال.

تسمى سورة محمد وسورة القتال ، سورة محمد ابتدأت ببداية عجيبة لم تبتدأ بها أي سورة من سور القرآن بقول الله جل وعلى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم.

كثير من سور القرآن يعني لو جاء أحد من البشر وقلت له رتب لي هذه الآية الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اجعلها في أي مكان يقول سأجعلها في سورة الأنفال في سورة التوبة في وسط سورة الحج يمكن مثلا في وسط سورة محمد لكن أن يبتدأ الله عز وجل بها في أول آية إلى أي شيء يلفت نظرك هذا تلفت هذه الآية النظر إلى أن الله عز وجل يعني دخل في صلب الموضوع مباشرة لأن الموضوع لا يستحق الموضوع لا يحتاج مقدمات هذا الدين دين عظيم متين قوي رفيع شريف كريم.

}الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ { أضل أعمالهم جعلها هباء منثورا خابوا وخسروا ، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ. {

هذا هو ما يسمى بالتعبئة النفسية إذا عرف الإنسان إذا عرف المقاتل أن جزاء الذين كفروا ضلال الأعمال وأنها تكون هباء منثورا وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات جزاءهم عظيم كبير جليل عند الله عز وجل فإنهم يقاتلون في سبيل الله لا يخشون في الله لومة لائم.

هذه السورة وضعت شروط النصر شروط المعركة شروط أحكام الأسر اسر الأعداء أيضا حثت في النبي عليه السلام واصحابه الكرام وأمته من بعده على التمسك بأوامر الله جل وعلى.

جاء في هذه السورة ذكر آيات الجنة ، مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن يعني غير متغير الطعم غير فاسد وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين.

خمر لا يذهب العقل ولا يسكره وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ، ربما يسأل سائل ما سر لإيراد هذه الآية آيات الجنة في أحكام القتال يعني يظهر لي والله أعلم ان من أسرارها التي يعني يجتهد بها بعض الأخوة المعاصرين وبعض الاخوة المطلعين او المتدبرين دعنا نقول في كتاب الله أن هذه الآية أوردها الله عز وجل والعلم عنده سبحانه وتعالى لتشويق العباد لما أعده الله لهم من الجزاء العظيم والثواب الجزيل.

فإن من أراد أن يهب نفسه أو أن يفدي به أو أن يقاتل ويراق دمه وتذهب روحه وتنفلت نفسه فإنه لا بد من أمر يشوقه أمر يعني يقابل بها هذه الروح يفدي روحه لمن ؟

يقول الله مثل الجنة التي وعد المتقون فهو يشوقهم لهذه الجنان حتى يتشوقوا للقتال في سبيل الله ، ثم يليها قوله سبحانه فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيها أيضا إشارة إلى توجيه النية للمقصد السليم وهو إخلاص النية لله وأن يقاتل المرء لا يقاتل حمية بل يقاتل لوجه الله ولإعلاء كلمته.

هذه السورة جاء فيها أحكام القتال لكن ما جاءت فيها شروط القتال أو واجبات الجهاد مثل ما جاء في سورة المائدة أو النساء ذكر مثلا بعض التفاصيل عن أحكام الطهارة في الصلاة لكن لم يأتي فيها من يأذن بالجهاد ما الجهة التي جاءت في الإنسان موضوع الراية موضوع استأذان الوالدين هذه التفاصيل جاءت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

لماذا أوردت هذا لان كثير من الناس أو بعض الناس خصوصا بعض الشباب ربما يأخذ هذه المعاني على ظاهرها واقتلوهم حيث ثقفتموهم فاضربوا أعناقهم فاضربوا فوق الأعناق فيذهب ويطبق هذا على بعض المسلمين الذين يصفهم بالمرتدين هذه أمور عامة وأحكام عامة أين شروطها أين واجباتها جاءت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

جاء أمر الصلاة طيب أين شروط الصلاة أين واجبات الصلاة أحكام الصلاة جاءت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم أو جاء بعضها في كتاب الله وبعضها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

بقيت السور كسورة الفتح سورة قاف حقيقة فيها من الفوائد العظيمة لكن لم يسعفنا الوقت دعونا إن شاء الله نمر ولو على جزء يسير منها في الحلقة القادمة أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء السابع و العشرين من القرآن تاريخ الحلقة : ٢٧ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على قائد الغر المحجلين نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم معاشر الأخوة والأخوات مرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب الجزء السابع وعشرون هو حديثنا الذي سنتحدث عنه في هذه الحلقة.

هذا الجزء ابتداه الله عز وجل بآخر سورة الذاريات يضم سورة الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد هذه السور الحقيقة بينها رابط عجيب هي في مقاصدها العامة متشابهة إلا أن بعض السور ربما تميزت عن بعض ببعض الأهداف الرئيسية فيها.

يغلب على هذه السور بحكم أنها سور مكية موضوع التذكير باليوم الآخر وهذا ظاهر في آيات الجنة الوعيد آيات البعث بعد النشور لو تلاحظوا سورة الرحمن سورة الطور سورة آخر الذاريات في سورة قاف في سورة الواقعة وسط سورة الحديد كل هذه السور.

حتى في سورة النجم أيضا جاء ذكر مشاهد يوم القيامة والتأكيد عليها لما تبعثه من الوجل في القلوب سواء كانت وعد أو وعيد فإذا كانت وعد شوقت المؤمن لجنات النعيم وإذا تذكر الإنسان أنه ينتظره الجزاء العظيم من لدن الله الكريم ترك ملذات الدنيا واستغنى عن زخرفها قدر الحاجة.

وإذا جاءته آيات الوعيد فإنه يخاف ويرهب من عذاب الله وعقابه سبحانه وتعالى ، فيتخلى عن المعاصي ويبتعد عن الذنوب ويجتنب الموبقات والسيئات فهذه أيضا من السور حقيقة في هذا الجزء تبعث في القلب هذا المعنى العظيم.

أيضا جاء فيها ذكر الشبه التي كذب بها أو أوردها أعداء الله وكذلك المشركين أو اليهود أو غيرهم ، السورة الأولى في هذا الجزء هي سورة الذاريات نسبة إلى الرياح اللواقح التي تبعث الخير سماها رياح لأن فيها الخير ، وأرسلنا الرياح لواقح وإذا جاء مفردة الريح فإنه يراد بها القرآن العذاب فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا.

وهذا أيضا من بلاغة هذا القرآن العظيم ، سورة الطور افتتحها الله عز وجل بالقسم وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً* فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً*فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً* فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً. {

كل هذا حلف وقسم من الله عز وجل بالذاريات التيث تحمل الخير واللواقح في دلالة إلى عظم شأن هذا التيسير وهذه النعمة والمنة من الله الواحد الأحد جل وعلى.

لأنه هو الذي تفضل على عباده بإرسال الرياح الطيبة التي تحمل الخير والتلقيح للنباتات وغير ذلك ما جواب القسم إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ. {

كما أسلفنا الحديث في هذه السور يغلب عليه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من ما اتهمه به أولئك المشركون أو اليهود ومن صاحبهم أو سار على نهجهم كالمنافقون فإنه يؤكد الله له تبرأته من ما اتهم به صلى الله عليه وسلم.

يلي سورة الذاريات سورة الطور هذه السورة العظيمة أيضا التي يعني ليست بغريبة أو جوها ليس بغريب أو بعيد عن سورة الذاريات.

افتتحها الله بالقسم ، والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور ، البيت المعمور الذي هو بالسماء ويوازي الكعبة المشرفة في الأرض والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجود اي المتقد يوم القيامة إن عذاب ربك لواقع هذا هو جواب القسم.

إن عذاب رلابك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا يذكر فيها رب العالمين جل وعلى أيضا مشاهد من مشاهد يوم القيامة وتخويفه كذلك أيضا ذكر بعض آيات الوعد وما أعده الله للمتقين.

سورة الطور ورد في فضلها عن النبي صلى الله عليه وسل كان قرأ بها في صلاة المغرب يعني أم بها بصلاة المغرب وكان من هيه عليه الصلاة والسلام الذي يلتمزه غالبا قراءة قصار المفصل في المغرب من الضحى حتى سورة الناس لكنه عليه السلام ينوع أحيانا كما قرأ في المغرب بالمرسلات والأعراف والطور فهذا أيضا جائز ولو فعله الإنسان أحيانا الإمام أقصد فلا بأس بذلك بل هو من ما إن شاء الله يجازاى به المؤمن.

يلي سورة الطور سورة النجم هذه السورة العظيمة التي جاء في مطلعها التأكيد على صدق رسالة الحبيب صلى الله عليه وسلم والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

تؤكد هذه السورة العظيمة إلى نبوة الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وتناقش أولئك المشركون والكفار مناقشة عقلية لضحد شبههم وافترائاتهم ، يلي سورة النجم سورة القمر وهي أيضا تتحدث او سميت على المعجزة التي يعني كانت للنبي عليه الصلاة والسلام بإنشقاق القمر.

اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهوائهم وكل أمر مستقر ، يعني لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو سبب نزول السورة لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يشقوا لهم القمر.

يعني قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تفلق القمر فلقتين ثم استدركوا وقالوا حتى لو فلقت القمر فلقتين فلن نؤمن لك ، لإذا أنتم باختصار ماذا تريدون هل تريدون اثبات النبوة وإثبات الرسالة أم تريدون الإستكبار والعلو والإستنكاف والصد عن سبيل الله بعدم قبول تلك الرسالة المحمدية.

هم الحقيقة يريدون الأمر الثاني وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فإنما هم يعلمون أنه الصادق الأمين عليه السلام ويعلمون أن ما جاء به هو الحق من عند الله لكن هذا هو طبيعة البشر من الإستنكاف والإستكبار عن قبول الحق خصوصا إذا جاء ممن كان لهم به سابق عهد تجد هذا ظاهرا في الإبن الصغير الذي يلتزم ثم يأمر أهله أحيانا بالحسنى ولا يستجيبون له.

يقولن نحن نعرفك لما كنت صغير كنت تفعل كذا وكذا وكذا بين الأصدقاء أنت كنت تسرق معنا ثم الآن تنصحنا فإن طبيعة البشر يجدون صوبة في قبول التوجيه أو النصيحة ممن كانوا يعرفون ولكن أهل الإيمان يعلمون أن هذه النصيحة ليست من عند هذا الإنسان أو مكن عند هذه الفتاوة أو هذا الشاب أو هذا الرجل إنما هو يوصل لك رسالة من عند الله.

والدين نصيحة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أيضا يذكر فيها رب العالمين في هذه السورة سورة القمر مصارع الأقوام الذين كذبوا أنبياء الله ورسله فحل بهم ما حل بهم من العذاب الشديد.

أيضا جاء في السورة التي تليها وهي سورة الرحمن التي سميت بسورة الرحمن جل وعلى هذا الاسم العظيم الذي يحمل اسمه جل وعلى الرحمن وهي سفة عامة والرحيم خاصة بأهل الإيمان.

تكرر فيها ذكر قول الله جل وعلى فبأي آلاء ربكما تكذاب ، بعد ذكر كل نعمة أو منة أو منحة فإن الله عز وجل يقول فبأي آلاء ربكما تكذبان.

تكررت كثيرا وذلك لتعداد النعم حتى يقرر الله عز وجل في نفس العبد فبأي آلاء ربكما تكذبان ، أي اشكر الله على ما من به عليك فكيف تكذب بتلك الآلاء والنعم التي امتن بها رب العالمين عليك.

يلي سورة الرحمن سورة الواقعة التي سميت باسم يوم من أسماء يوم القيامة وهي سميت بالواقعة لأنها واقعت لا محالة إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ، قيل خافضة رافعة بمعنى أنها تخفض أهل الكفر والفسق والنفاق والعصاة وترفع أهل الإيمان.

لأنهم رفعوا قدر الله عز وجل في نفوسهم فرفعهم وأخضوا تنازلوا عن ذلك الشرف العظيم بخفض قدر رب العالمين أو بقدر أوامره في نفوسهم فخفضهم الله يوم القيامة.

جاء أيضا من ما في هذه السورة العظيمة ذكر بعضنعم الله كإيقاد النار كنعمة الماء كنعمة الخلق في آخرها كما قال ربنا أفرأيتم ما تورون أأنتم تزرعونه أم نحن ا لزارعون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه أجاجا لو نشاء لجعلنا هذا الماء مالحا لا تستطيعون أن تستسيغوه في الشرب.

أفرأيتم ما تخلقون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فإنه سبحانه وتعالى يقرر نعمه على بني آدم وهذا أيضا كما أسلفنا في حلقات ماضية هو من المناقشة العقلية لشبه أولئك الكفار من أوجدكم من خلقكم من أنعم عليكم يذكرهم تارة يخوفهم تارة يدحر شبههم تارة يؤكد على شرف القرآن وأنه من عند الله تارة حتى يستقل ذلك في القوب.

فمن فتح الله بصيرته آمن ومن صد عن سبيل الله وطمس الله على قلبه فإنه كفر وصد عن تلك الدعوة المحمدية.

سنكمل إن شاء الله بعد الفاصل الفوائد التي استنبطت من كثير من هذه الآيات فلا تذهبوا بعيدا.

---

أحبابي الكرام سورة النجم جاء فيها أيضا ذكر معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أسرى فيها بعبده من المسجد الحرام من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة وكانت هذه من أعظم معجزاته لأن العرب لم تكن تعهد ذلك.

يعني ان يذهب إنسان في لحظة أو في ليلة حتى من ذلك المكان إلى ذلك المكان البعيد لكن الله عز وجل جاء بآيات أنزلت على النبي عليه السلام تصديقا لما قال.

وهذا أيضا من معزاته عليه السلام التي تكررت في هذا الجزء كانشقاق القمر كمعجزات الإسراء والمعراج كمعجزة إنزال كتاب الله عز وجل عليه الذي أنزله سبحان الله وتعالى وحفظه له عليه السلام.

سورة الرحمن من السور المكية سميت أيضا عروس القرآن لما ورد عنه عليه السلام أو جاء في الأثر أنه قال لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن وربما يكون في سنده شيء من الضعف.

سورة الواقعة جاء فيها ذكر ثلاثة اقوام أو ثلاثة أصناف وهم السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، السابقون هم الذين وفقهم الله لامتثال أوامره والمسابقة إليه.

يعني لاحظوا يا أخوة بعض الناس يوفق لأداء العبادة لكن منهم من يعان ويسدد للمسارعة لأداء العبادة وهذا له أجر عظيم عند الله في قبول الخير وعنده الله في استجابة الدعاء وفي توفيق العبد للسعادة.

والذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا يعني يدعوننا خوفا وطمعا.

وكانوا لنا خاشعين يطبقون معاني القرآن التي أنزلها الله عز وجل في كتابه سارعوا سابقوا وفي ذلك فليتنافس المتنافسون واستبقوا الخيرات فلأنهم قدموا أوامر الله على كل مطمع وكل محاب النفوس وما تحبه النفوس فإن الله عز وجل قدمهم في جناته{ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات نعيم. }

طيب ما الصنف الثاني هم أصحاب اليمين { وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن انشائا فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين. }

أما الصنف الثالث فهم أصحاب الشمال والعياذ بالله الذين قال الله فيهم وأصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ، أوآباؤنا الأولون ، كانوا ينكرون البعث كانوا يصرون على الحنث العظيم وعلى ما تعاهدوا به بينهم على نكث الرسالة ومواجهة النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته

قال الله عز وجل عنهم في سموم وحميم وظل من يحموم ثم قال عنهم بعد ذلك ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم انظر التوعد أو انظر الوعيد الذي يتوعد به رب العالمين أولئك المكذبين للنبي عليه الصلاة والسلام ولرسله.

فمالئون منها البطون فشاربون الحميم هذا نزلهم يوم الدين هذه ضيافتهم التي سنضيفهم بها في الدنيا وهذا من قبيل السخرية والتهكم بهم.

ويدلك هذه الآيات العظيمة على معنى جليل عظيم وهو أن من أراد الله به خيرا هداه لقبول الرسالة وهداه لإستماع القرآن وهداه لتدبره وهداه للإنضمام في سلك الطائعين لله الواحد الأحد جل وعلى فإن أولئك قد أنزل الله عليهم قرآن وجاءتهم الحجج والرسل والمعجزات الباهرة والله عز وجل أنزل على عبده محمد عليه السلام قرآن يناقشهم عقليا ويعدهم ويخوفهم ومع ذلك كثير منهم لم يسلم لم يطع الرسول عليه السلام.

فيه الحقيقة إشارة عظيمة إلى أهمية ان يسأل الله صلاح قلبه وهداية فؤاده أن يسأل الله عز وجل أن يكون في سلك الطائعين المنضمين لحزب المفلحين فإن هذا كان من هدي الحبيب عليه الصلاة والسلام فإنه كان يكثر من قول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك ، وكان عليه السلام يقول إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

من الفوائد أو الإستشكالات التي قد يستشكلها البعض قول الله عز وجل في سورة الرحمن والنجم والشجر يسجدان في قوله سبحانه وتعالى الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيبييان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ما رابط أن يجمع الله بين النجم والشجر.

الصواب أن النجم المقصود ليس هو النجم المعروف النجوم في السماء إنما النجكم هو النبات الذي لا ساق له مثل ماذا ؟

مثل البطيخ القرع فإنه لا ينبت بشكل قائم كالنخيل أو غيرها من الأشجار لا يكون له ساق إنما ينبت بجذور وأغضصان على الأرض كالبطيخ كما أسلفت والقرع وغيرها من النباتات فالنجم والشجر يسجدان.

وهذا مصداق قول الله وإن من شيء لإإلا يسبح بحمده ، ما معنى والنجم والشجر يسجدان هل يسجدان حقيقة مع أن هذا غير وارد يعني عقليا غيؤر وارد فيقال في هذا أن ظلهم يسجد لله أن ظل الشمس والقمر يسجد لله بكرا وعشية وهذا أيضا قول يعني الإمام مجهد وسعيد ابن جبير.

أما المعنى الثاني فإن الشمس والقمر يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان حتى ينكسر فذلك سجودهما ويحتمل هذا المعنى معان أخرى يعني لا داعي لذكرها حتى لا نطيل.

تكرر قول الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان لماذا تكررت هذه الآية كثيرا في سورة الرحمن لأن الله عز وجل يريد أن يؤكد نعمه وآلاه فبأي آلاء أي فبأي نعم ربكما تكذبان.

أيضا جاء انظر التدبر كيف يفتح الله به على الإنسان أن رجلا أعرابيا قرأ سورة الواقعة انظر أحيانا بعض طلبة العلم أو بعض من فتح الله عليه في حفظ القرآن تمر عليه بعض الآيات فلا يتأثر وبعض العامة أحيانا ربما لا يتستطيع أن يكمل الفاتحة لعظيم أهميتها او آية الكرسي.

فمر على قول الله عز وجل في سورة الذاريات { وفي السماء رزقك وما وتعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون. {

لما سمعها الأعرابي قال سبحان الله يا سبحان الله من أغضب الجليل حتى حلف ألم يصدقوه في قوله حتى ألجئوه إلى اليمين يا أخي لا تحتاج إلى حلف أن يأتي إنسان لتصدقه في ذلك هذا أمر جبلي فطر عليه الإنسان أن رزقه من عند الله.

ولأن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فإن الإنسان بفطرته الصحيحة السليمة ترشده وتدله على أن الخالق هو الله عز وجل وفي هذا دلالة يا أخوة كبيرة جدا أن القرآن ميسر ولقد يسرنا الإنسان القرآن للذكر فهل من مدكر.

قال السعدي فهل من طالب علم وفهم فيعان عليه حتى لا يقول إنسان القثرلآآن صعب أو صعب أن يتدبر قال هذا يورثه صدق اليقين ثيورثه قوة الإيمان يورثه حسن الظن بالله وقوة التوكل عليه جل وعلى.

جبير ابن مطعم قرأ سورة الطور أو مرة وهو كافر قبل الإسلام فسمع قارئ يقرأ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون.

قال والله كاد قلبي أن يطير يعني لم يستطع أن يتمالك نفسه وهذا من بلاغة القرن وقوته أسأل الله أن يحي قلوبنا بالإيمان وأن يعمرها بطاعة الرحمن ألقاكم في الحلقة القادمة وفي الجزء الثامن والعشرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثامن و العشرين من القرآن تاريخ الحلقة : ٢٨ / ٨ / ٢٠١١**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه وعبده مشاهدي الكرام أرحب بكم في لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب وموعدنا اليوم مع الجزء الثامن والعشرين الذي يحوي تسعة سور .

سورة المجادلة ، الحشر الصاف الجمعة المنافقون التغابن والطلاق والتحريم ، أول سورة في هذا الجزء هي سورة المجادلة ويقال سورة المجادلة نسبة إلى من نزلت فيها هذه الآية وهي خولة بنت ثعلبة التي كانت تجادل في زوجها .

جاء في سبب نزولها تقول عائشة ما أوسع علم الله وإحاطته جل وعلى ، فقد كنت في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وخولة تجادله في زوجها يعني تشكوا إليه زوجها الذي ظاهرها .

فتقول لم أكن أسمع فلم أكن أدري أو أحيط بما تقوله له عليه السلام فسبحان من وسع علمه كل شيء سبحانه وتعالى فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك ففي زوجها فأنزل سبحانه وتعالى الحكم في تلك المسألة .

وهذا فيه إشارة إلى علم الله وسعة إحاطته سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فهذا أيضا فيه إشارة إلى أن يتقي العبد ربه جل وعلى في سره وعلانيته خصوصا في ذنوب الخلوات التي تحدث بين العبد ونفسه .

فإنه سبحانه وتعالى ذم الذين يستخفون من الناس ولا يبعبئون بإجلال الله ، يستخوفن من الناس ولا يستخوفن من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول فهذا أيضا يدلك على عظم هذا الامر العظيم لذا رتب الله عز وجل على العبادات الخفية الجزاء الأعظم من العبادات التي تكون في العلن أحيانا .

ولذا دائما كما تكون العبادات الخفية السرية الباطنية التي في باطن الإنسان أقرب إلى القبول وأدعى إلى الإخلاص وفيها تمام صدق الإنسان لأنه إن ترك ذنب أو معصية على فعل خير بينه وبين نفسه الله فإنه لا يقدم على ذلك إلا لصدقه مع الله سبحانه وتعالى .

سورة المجادلة أيضا هذا الموضوع الذي في سورة المجادلة جاء التأكيد عليه في وسط السورة بقول الله جل وعلى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } .

ربما يسأل البعض عن معنى المظاهرة في قول الله عز وجل الذين يظاهرون منكم من نساءهم وقوله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون .

هذه السورة العظيمة جاء فيها أحكام الظهار أحكام التناجي آداب المجلس يا أيها الذين آمنوا تفسحوا في المجالس فافسحوا حكم التناجي يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى أي بالعمل الصالح والكلام الطيب الرشيد .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تناجي الإثنين دون الثالث إذا كانوا ثلاثة نفر أن لا يتناجيا دون الثالث فإنه قد يأتي في نفسه شيء من الشك أن هذين الإثنين ربما يتحدثان عنه بالسوء .

أما حكم المظاهرة التي جاءت في أول السورة فالمقصود به أن يقول الرجل لزوجته أنت علي كضهر أمي يعني يحمرها على نفسه أنت لا أقربك ولا أمسك كأنك بمثابة أمي .

فقد جاء أيضا النص على تحريم هذا الأمر لأنه من الأمور التي يحرم فيها العبد ما أحله الله له ثم جاء بعد ذلك كفارة هذا الظهار بقول الله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودان ماقالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا من قبل أن يمس تلك المرأة .

فإن لم يجد تلك الرقبة ماذا يفعل ؟

يأتي إلى الصنف الثاني وهذه أمور بالمناسبة ليست على الإختيار وإنما هي على الترتيب فيأتي أولا بعتق الرقبة أو تحرير الربة فإن لم يجد يأتي بعد ذلك إلى درجة ورتبة الصيام .

وهذا الصيام أيضا حدده الله في هذه السورة وفي هذه الآية بستين يوما ، وستين يوم مقصود بها شهرين ثم إن لم يستطع لعجز أو مرض أو تعب أو كبر سن فإنه يأتي إلى الرتبة الثالثة وهي إطعام ستين مسكين .

ختم الله هذه الحدود بقوله تلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم .

يشير فيها رب العالمين عز وجل إلى عدم التساهل مع حدود الله والتراخي في أداءها والتلاعب بأحكام الله جل وعلى .

طيب يلي سورة المجادلة سورة الحشر هذه السورة العظيمة التي هي سورة الغزوات والجهاد والفيئ والغنائم ، سورة الحشر هي سورة مدنية وتحدث فيها عن غزوة بني النظير وهم اليهود لأنهم نقضوا العهد مع المصطفى صلى الله عليه وسلم .

لذا جاءت السورة في أغلبها تتحدث عن هذا المقصد العظيم وهو الحديث عن نقض عهد النظير مع النبي عليه السلام ، العباس ترجمان القرآن كان يسمي هذه السورة سورة بني النظير لأنه جاء فيها حديث عن أولئك اليهود وتحالف المنافقين معهم .

جاء فيها أيضا ذكر فضائل المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضل من الله ورضوان وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ، الله عز وجل يصفهم بالصدق طيب لماذا يأتينا فريق أو طائفة ويكذبون ويلعنون ويسبون أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

إذا هم يخالفون أمر الله ويكذبون الله عز وجل بنص القرآن ، فعليهم من الله ما يستحقون ، جاء فيها ذكر صفات بعض أهل الإيمان وهو الإيثاء وحب بعضهم بعض وتواد بين بعض ، والذين تبوئوا الدار ، الدار المقصود بها المدينة تسمى المدينة .

والذين تبوئوا الدار أي سكنوا الدار ونزلوا بها والإيمان يحبون من هاجر إليهم وهم الأنصار ، يعني الأنصار يحبون من هاجر من المهاجرين ولا يجدون في صدورهم حاجة من ما أوتوا .

الإنسان بطبيعة نفسه لما يكون مستقر في بيت أو بلد أو قرية أو مدينة أو مكان معين ثم يأتي من يزاحمه في هذا المكان أو يستفيد من خيرات بلده او مجتمعه أو قريته فإنه ربما يجد في نفسه حرجا ولكن الله عز وجل برأ أولئك الأنصار من تلك التهمة أو من ذلك الحرج الذي يأتي في نفوسهم .

ختمها الله عز وجل بذكر أحوال اليهود وأنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، تحسب ان ظاهرهم أنهم مع بعضهم البعض وأنهم مستمسكون ومتحدون وحقيقة الواقع أنهم متفرقون فالله عز وجل بنص القرآن يعني قد فضحهم في كتابه ثم يختمها بذكر أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته وذكر عظمة شأن هذا القرآن لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله .

يلي سورة الحشر سورة الصف وهي تتحدث عن موضوع القتال وجهاد أعداء الله والتضحية في سبيل الله ذكر موقف موسى عليه السلام وعيسى ، وإذ قال موسى لقومه لما تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم وحثهم على نصرة الله عز وجل كما جاء أيضا في قصة عيسى عليه السلام .

لماذا خص الله موسى وعيسى فقط في سورة الصف بذكرهما قيل لأنهما من أفضل أنبياء بني اسرائيل ولأنهم اولي العزم من الرسول لذا جاء ذكرهما في هذه السورة .

طيب بعد السورة الصف تاتي سورة الجمعة التي سميت باسم اليوم العظيم في الأسبوع الذي تقام فيه شعيرة صلاة الجمعة وفيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله عز وجل إلا أعطاه إياها .

سورة الجمعة سورة مدنية تدور أحكامها على بيان أحكام صلاة الجمعة وأهمية القيام بالعلم الشرعي ونبذ التهكم بحال اليهود الذين يحملون العلم ولا ينتفعون به فإن ثمرة العلم العمل والله عز وجل يقول في هذه السورة مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها .

أي حملوها جعلوها في أذهانهم أو حفظوها ثم لم يحملوها أي لم يقوموا بالعمل بها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، كمثل الحمار الذي يحمل أسفار والأسفار ليست الكتنب بل الكتب الكبيرة فإنها لا تنفع ولو حمل فوق الحمار شهادة دكتوراة وماجستير فإنها لا تنفعه إذا لم يعمل به .

أيضا هناك أسرار في هذه السورة العظيمة سنستعرضها بعد الفاصل إن شاء الله .

---

أيها الأخوة سورة الجمعة سميت بالجمعة لذكر ذلك اليوم العظيم عيد الأسبوع الذي تقام فيه شعيرة الجمعة تأكيد لشأنها وعظيم حقها .

في الجاهلية بالمناسبة كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ماذا يقصودن يوم العروبة يقصدون به يوم الرحمة كما قال السهيلي أما أول من سماه بيوم الجمعة فهو كعب ابن لؤي سميت الجمعة حين اجتمعوا لها يجتمعوا من كل مكان لأن الجمعة لا تقام غالبا إلا في مسجد واحد في القرى أو البوادي خلاف المدن لكثرة سكانها وتقارب بنيانها .

فلذا إنهم يأتون في كل مكان فشرع فيها ذكر النصيحة العامة وتوجيه المسلمين وقراءة سورتي الأعلى والغاشية أو الجمعة ومنافقون لما فيهم تذكير بيوم المعاد تذكير بحث الأنبياء تكذير باليوم الآخر التذكير بترسيخ العقيدة الإسلامية في القلوب .

أيضا من ما جاء في سورة الجمعة قول الله جل وعلى في آخرها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ } في قوله جل وعلى فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع فيه لطيفة أنه ينبغي للمسلم يقوم لصلاة الجمعة بهمة وعزيمة ونشاط لأن اللفظ لفظ السعي يدلك على هذا المعنى .

يعني لم يقل الله عز وجل إذا نوديتم إلى صلاة الجمعة فاذهبوا فامشوا إليها بل قال فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ولذا حرم البيع بعد النداء الثاني أما النداء الاول الذي هو الأذان الأول لصلاة الجمعة فلا بأس بالبيع مع أن الأفضل أن يذهب الإسنان لصلاة الجمعة امتثلا لله عز وجل.

أما لو باع إنسان بعد النداء الثاني فإنه لا يجوز وهو محرم خصوصا ما نلاحظه الآن من بيع بعض الناس لمثل بعض المبيعات أو حتى ما يباع من سواك أو نحوه عند أبواب المسجد أو ربما باعه البعض داخل المسجد أو اسوار المسجد فإن هذا حقيقة لا يجوز أن يباع داخل المسجد وكذلك أن يباع بعد النداء الثاني عفلى من شاهد هذا أن ينصح برفق ولطف.

يقول الحسن البصري عند ذكر قول الله فاسعوا لذكر الله وذروا البيع ثقال والله ما هو سعي على الأقدام الإنسان للذهاب إلى صلاة الجمعة كلا ليس هذا المقصود بل أن يسعى بنيته وقلبه لكنه سعي بالنية والقلب .

وهذا أيضا يدلك على المعنى الغائب عن بعضنا اليوم في تعظيم شأن صلاة الجمعة البعض لا ينام إلا قبل الفجر بساعتين يوم الجمعة لا يستيقظ أو يستيقظ بعد دخول الخطيب أو بعد الإقامة يأتي بملابس النوم يأتي بملابس غير نظيف يعظم ذلك اليوم بطهارته بتبكيره السلف الصالح كانوا يأتون إلى صلاة الجمعة بسرج معناه قبل خروج الصبح أو بعد اسفار الشمس تعظيم لذلك الأمر .

أعرف بعض المعاصرين ويدخل الجامع لينتظر صلاة ا لجمعة يقول أبدأ من سورة الفاتحة اقرأ القرآن بعد صلاة الفجر لا يدخل الخطيب إلى المسجد إلا وقد وصلت إلى سورة الناس فهو يختم اسبوعيا ما شاء الله فقط في هذا الوقت الذي يضيع على كثير من الناس في النوم .

يلي سورة الجمعة أيضا سورة المنافقون التي خصصها الله عز وجل لأولئك القوم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان سورة المنافقون سورة حقيقة تناولت بعض أحكام ا لمنافقين وما كانوا يذكرونه من تهم حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني بعض الأمور التي كانوا يبطنونها ويخفونها من الإستهزاء يقولوا رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز من الأذل .

يقولوا لا تنفقوا من عند رسول الله حتى ينفضوا يصف الله أحوالهم بوصف دقيقة ، إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ترى أجسامهم كاملة ذات بنية كبيرة آتاهم الله بسطة في الجسم لكن ذلك لا يعني صلاح ما بداخل هذه الأجساد .

يقول وإن يقولوا تسمع لقولهم جميل نحن نريد أن نحافظ على المرأة لأنها نصف المجتمع نحن نريد أن تخلغ الحجاب حتى لا تقع لأن الحجاب ربما يسقطها نحن نريد أن تقود السيارة وأن تذهب وتمثل وتخالط الرجال حتى يكون هنالك اعتدال .

أو حتى يظن الغرب بنا أننا نبخس حق المرأة ومن أمثال هذه الضلالات التي ربما يبثونها وينخدع بها ضعاف النفوس أو عامة الناس أو بعض عامة الناس .

وإن يقولوا تسمع لقولهم .

قال الله عنهم كأنهم خشب مسندة والله إنهم لا يتحركون إنما الشيطان هو الذي يحركهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم يحسبون كل من نادى عليهم أو كل من حذر من طائفة معينة أو شخص ينتسب إلى هذه الفئة فإن كل واحد يقول إذا هو يقصدي يعنيني ومن صدق مع الله وصحت نيته لله فإنه لا يشك في مثل هذا وإنه يسير وهو مرتاح القلب صافي الذهن لأنه يعلم أنه يعمل لله ولأجل الله وأنه مع الله وأنه في ركب أنبياء الله وعلماء الشريعة الذين يسيرون على منهج الله جل وعلى .

قال الله عز ول واصفهم حالهم هم العدون لأنهم ينحرون من الداخل ، لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار أيها الأخوة لأنهم أشد خطر على أهل الإسلام فالمسلم يعلم أن هذا كافر فيجتنبه أو يحذر من عقيدته وما يبثه من سموم أو أوهام لكن المنافق بالعكس تحسبهم يعجبك قولهم تسمع لكلامه يعجبك مقاله .

لكنه في النهاية يبطن أمرا سيئا وخبثا والعاذ بالله كبيرا ، ختمها الله عز وجل بتذكير اهل الإيمان وتذكير حتى أولئك المنافقون بأنهم قد يخسرون أنفسهم وتذهب أعمارهم فلتة بقوله جل وعلى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل أولئك هم الخاسرون وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين قال الله ولن يأخر الله نفسا إذا جاء اجلها والله خبيرا بما تعملون .

يلي سورة المنافقون سورة الممتحنة ويقول أيضا الممتحنة جاء فيها ذكر الولاء والبراء وما يتعلق بهذا المعنى الشريف العظيم الذي هو أمر قلبي يعني على أهل الإسلام أن يستمسكوا به خصوصا مثل هذه الأزمنة المتأخرة التي اختلط بها أو ضعف فيها تمسك البعض بهويتهم الإسلامية .

وربما إنجذبوا سواء شعروا أو لم يشعروا إلى الدعواة الغربية أو ما يبثه المنافقون في المجتمعات الإسلامية أو إنسلخوا حتى من الهوية الدينية والإعتزاز بأدواتهم التي تنتسب إلى دين الإسلام .

غياب القدوة غياب مشهد الإقتداء بأنبياء الله ورسله وسلفه الصالح وخيرة عباده الصالحين سواء كانوا من العلماء او المثقفين أصحاب المبدأ الطيب فإنك تلمس أحيانا الابتعاد عن هذه الهوية الإسلامية فالله عز وجل يرسخ في هذه الصورة العظيمة هذا المبدأ وهو مبدأ الولاء والبراء على منهج الله جل وعلى .

وربنا دائما ما يذكر بعض المواقف التي تدلك على هذا المعنى فذكر في هذه السورة قصة سيدنا موسى عليه السلام وما قعله قومه مع أن الموقف الصعب وكون الإنسان يتبرأ من والده أو والدته أو قريبه خصوصا إذا كان مشركا .

طبعا نحن قفزنا سورة الممتحنة التي تلي سورة الحشر لكن لأني نسيتها أعدتها في هذا الموضع وإلا هي بعد سورة ا لحشر .

الحشر ثم الصف ثم الجمعة ثم المنافقون ثم التغابن الذي سمي باسم من أسماء يوم القيامة ثم الطلاق التي ذكر الله فيها أحكام الطلاق وهي قريبة في معانيها وأحكامها من آيات الطلاق في سورة البقرة ثم تختم بصورة التحريم .

أو على الأقل مررنا من جزء من بعض الفوائد والتعرف بهذا الجزء الثامن والعشرين لا أزعم أنه أتينا على جزء من ما أعددته لكن بحسب المرء إن شاء الله أن يدل على الخير ويبقى الموضوع حقيقة لكم أنتم في قراءتكم للجزء واطلاعكم على بعض تفاسيره والكشف عن بعض معانيه أسأل الله أن يحي قلوبنا بالقرآن ألقاكم إن شاء الله على خير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء التاسع و العشرين من القرآن تاريخ الحلقة : ٢٩ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله رب العالمين ، اللهم لك الحمد على نعمك العظيمة وعلائك الجسيمة وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة ونعم المسداة نبينا محمد عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أيها الأخوة والأخوات مرحبا بكم إلى لقاء جديد من برنامجكم ربيع القلوب وموعدنا والجزء التاسع والعشرين من كتاب الله الذي يسمى جزء تبارك الذي افتتحه الله عز وجل بسورة تبارك سورة الملك.

وهذا الجزء الحقيقة كله من السور المكية بخلاف الجزء الثامن والعشرين الذي كان معنا في الحلقة الماضية فقد كان كله من السور المدنية.

وهذا الجزء جزء تبارك له طابع مميز الحقيقة لأنه تميز في مقاصده العظيمة وفي تسلسل آياته وفي جمالية آياته أيضا ، هذا الجزء يعالج أو يؤكد على معان عظيمة أكد عليها القرآن في أغلب آياته وهو إن شاء العقيدة وإحياءها في القلوب سواء كانت القلوب المؤمنة أو قليب من لم يؤمن بالله.

التأكيد على موضوع اليوم الآخر وزرع مهابته في النفوس التريف بالخالق أيضا سبحانه وتعالى وبث آلاءه ونعه والتعريف بها من ما يجعل القلب يتحرك نجو موجده وخالقه والتفكر في آلاءه ونعمه سبحانه وتعالى.

تجد في هذه السور أيضا تصوير لآيات الجنة وأحوال أهلها وما أعدها الله لهم وما يجازي به المنافقون والكفار وغيرهم ممن كذب رسالة الله عز وجل وما أعده لهم من العذاب الأليم والعقاب الشديد.

كذلك نجد فيه بعض قصص الأمم الغابرة والأمم السالفة الذين عصوا الله ورسوله وكذبوا أقوامهم ولم يستجيبوا لدعوتهم ، افتتح الله عز وجل سورة أو جزء تبارك هذا الجزء التاسع والعشرين بسورة الملك وهي سورة عظيمة فيها من المهابة الشيء الكبير إنها تتحدث عن ملك الملك جل وعلى.

افتتحها الله بقوله {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ. }

هذه السورة العظيمة تدلك على معان جليلة رفيعة القفدر كبير ةالقدر إنها معاني الملك والوحدانية للواحد الأحد جل وعلى تلك المعاني التي يغرسها اله عز وجل في قلوب عباده ليعبدوه حق عبادته ليعظموه حق تعظيمه جل وعلى فإذا حصلوا هذه الدرجة الرفيعة خابت في نفوسهم وضعفت عبادة غير الله وأصبحوا يقدرون الله حق قدره.

إذ أنه سبحانه هو الخالق هو الموجد هو المحي هو المميت هو الرزاق جل وعلى ، ثم بعد ذلك أمثلة لبعض مخلوقاته التي تسبح بحمده وفيه بيان معجزاته يقول سبحانه وتعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ. }

يقول سبحانه وتعالى أو لم يروا إلى الطير أو لم يتفكروا في تلك الطيور وتلك المخلوقات إذ أنها تطير في السماء وفي ذلك الهواء تقبض أجنحتها وصفها فوقها ، صافات أي تصف أجنحتها وهي تطير ثم تقبضها وهذا من معجزات الله عز وجل في هذا المخلوق العجيب.

قال ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير ، ما معنى لا يمسكهن إلا الرحمن أي أن الله عز وجل سخر لهن هذا الهواء ولولا أنه سخر لهم ذلك الهواء لسقطت الطيور وفي ذلك سبحان الله اكبر آية ومن أعظم معجزات الله جل وعلى.

قال مجاهد وقتادة تصف أجنحتها تارة وتقبضها تارة فهذا قوله سبحانه وتعالى صافات ويقبضن ، يلي سورة الملك طبعا ذكر الله عز وجل في ختام سورة الملك بعض النعم كقوله قل أرئيتم إن أصبح مائكم غورا فمن يأتيكم بماء معين.

أي إن غارت تلك العيون وتلك المياه في الأرض فمن يأتيكم بماء معين نقي زلال عذب صاف يشير ربنا هنا إلى معنى عظيم وهذا المعنى هو تذكر النعمة اليسيرة عند البلاد لكنها عظيمة في حال فقدها كما جاء عن بعضهم أن الماء هو أعظم مفقود وأرخص موجود.

الماء أعظم مفقود وأرخص موجود ، لا يكاد يهبه الإنسان آذا وجده أمامه لكنه إن فقده فإنه من أعظم ما يفقد العبد لإرتباط محتوى هذا الجسم سواء من الأملاح المعدنية والتي يعني يفيض عليها الماء أو يتناسق في تركيبها ما هو بداخل ذلك الجسم فإذا فقده فإنه قد يموت والعياذ بالله.

من ترك الطعام أو فقد الطعام ربما لا يموت لكن من ترك ذلك الماء فإنه ربما مات وظمر جسمه وجفت عظامه ولذا يقول ربنا جل وعلى أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا أي جعلناه مالحا غير سائغ في الشراب فلولا تشكرون فهو سبحانه وتعالى يؤكد على هذا المعنى العظيم وهو موضوع الشكر والشكر يا أخوتي وأخواتي ليس هو مجرد الحمد والثناء باللسان على الله جل وعلى.

إنما المقصود به أن يجتمع الحمد باللسان والشكر بالجوارح ، صلاتك عبادتك ذكرك تركك للحرام فعلك للواجبات هذا هو الشكر.

يلي سورة الملك سورة القلم وهذه السورة العظيمة سورة القلم نزلت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بحوالي ثلاث سنوات فإنها من السور التي جاء فيها التأكيد على شرف قدر النبي صلى الله عليه وسلم بقدره قسم نون بهذا الشرف قيل النون هو الحبر والقلم وما يسطرون يعني النون الحبر أو الدواة التي يأخذ منها للكتابة ما أنت بنعمة ربك مجنون.

وهنا أيضا لفتة في ربط ذلك النبي الكريم عليه السلام بربه ما لم يكن لله ما أنت بنعمة الله بمجنون ما أنت بنعمة ربك وهذا أيضا اصطفاء ربط لقدره صلى الله عليه وسلم بربه جل وعلى فإنه سبحانه وتعالى ينسبه إليه جل وعلى فيقول ما أنت بنعمة ربك وهذا من أشرف الأوصاف فإنه جل وعلى قد وصف نبيه بالشرف العظيم فقال سبحان الذي أسرى بعبده ولم يقل بنبيه مع أن هذا من تمام التشريف.

كيف يصف العبودية وأنا أقول هذا الشرف لماذا لم يقل سبحان الذي أسرى بمصطفاه سبحان الذي أسرى بحبيه سبحان الذي أسرى بنبيه قيل لأن العبودية هي أشرف المقامات إذا قيل أنت أنت عبد لله فهذا والله أشرف المقامات.

ولذا فيها الحرية فيها السعادة فيها كمال ، كما قال شيخ الإسلام من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية فإن العبد كلما كان عبدا يعني صر ف عبادته كلها لله عز وجل كان ذلك شرفا له.

ومن ما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطئ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا ، سورة القلم أيضا جاء بها ذكر قصة أصحاب الجنة وهم الذين لم يؤدوا شكر نعمة الله عليهم في تلك الجنة أي تلك الحقل أو المزرعة أو تلك كما يسمى في بعض البلاد أو يسمى باللغة العربية بالكفر فإن أولئك القوم أنعم الله عليهم بتلك النعم ثم لم يجازوها بالإحسان والشكر فدمر الله عز وجل عليهم تلك الجنة فأصبحوا وقد أصبحت قاع صفصفا كما وصفها الله عز وجل بقوله على لسانهم أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين.

دخلوها وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكينا قال وغدوا على حرد قادرين جعلها الله قاع صفصفا جزاء عقابهم وعدم أداء شكر هذه النعمة العظيمة.

ما رأيكم أن نواصل بعد هذا الفاصل ابقوا معنا.

---

يلي سورة القلم سورة الحاقة التي سميت باسم يوم من أسماء يوم القيامة وهي حقيقة من السور التي يرتجف منها الفؤاد وتهتز لها القلوب والعقول.

يليها أيضا سورة المعارج وجاء فيها ذكر شيء من صفات أهل الإيمان إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم.

هذه السورة العظيمة فيها عدو فوائد منها قول الله عز وجل إن الإسنان خلقا هلوعا ، لماذا قال الإنسان خلق هلوعا هذا الحقيقة يدلك على صفة من صفات البشر وهي جبلة زرعة وجبل عليها كل عموم البشر.

يعني يبين الله فيها أن الإنسان دائما يكون متسرعا هلوعا شروفا باتباع هواه وما تشتهيه نفسه وأنه مفرط حتى في الله ع قال إذا مسه الجذع كان جذوعا يبالغ في الجذع والله ع والتشكي والتسخ فإذا نزل به الخير قال إنما ذلك من عند وربما أفرط في الثناء وأفرط في الفرح بتلك النعمة والله عز وجل يقول لا تفرح طيب وقال في آية أخرى لا تحزن ما المقصود كل هذه الآيات المقصود بها أن يعتدل الإنسان.

لا تفرح أي لا تبالغ بالفرح وكن ذا فرح شرعي ليس الفرح الذي يصاحبه البطر والغرور والتكبر على الآخرين ونسبة النعمة إلى ذات العبد وأنها بشطارته أو اجتهاده ولكن أيضا افرح واستبشر بنعمة الله بذلك فليفرحوا واحمد الله على تلك النعمة واشكرها عليها أما قول لا تحزن أي لا تبالغ بالحزن.

أما الحزن الطبيعي يعني الذي جبلت عليه النفوس فهذا أمر طبيعي جبلي فطري إن القلب ليحزن وإن القلب لتدمع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا نقول إلا ما يرضي الرب هذا يدلك على الحزن المبالغ فيه لذي فيه شيء من الغلو الذي يتبعه التسخط ضرب الخدود ق الجيوب الإعتراض والعياذ بالله على حكمة الله وأقداره سبحانه وتعالى.

فهذا مصداق قول الله وإذا مسه الشر كان جذوعا هذا عموم البشر ، اصطفى الله منهم أناس وفئة قال {إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ *وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ *فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ. }

سبحان الله ، يلفت النظر ذكر فضل الصلاة ومدح أهل الإيمان بمحافظتهم على الصلاة في بداية المقطع وبداية ذكر صفاتهم بقوله إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ثم ختم هذه الآيات بقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون.

أيها المباركون قول الله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون وقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون فيه دلالة جليلة وكبيرة على أن الصلاة ثقيلة على النفوس بطبيعة الحالة ولذا قال عنها ربنا وإنها لكبيرة أي أن الصلاة ثقيلة وكبيرة وعظيمة إلا على الخاشعين أي أنهم يستعظمون شأنها ، يقدرونها حق قدرها يبادرون إلى تأديتها بكامل أركانها وواجباتها وشروطها وسننها.

وفيها إشارة أخرى إلى ان الصلاة من أعظم العبادات التي تربط العبد بربه كيف لا وهي الصلاة التي سميت صلاة لأنها تصل بين العبد وبين ربه جل وعلى.

الفائدة الثالثة أن كثير من المعاصرين أو بعض السلف وقد ورد هذا المعنى عند السلف وعند بعض المعاصرين وهو شدة تمكنهم من الصبر عند نزول البلاء بالإستعانة عليها بالصلاة.

ألم يقل الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة ، يقول عند نزول المصيبة إلجئ إلى أمرين الصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين أو كما قال الله واستعينوا بالصبر مع الصابرين.

ذلك الرجل الصالح الذي أظنه عبد الله ابن الزبير حينما أرادوا قطع قدمه فقال أرادوا قطعها وتعرفوا لا يوجد عندهم مسكنات ولا مهدئات ولا بنج ولا نحو ذلك فقال لا استطيع أن تقطعوا تلك القدم أو تلك الرجل كاملة مني إلا حينما أغيب حينما أكون قد انشغل بالي بأمر عظيم قيل وكيف ذلك.

قيل لا تقطعوها إلا حينما تروننني قد دخلت في الصلاة ، هو يعرف نفسه إذا دخل في الصلاة غابت عنه أمور الدنيا والملذات ومباحات الأمور وتعلق قلبه بالواحد الأحد جل وعلى فلما كبر وقال الله أكبر ودخل في الصلاة أتو إليه وأرادوا قطع قدمه فلم يشعر إلا بعد قطع رجله وسيلان الدم ونزيفها ثم بعد ذلك سقط.

أحد المعاصرين قصة لي قصته كان في طريق سفر وأراد أبناءهم أن يركبوا مع خالهم الذي في السيارة التي أمامه ، سيارتين يسفرون مع بعضها البعض الأبناء بطبيعتهم لما يرون خال أو أخ لهم في سيارة أخرى يقولون نريد يا والدي نركب معه تغيرا لجو المعتاد.

أذن لهم والدهم فذهبوا وركبوا مع خالهم ، الخال الآن في السيارة الأمامية والوالد والوالدة وأن بعض الأخوة الكبار كانوا في السيارة التي تليهم.

فجأة حصل حادث لسيارة خالهم انقلبوا أمام أعي نواديهم فتناثروا من نوافذ السيارة حتى ارتطمت رؤوسهم بالحجارة وبقاع الطريق ، والله يا أخوة من قص علي القصة يقول نزل ذلك الرجل بعد هو عظيم وكرب شديد وكبر لله الواحد الأحد وركع ركعتين امتثال لهذه الآية.

استعينوا بالصبر والصلاة ، يقول أنا أعرف أنهم ماتوا الآن وأنهم انتقلت روحهم يقول هل أجزع هل أبكي هل أتسخط هل أضرب نفسي هل أموت معهم أذبح نفسي لن أستطيع إلا أن يعينني الله على ذلك الكرب.

كبر صلى ركعتين ثم ذهب إليهم وعليه ا لسكينة والوقار وربما بعضكم الآن يقول كيف تحمل ذلك نقول إن الله عز وجل ينزل في قلب العبد السكينة والهدوء وليس ذلك من برودة القلب أو عدم اللامبالات أو عدم الإهتمام بعظائم الأمور كلا ليس ذلك المقصود فإنه قد نزل إليهم وأعانهم وأسعفهم لكن ذلك بالميزان الشرعي بدون تسخط وتعد على أوامر الله وأقداره.

هذا يدلك على هذا المعنى العظيم وهو أهمية الصلاة ، هذه الأمور يا جماعة لا يمكن الإنسان تحصل له فجاة إنما تحتاج إلى دربة تحتاج إلى رصيد من العمل الصالح والمحافظة على الصلاة فإذا نزل الكرب وحلة المصيبة وجد العبد أنه قادر على تحمل هذا.

يقولون إن الدابة لا تعلف عند العقبة إذا جاءت العقبة الصعبة فإن الدابة لا يمكن أن تعلف ، نعلفها حتى تستطيع أن تصعد هذا المرتقى الصعب لا ، يعني ندربها ونعلفها قبل ذلك.

وكذلك النفس إذا روضت على الخير على العبادة والصبر والإحتساب فإن حال .. نسأل الله السلامة حال نزول الكرب أو المصيبة أو الوفاة المفاجئة تكون إلى حد ما مروضة على ذلك.

يلي سورة المعارج سورة نوح عليه السلام التي ذكر فيها قصته مع قومه وفيها إشارة عظيمة للدعاة ودعوتهم إلى الله ثم سورة الجن التي ذكر الله فيها ذكر النفر من الجن حال رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف حينما أوذي من ثقيف وأنهم آمنوا به تسلية له أن هناك من يؤمن هناك من يكفر هناك من غير الإنس من يسلم بك يا محمد ويسلم لرسالتك ويؤمن بشريعتك.

ثم تختم بسورة المزمل والمدثر وهما سورتان من أول ما نزلتا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أيضا تليها سورة القيامة وسورة الإنسان والمرسلات التي تتحدث عن بدأ الخلق وتعظيم شان الواحد الأحد في قلوب العباد والتذكير بيوم المعاد.

بهذا نكون قد أتينا على تعريف لهذا الجزء التاسع والعشرين والإشارة إلى بعض الإشارات أسأل الله أن يحي قلوبنا بكتابه وأن يعمر أوقاتنا ذكره وشكره وحسن عبادته حتى ألقاكم طبتم وطاب مسائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.....

**اسم الحلقة : الجزء الثلاثون من القرآن ( جزء عمّ) تاريخ الحلقة : ٣٠ / ٨ / ٢٠١١**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه وعبده وعلى آله وصحبه.

أيــها الإخوة والأخوات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومرحباً بكم إلى اللقاء الأخير من برنامجكم ربيع القلوب ، هذا البرنامج الذي عشنا نحن وإياكم فيه على مدى ثلاثين حلقةً نستعرض فيها بعض الوقفات التدبرية مع كتاب الله عز وجل ، وكنا في كل حلقة نستعرض جزءً من القرآن حتى منّ الله عز وجل علينا بختم هذه الأجزاء في هذه الحلقة الأخيرة وهي الحلقة الثلاثون.

طبعاً معنا اليوم الجزء المعروف وهو جزء عم وهو الجزء الأخير من كتاب الله عز وجل ، هذا الجزء الذي كله صوره مكية عدا سورتين سورة البينة وسورة النصر كانتا سورتين مدنيتين لأن سورة النصر كما تعرفون هي من آخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان فيها الإشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام.

فقد كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه وكبار صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام جالسين في مجلس فنزلت هذه الآية على النبي عليه الصلاة والسلام فسئل عنها فقال بعضهم أنه المقصود بها فسّرها يعني بعدة تفسيرات ، يعني هم يسألون ما المقصود بـــ { إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ{١} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً{٢} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً } ، ما المقصود ؟.

فأجابهم أحدهم أنها قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج عمر قال له ابنه : والله لقد كانت في نفسي يعني كنت أعرف الجواب.

فقال : لو قلت الجواب لكان أحب إلي من كذا وكذا.

فالصواب أن معنى السورة هذه السورة اليسيرة ذات الأجر العظيم والقدر الكبير أنها إشارة إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كانت من آخر ما نزل عليه في المدينة.

أول سورة في هذه الجزء هي سورة عم أو هي سورة النبأ وتسمّى سورة عمّ التي جعل الله فيها ردّاً على أولئك المشركون الذين كانوا يساءلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن رسالته وعن طبيعتها وعن كيفيتها وعن مقصده منها.

يقول ربنا : { عَمَّ يَتَسَاءلُونَ{١} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ{ ٢} ، والنبأ العظيم هنا هو القرآن الكريم ، {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ{٣} كَلَّا سَيَعْلَمُونَ{٤} ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ{٥} ، أي أنهم حينما كانوا مختلفون فيه فإنهم سيعلمون بعد ذلك ، كلّا كلمة ردع وزجر سيعلمون صدق ذلك الكتاب حينما إذا لم يؤمنوا به سيرون عقاب الله عز وجل الأليم لهم يوم القيامة.

سورة النبأ ، سورة النازعات ، سورة عبس ، سورة التكوير ، سورة الانفطار كل ما سبق فانه يقرر هذه المعنى معنى التذكير باليوم الآخر وعظم شأنه وجعل المهابة لذلك اليوم في النفوس لأن القلوب إذا خوّفت فإنها تخاف من عصيان الله واقتراف معاصيه والجرأة على ذنوبه لأنها تخاف بطبيعة الحال هناك ما يخوفها ،فهذا هو الوعيد.

أما الوعد فهو ما يعد الله عز وجل به من أطاعه ولم يخالف أوامره بالجنة ، بالمغفرة ، بالعمل الصالح ، بالتوفيق ، بالسعادة ، برضا الواحد الأحد جل وعلا.

أما سورة المطففين فانه قد جاء فيها ذكر بعض الأحكام وبعض التوجيهات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فمنها حكم شرعي في أهمية العدل في الميزان كما جاء هذا في آيات أخرى بقول الله عز وجل : { وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ } ، ولو لاحظنا فان هذا الأمر العظيم جاءت به أنبياء الله عز وجل ونزلت هذه الأحكام في الكتب السابقة ، يعني كثير من أنباء الله كان يحث قومه على هذا المعنى وخصوصاً شعيب عليه السلام ، لماذا شعيب بالذات ؟ ، لأن قومه مدّين كان ينتشر فيهم هذا المنكر العظيم.

هذا موضوع انك تطفف كيل أو تزيد كيل أو تخفف كيل أو تنقصه هل هذا منكر ؟ ، نعم لأن الله عز وجل توّعد به بل هو من الكبائر لأن الله توّعد به من فعل ذلك فقال : { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. }

طيب إذا قال ويلٌ للمطففين هل كبيرة ؟ ، نعم لأننا أكدّنا على هذا المعنى المعروف وهو أن الكبيرة هي ما توّعد الله به العقاب الشديد في الدنيا أو الآخرة.

فالله سبحانه وتعالى يقول:

}وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ{١} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ } ، يعني إذا أكالوا للناس جعلوا شيئاً يعني باعوا شيئاً فيه كيل {يَسْتَوْفُونَ{٢} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ{٣} ، فإذا كان هو لصالحه فانه يستوفي شيئاً كاملاً وإذا كان لصالح غيره فانه يخسر ذلك الميزان.

قال الله عز وجل مخوّفاً لهم : { أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ{٤} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ{٥} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٦. }

كثيرٌ الحقيقة مما يعني يحذّ في النفس أو يكون دافعاً للتباغض والتشاحن والعداء بين الناس أمثال هذه الأمور التي ربما يتساهل فيها البعض وهي تورث الضغينة وتورث الحسد والبغضاء بين عموم الناس.

فالله عز وجل يحذّر وهذا من عدل الدين وكمال الشريعة وحسنها فإنها جاءت بإتمام العدل بين المخلوقين ومع الخالق جل وعلا فلا يكفي ان يكون الإنسان عادلاً بينه وبين ربه بل يجب أن يكون عادلاً بينه وبين الناس.

وفي كثير من الأحكام الشرعية يقدّم الله جل وعلا رحمةً منه حق المخلوق على حق الخالق ، خذ على ذلك مثالاً في توبة الإنسان ، الإنسان لو تاب من السرقة يعني كان سارق ثم تاب بخلاف إنسان لو كان مذنب يعني مثلاً والعياذ بالله زاني ثم تاب ، فان الزاني يجب عليه فقط التوبة والندم والإصرار والعزم على عدم العودة أما السارق مثلاً فانه يحتاج إلى صدق العزيمة والتوبة الصادقة لله عز وجل والندم ويحتاج شرطاً رابعاً.

هذا السارق أو من أخذ حقاً أو سلب أمراً يحتاج إرجاع المظالم والحقوق إلى أصحابها لأن الله سبحانه وتعالى من رحمته عفا عن حقه يعني أنت أخطيت في حقي خلاص أعفا الله عنك لكن في حق المخلوق فانه لا يأذن سبحانه وتعالى ولا يتوب التوبة الكاملة النصوحة الصادقة على العبد حتى يتحلل من مظالم العباد.

طيب إنسان سرق ما يعرف الذي سرق منه فانه يعني إما ان استطاع ان يوصل له أو أن يتصدق بها عليه يعني بنيته.

يلي سورة المطففين سورة الانشقاق وهي سورة أيضاً جاء فيها ذكر شيء من أهوال يوم القيامة وذكر فريقي الناس فمنهم شقي أو سعيد { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ{٧} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً{٨} وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً{٩} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ{١٠} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً{١١} وَيَصْلَى سَعِيراً{١٢} إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً { .

هنا فائدتان الأولى ان أهل اليمين يعني الصالحون والطائعون والمتقربون إلى الله يأخذون كتابهم بيمينهم من شدة الفرح والثقة بما أتاهم الله عز وجل ، أما أهل المعاصي والطغيان والفجور والكفور فإنهم والعياذ بالله نسأل الله أن يعيننا وإياكم من حالهم يأخذون كتابهم بشمالهم وهذا دليل المهانة والضعف والخور والخسارة والهوان ، ومنهم من يأخذ كتابه وراء ظهره.

جاء في تفسير هذا المعنى يعني هل هذين المعنيين متضادين يعني هل يوجد أناس يأخذون الكتاب من وراء الظهر وأناس من الشمال ؟ ، قيل يعني كما اختاره بعض المفسرين أنه يأخذه بشماله ومن وراء ظهره وهذا كناية على هوان ذلك الموقف وشدة خسارته ، نسال الله ان يعفو عنا وأن يجعلنا وإياكم من أهل اليمين.

أما الفائدة الثانية فهي في قول الله جل وعلا : { إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً } ، يعني أنا لو سررت في الدنيا وكنت فرح وعندي أموال أتي يوم القيامة وأخذ كتابي من وراء ظهري أو بشمالي وأكون في النار ؟ ، لا ليس هذا المقصود ، المقصود { إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً } أي معجباً مزهواً مبالغاً في الفرح والبطر.

أما حال أهل الإيمان فإنهم يوازون بين ذلك وربما إذا كانوا من أهل التقصير أو الذنوب فإنهم يغلبون جانب الخوف ، ولذا وصف الله حال أهل الإيمان حينما يقابلون بعضهم في الجنة ماذا يقولون ؟ . {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ } ، أي نرجو رحمة اله ونخاف عذابه {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ } ، أسأل الله ان يقيني وإياكم عذاب السموم.

الكثير من الفوائد ولكن بعد هذا الفاصل.....

)فاصل إعلاني. (

---

مما يلي سورة الانشقاق سورة البروج الذي جاء فيها ذكر قصة غلام الأخدود الذي أنطقه الله لترمي والدته نفسها في النار حينما قال : يا أماه اصبري فانك على الحق ، وهذه من معجزات الله حينما خافت وترددت حينما أمرها الملك أن تكفر بالله فقفزت بنفسها و ولدها.

وكان هذا أيضاً في قصة مشابهة حينما حصل مع غلام الأخدود الذي حارب ذلك الملك بكلمة الله عز وجل وبالتوحيد وبرسالة العقيدة فحاول قتله فلم يستطع فلما أراد أن يقتله لم يتوصل إلى ذلك ، فقال لن تقتلني إلا حينما أدلك على وسيلةٍ ، قال وما هي ؟ ، قال أن تضربني بسهم بعد أن تجمع كل الناس وتقول بسم الله رب هذا الغلام ، فلما نطقها الملك أصاب السهم ذلك الشاب أو الغلام فقتل.

فلم يزدد الناس إلا إيماناً ، هو يريد أن يقتل ذلك الشاب حتى يصدهم عن الإيمان به وبرسالته فازدادوا إيماناً وكان هذا من حكمة الله.

بعد ذكر هذه اللمحة للقصة قال الله عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا. }

الله عز وجل بعد ذكر أحوالهم الشنيعة يذكّرهم بالتوبة ، وهذا أيضاً فيه إشارة إلى عظيم لطف الله وكرمه سبحانه وتعالى وسعة حلمه فانه حتى على العصاة والفجرة والفسقة وأهل الكفر والعناد والشقاق يفتح أبوابه وينزل كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا يقول هل من داعي فأستجيب له ؟ ، هل من تائب فأتوب عليه ؟ ، هل من مستغفر فأغفر له ؟ ، فله الحمد جل وعلا.

يليها أيضاً سورة الطارق وسورة الأعلى ثم الغاشية التي أيضاً يسن قراءتها في الجمعة والعيدين لما فيها من تذكير بالمعاد ونشأة العباد.

يليها سورة الفجر وهي سورة أيضاً عظيمة أقسم الله عز وجل فيها بالفجر لشرف ذلك الزمان الذي تجتمع فيه الملائكة قال : {وَلَيَالٍ عَشْرٍ } ، وابن عباس يقسم أن هذه الليالي العشر هي أيام عشر ذي الحجة في سردٍ عجيب لوصف العباد وأنهم حال نزول النعمة يبطشون ويزدادون عتواً وفساداً.

} فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } ، يعني هذا من تلقاء نفسه وبسبب ما عندي أو بما عندي ، {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ } يعني ضيّق عليه رزقه { فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. }

فجعل الإنسان أو بعض الناس كرم الله عز وجل أن حصول النعمة هي من رضا الله وأن عدم حصول النعمة أن الله ساخط عليهم كلّا ليس هذا هو الميزان فربما يكون الإنسان فقيراً والله راضٍ عنه وربما يكون غنياً والله عز وجل ساخط عليه.

ولذا يقول عليه السلام : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " لأنه يتنعم فيها ويشعر أنه سعيد ، ولكن الله عز وجل كما قال : { إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً } إنما نغدق عليهم النعم كما قال ابن عباس في قول الله : { سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ } ، يعني كثير من الناس يغدق الله عليه نعمه وهو عاص وهو فاجر وهو ربما مقصّر ، يعني لماذا ينعم الله عليه بهذه النعم ؟ ، هل لأن الله يحبه ؟.

قال ابن عباس في قول الله : { سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ } ، قال نغدق عليهم النعم يعني ننزل عليهم النعم والأنعام والفضائل والراحة والأموال و السعادة والرزق والأبناء والتوفيق ، قال نغدق عليهم النعم ونحبس عنهم الشكر يعني لا يوفقون لشكر هذه النعمة.

طيب ما النتيجة ؟ ، إنسان ينعم الله عليه بالنعم ثم لا يشكر ؟ ، إذاً يحاسبه الله حساباً عسيراً لأن النعم عليه كثيرة ولم يقابلها بالشكر.

ولذا هذا من الابتلاء العظيم أن يبتلى الإنسان بالنعمة ، لا تتوقع المريض المشلول الذي أصيب بحادث الذي لا يأتيه أولاد انه هو المبتلى ، أنت أنــت يا من رزقت بالمال أو بالمليارات أو بالسعادة أو بالمنصب أنت في ابتلاء أشد لأن الله يقول : { وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } {فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ } انظر الكرم والأنعام ابتلاء.

طيب لماذا الابتلاء بالنعمة أشد من الابتلاء ، يعني الابتلاء بالسراء يقال أنه أشد من الابتلاء بالضراء لماذا ؟ ، لأن يا جماعة بطبيعة الحال أصلاً ما عنده مفر ولا ملاذ إلا أن يلجئ إلى الله من أصيب بالضراء خلاص يجب أن يدعو الله ويستغفر ويتوب ويترك الحرام ، أما الذي يبتلى بالسراء بالنعمة والمال فانه يغيب عن هذا المفهوم أحياناً يقصّر في الدعاء ينام عن الصلوات يتكاسل في الطاعات ، فالله الله ننتبه إلى مثل هذا.

الحقيقة السور كثيرة وسور جزء عمّ من الصعب أن نحيط ولو بجزء منها ، لكن من أعظم ما جاء في هذا الجزء العظيم المعوذات وهي سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في الصباح والمساء عند النوم يقرأ فيهما يقرأ في يديه في كفيه وينفث في هذه السورة يعني نفثاً خفيفاً لا سائل معه ثم يمسح بها ما أقبل بها من وجهه وجسده عليه السلام فإنها تحفظ العبد في يومه وليلته ، أيضاً كان يقرأ بها بعد الصلوات يعني أدبار الصلوات بعد ختام الصلاة.

هذه السورة العظيمة من تعوّذ بها حفظه الله كما أسلفنا في ليله ونهاره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحصن بها يعني يتعوذ بهما ويعوّذ بهما الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وكان أيضاً يرقي بهما عليه الصلاة والسلام.

حري الحقيقة بنا ونحن نتعلم أو نقف على هذا الجزء وقفات عاجلة أن نتعلم معانيها وأن نقرأها قراءة جيدة حتى { اللَّهُ الصَّمَدُ} { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ } ، تسمع كثيراً من الناس يقرأها كفواً أحد بتسكين الفاء لا يقرأها كفُواً لأن المعنى يختلف لما تقول كفُواً أي لم يكن له موازياً يعني ينعم بمثل ما انعم عليه فهو سبحانه وتعالى لا أحد يكافئه على نعمه ولم يكن له كفُواً أحد.

الله الصمد أي الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها فالإنسان بطبيعته إذا ابتلي إذا احتاج حاجةً معينة فان قلبه وفطرته مباشرةً تلجئ إلى الواحد الأحد.

الفلق والناس سورتين متشابهتين لكن الأولى تختلف عن الثانية أن الله عز وجل استعاذ في بدايتها استعاذةً واحدة فقال : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } ، وهو الصبح إذا انفلق وإذا بزغ.

استعاذ مرةً واحدة قال : { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ{٢} وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ{٣} وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ{٤} وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ {٥} ، يعين استعاذ مرة واحدة من شر أربعة أشياء.

سورة الناس استعاذ أربعة مرات استعاذ أربع مرات من شر شيء واحد ، إذاً الموضوع خطير {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ{١} مَلِكِ النَّاسِ{٢} إِلَهِ النَّاسِ{٣} ، من ماذا يا ربي ؟ ، قال : {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ{٤} ، إبليس { الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ{٥} ، فقط إبليس الشيطان الجني المعروف ؟ ، قال لا {مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاس. {

شيطان الإنس وشيطان الجن استعذ بالله من شرهما ، وهذا يدلك على عظيم خطرهما {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً. {

انتهـــى جزء عمّ وانتهت وقفاتنا مع هذا الجزء المبارك ومع كتاب الله الكريم ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ما تعلمناه حجةً لنا لا علينا ، نسأل الله أن يحيا قلوبنا وقلوبكم بطاعته.

لا نـملك في ختام هذا البرنامج وختام هذه الأجزاء إلا أن نرفع أكفنا ضارعةً إلى الواحد الأحد ونقول مستعينين بالله جل وعلا:

اللهـــم يا رحمن السموات والأراضين ورحيمهما ، يا من عمّ بفضله كل حي و وسعت رحمته كل شيء ، يا من يجير ولا يجار عليه ، يا من بيده مقاليد الأمور ، يا من يقول للشيء كن فيكون.

نسألك يا ربنا أن ترحمنا بالقرآن العظيم ، وأن تجعله سائقنا وشفيعنا يوم الدين ، اللـــهم اجعله شاهداً لنا لا علينا ، اللهـــم اجعله شافعاً لنا يوم أن نلقاك ، اللهـم علّمنا منه ما نسّينا ، اللـــهم ذكّرنا منه ما نسيّنا وعلّمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل والنهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللهم اغفر لنا عند ختم كتابك ، اللـــهم اجعلنا من الفائزين عند ختم كتابك وارزقنا حفظه وتلاوته وسماعه وتدبره والعمل به يا رب العالـــمين.

اللـــهم إنا نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ، اغفر لنا ذنوبنا كلها دقها وجلّها ، أولها وآخرها ، علانيتها وسرها ، اللـــهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرجته ولا كرباً إلا نفذته ولا ديناً إلا قضيته ، ولا عسيراً إلا يسرته ، ولا ولداً إلا أصلحته ، ولا والداً إلا وفقّته.

اللـــهم ارحمنا يوم العرض عليك والحساب بين يديك ، اللـــهم اغفر لنا ذل وقوفنا بين يديك نحن عبادك الضعفاء المستجيرون الوجلون الخائفون لا غنى لك عن رحماتك لا غنى لنا عن رحماتك فارحمنا اللهم بالقرآن العظيم يا ذا الجلال والإكرام.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.....

.....